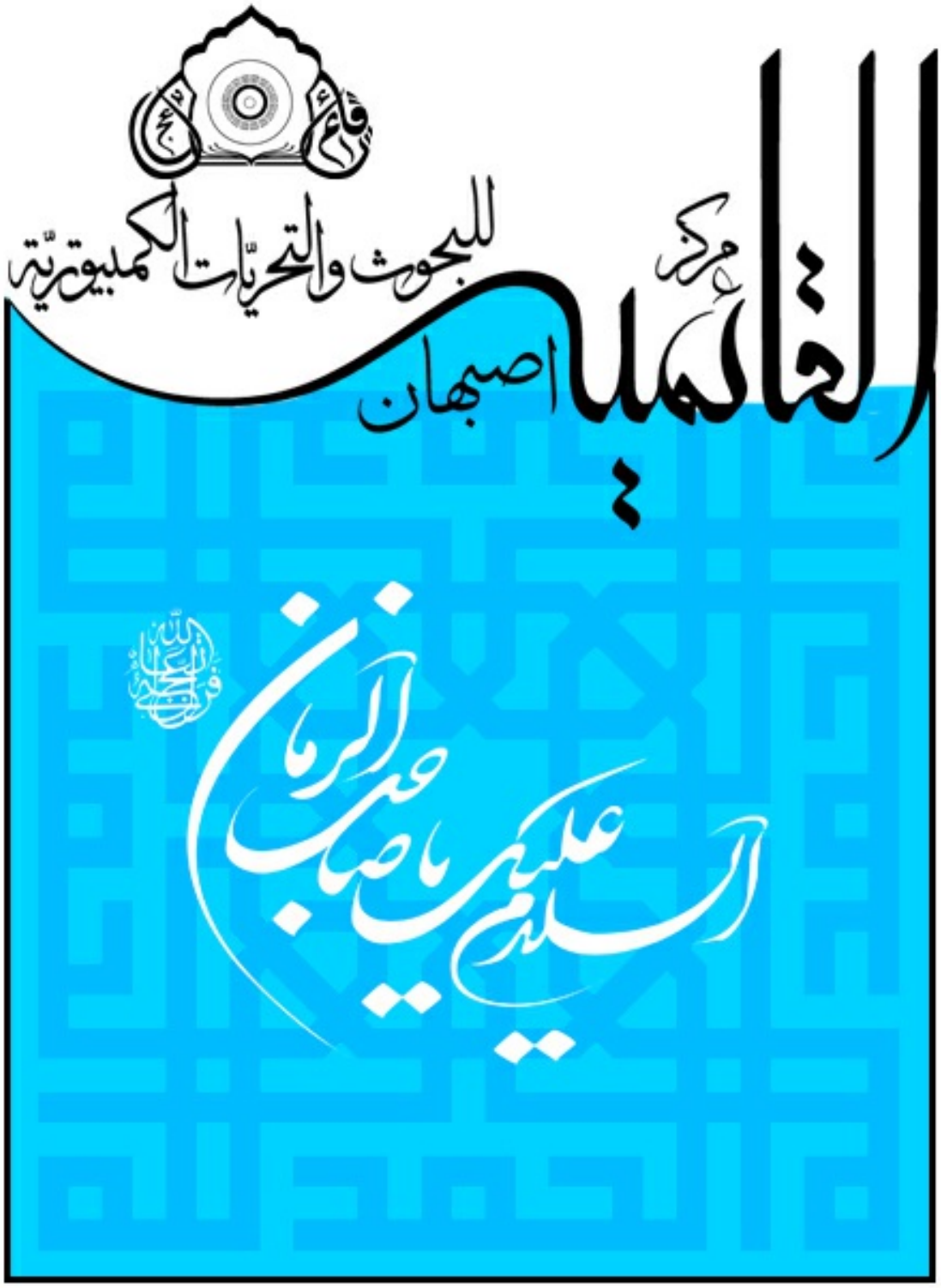

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

البحث عن الامام المهدي

رواية علمية

جمال محمد صالح

بسم الله الرحمن الرحیم

البحث عن الامام المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف

كاتب:

السيد جمال محمد صالح

نشرت في الطباعة:

مجهول (بي جا ، بي نا)

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

البحث عن الامام المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف 7

اشارة 7

اشارة 7

(1) 9

(2) 10

(3) 16

(4) 32

(5) 35

(6) 39

(7) 53

(8) 56

(9) 65

(10) 82

(11) 97

(12) 101

(13) 105

(14) 106

(15) 107

(16) 109

(17) 129

(18) 138

(19) 140

142 (20)

146 (21)

152 (22)

157 (23)

166 (24)

173 (25)

193 (26)

211 (27)

214 (28)

228 (29)

240 (30)

245 (31)

248 (32)

283 (33)

286 تعریف مرکز

البحث عن الامام المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف

اشارة

عنوان و نام پديدآور: البحث عن الامام المهدي / السيد جمال محمد صالح

ناشر: بي جا - بي نا

زبان: عربي

مشخصات: 275 ص

موضوع: امام دوازدهم - حضرت مهدي عج

ص: 1

اشارة

البحث عن الامام المهدي

رواية علمية معاصرة تحكي¨ قصّة ش-ابٍّ أراد البحث عن اهدافه فوجد من الضرورة ان يبحث اولا عن إمامه ليصل بعدها الي اهدافه التي يطمح الوصول اليها

تأليف السيد جمال محمد صالح

ص: 2

(1)

جلس حامـد الي جانب المـدفأة ، كان يتوقع ان يدق جرس الهاتف ، في الدقيقة قبل الاخري . . الا انه شـعر بالسأم والملل حالما انقضـي وقت ليس باليسير علي الموعد . . واذا ما نفد صبره وآثر النهوض والخروج من المنزل . . كان للهاتف ان يعلن له عن موعده . .

– أين أنت يا هذا ؟ ! انتظرتك وقتا كثيرا . .

– بـدلا من السـلام عليكم . . الم تسـمع ان الغائب عـذره واياه .. لم اسـتطع ان اتلفن .. لانه ليس من هاتف هنا .. حتي اذا ما اهتدينا الي واحد اعلنا لك عن وفائنا بالموعد سريعا .

– تقول اهتدينا واعلنّا ؟ !

– اجل انا وافكاري المتزاحمة ..

– هه .. لديك وقت للمزاح .

– أين ألتقي بك ؟

– في نفس المكان .

– بجانب المنتزه .

– طيب .

(2)

– ما الذي صنعته ؟

– بصدد ماذا ؟

– واذن ، فلماذا اجتمعنا ؟

– انتظر يا هذا ، اني لم اطرح المسألة علي ابي .

– ولِمَ لم تقل لي هذا في التلفون ؟

– لاني لم احبب ان اتعجل الاحداث ؟

– تتعجل الاحداث !

– ان ابي سوف لا يستطيع التأثير علي والدك ومساعيه في منعك من مواصلة الدراسة الجامعية .. فانّا الان علي ابواب التخرج من الدراسة الاعدادية .. اليس كذلك .. وانت بالنسبة اليه تمثل كل آماله وثمرة ايامه .. وهو يعتمد عليك في كل صغيرة وكبيرة ..

يقاطعه :

– ماذا ؟

– اقصد انه يريد ان يسند اليك كل مشاريعه المستقبلية ، وذلك بعد ان تنتهي من دراستك الاعدادية ، وبذلك لا يدعك تفرغ لمواصلة دراستك الجامعية وبالتالي ان تتواصل مع ما تحب وتشتهي من آمال واهداف شخصية .. فأبوك يري نفسه فيك .. لانه يعيش ذهنية التاجر الذكي ، ومفعم بروحية الحرفة والصنعة . لذا ، فهو يري فيك كذلك كل ما ضيّعه في أمسه من مشاريع وعقود تجارية ومغامرات صفقاتية .. وما عليه الان الا ان يشرع بعدم تفويت الفرصة .. خاصة انك الولد الوحيد له .. ان نحن لم نحسب اخواتك الكريمات في الحسبان ..

– وعليه ؟

– اني لم اطرح الموضوع علي ابي ، لاني اريد ان نتوصل نحن انفسنا الي حل يرضي الطرفين ..

– الطرفين ؟

– انت وابوك .

تنهـد حامد ، نفث في الهواء انفاسا متعبة ، مثقلة بالاحباط ، نكس رأسه حينا ، ثم اعتدل في جلسـته ونهض بعدما كان جالسا علي مصـطبة بجوار المنتزه .. نظر الي زميل دراسته وربيب طفولته سالم .. سالم الذي كان بيتهم بجوار بيت حامد ، ولذا كان الاثنان جارين قبل ان يكونا صديقا طفولة وصاحبا لحن خاص ، يمكن ان تعزف عليه ذكريات الصبا احلي الحان تلك الايام الخوالي من عمر الطفولة المنقضية . قال له :

– انك قد نكثت عهدك ...

نهض سالم وهو يوزع ابتسامة مثقلة بهموم من نوع خاص :

– اني لم ارد ان اضـيّع الفرصة .. لان ابي لو يطرح المسألة علي ابيك ، فان اباك سوف يسـتعد لك من الان فصاعدا ، وما كان منه الا ان يعد لك كل العـدة اللازمـة .. وبذلك ما كان منك الا ان تنزل صاغرا علي مطامح ابيك .. لانه اباك وهو الذي ربّاك وانشأك ، وهو الذي تعب من اجلك .. وهو لا يري لك الا الخير ..

– الا الخير ؟

– حسب وجهة نظره .. ومن ثم فاني لا اعتقد ان ابي سيقبل بان يطرح مثل هذه القضية علي ابيك .. لانك تعلم ان اباك انسان صعب وليس هو بالرجل الذي يمكن ان ينعت بسهل الانقياد او لين المطاوعة .. بل انه ربما تعاند معك ، وفتش عن سبل لاغوائك هي ادهي ... ولربما لجأ الي اللجاجة والعنف البالغين .. وهذا هو ليس بصالحك ابدا .. في الوقت الذي لا اري ايما مصلحة في معرفة والدك برفضك لمشاريعه .. وضرورة تخليك عن مواصلة الدراسة .. هه ، بالمناسبة ، احب ان اسائلك .. هل طرحت عليه مشروع امتناعك لقراره ؟

– لا ، ومن يجرأ علي مثل هذا ؟

– الم يجالسك ، ويسألك ماذا تحب ان تكون في المستقبل ؟

– نتجالس كثيرا .. لكنه لا يتحدث الا عن التجارة .. وايام صباه وشبابه وتوجهاته الشخصية .. هذا اذا لم يغب عن بالي بانه هو الذي يتحدث فقط ..

– وانت ؟

– امتحنته مرة واحدة .. فعرجت الي نفسي ، واحببت ان اطلعه

علي حقيقة توجهاتي الشخصية .. وما اطمح الي ان اكونه ، فاستشعرت في عينيه غضبا مبهما ، وبين حاجبيه شرارات من ثورة تكاد تشتعل

اللحظة .. حتي اذا ما هممت ، اسدلت ستارة ، واشحت عن الموضوع حتي طفقت ابحث عن قصد اخر لكل ما سلكته من حديث ، عندها وجدته يبتسم ، وذلك لما انتحيت من الكلام جانب العمل والمشروع التجاريين .. عندها

- ؟ !

- عندها ربت علي كتفي وقال : ابن ابيه والله ان هذا الشبل لهو من هذا الاسد .. تعالي يا ام حامد وانظري اي فتيً قد اعطاه الله لنا !

وعندها ، كأنما طرأت في ذهن سالم التماعة حادة ، فابتدره :

- اقول ، لماذا لا تطرح عليه مواصلة الدراسة والالتزام بمشاريعه التجارية جنبا الي جنب .. وامنحه ثقتك حتي تجعله يمنحك هو الاخر ثقته ويطمئن الي ما تبديه من رأي ، وتعزم عليه .

- انك تسلّي نفسك بهذا الحديث ، لقد طرقت مختلف الابواب، وتطرقت الي العديد من هذه الاساليب والعروض بل لجأت الي الكثير من هذه الاقتراحات ، الا انه كان يلوي رأسه ويهزه حتي يصلني بعتابه ، ويشدد عليّ قوس الحصار ليرميني بعدها بعبارات ابسط ما يكون فيها : هه ، عدنا ثانية ، رجعنا الي مضغة العناد ولجاجة الشباب ..

- طيب ، واذن فالامر علي ما تراه انت بنفسك ، وتطالبني بعد كل

هذا ، أن افاتح الوالد كيما يجاذبه الحديث في هذا الامر ، هه ؟

– والاكثر ، انه يعود الي ، فيقول : بانكم يا معاشر الشبّان ، اقصد انتم الذين تثقفتم في اخر الزمان ، لتحتقرون المهنة العملية ، وتمتهنون التجارة الي الحد الذي تستنقصون قدرها ، وتحطّون من شأنها الي الدرجة التي تهون عليكم فيها العمل بها ، او مزاولة شؤونها حتي تصل بكم الحال الي ان تهوّنون من صعوباتها وفنونها اللازمة ، فتصادرون علي طبيعية درجها الي جانب جدول يتضمن سلسلة من الاعمال المشتركة ، الدراسة والتحصيل الي جانب التجارة ، او العكس ! وانتم لا تشعرون بان التجارة وحدها تحتاج الف ممارسة وممارسة ، والف خبرة واخري .. والتفرغ لها يقتضي نبذ كل ما دونها من غيرها لاجل التوصل الي ابلغ درجات النجاح والموفقية في مساعيها ومناكبها ..

فقال سالم :

– وغير هذا الكلام ؟

– انه ليقول لي : اني لأعرف ان حرارة الشباب وسعرات الانبعاث

والهيجان في نفوسكم أيها الفتيان ، هي لتستعر في صدوركم ، وتغلي في دواخلكم ، الا أن ما يمكنني ان ألفت نظرك اليه ، هو ان من يكبرك بسنة يعرف أكثر منك بسنة ! فاني أنا الاخر لي تجاربي التي اري لزاما

عليّ ، بل من واجبي الابوي ان افيدك بها، وان لا ادعك تدرج علي هذه الوتيرة التي ليس من ورائها خير يرتجي .. فما توده من الشهادات استحصله لك بالمال ، وما تطمح لان تضيّعه من السنوات في الدرس والتحصيل ، اجمعه لك في ليلة وضحاها ..

عاد بعدها سالم الي الحديث ، وهو يحاول التفنن في انتقاء الكلمات :

– ولذلك ، فاني اقول لك علينا ان نبحث عن منفذ آخر .. بل خلاص جديدٍ من نوعه ..

– واين هو يوم الخلاص ، بل اين هو المخلّص والمنقذ ؟

(3)

وفي الفصل ، كان المدرّس يشرح بعض المسائل المعاصرة ، حينما بادره احدهم بالتطرق الي سياسة المنقذ .. منقذ ومخلص البشرية ،عندها أجزله الاستاذ بالكلام وكل من كان حاضرا في الصف ، كان له اذنا صاغية بما فيهم سالم وحامد :

– اعتقد المسلمون منذ فجر الرسالة الاسلامية وإلي اليوم بصحة

مابشّر به النبيّ الاعظم صلي الله عليه و آله من ظهور رجل من أهل بيته عليهم السلام في آخر الزمان – يسمي المهدي – يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا . وعلي ذلك كان ترقّب المؤمنين وانتظارهم مهدي أهل البيت عليهم السلامقرنا فقرنا ، ولم يشذّ عنهم إلا شرذمة قليلة من دعاة التجديد والتحضّر ، نتيجة لتأثرهم بالدراسات والبحوث الاستشراقية غير الموضوعية من أمثال ما كتبه فان فلوتن ، ودونالدسن ، وجولدزيهر ، وغيرهم من المستشرقين الذين حاولوا – بتطرفهم المعهود في التحليل والاستنتاج بخصوص مايتصل بعقائد المسلمين – إنكار ظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان .

كان الجمع قد اهتم بهذا الموضوع ، حتي جعلت اذهانهم تحوك

صورا خاصة حول هذا المخلّص .. بينما كان الاستاذ يواصل حديثه بكل سرور ، وكأنه كان ينتظر مثل هذه الفرصة للتعبير عما يلوج في صدره من رؤيً تتجلي في مقاطيع مصاديقها التي كان وحي كلامه يدلل علي انه قد لمس هذه الاخيرات بوحي قلبه وبأم عقله :

– وقد يكون بعض من اغترّ بمناهجهم حَسَن النيّة في الدعوة إلي التجديد في فهم القضايا الاسلامية ومحاولة إبراز توافقها وانسجامها مع المفاهيم الحضارية التي فرضتها المدنية المعاصرة ..

اعترضه احدهم بالسؤال ، وهو يقول :

– استاذ ، كيف يمكن ان يكون كذلك ؟

– بكل بساطة ، فلما رأي أنّ في إنكار فكرة ظهور الامام المهدي ردّا حاسما علي الدعوات الصليبية – المقنّعة بقناع الاستشراق – التي استهدفت الاسلام فصورته – ببحوثها وكتاباتها – آلة جامدة لاتنبض بالحياة .

– واذن ، فكذلك كان لهذه الدراسات ان تنعكس علي ..

– .. بكل تأكيد ، وهكذا انعكست آثار بعض الدراسات الاستشراقية علي ثقافة البعض منّا ، مما أسهم في إيجاد خرق من الداخل ، تري من خلاله تأويل بعض الثوابت الدينية ، والتشكيك بقسم منها كقضية ظهور الامام المهدي عليه السلامفي آخر الزمان ..

عندها المح سالم بالكلام مقاطعا استاذه :

– التشكيك .. وهل هي مسألة تقبل التشكيك ؟

– ادلة التشكيك ، هي لا تصمد امام المنطق العقلي ، ولربما قد تسمع الترديد المملّ لأقوال المستشرقين إزاء مسألة الظهور ، وما كان هذا ليتم لولا التفاعل اللاّمدروس مع تلك الثقافات المحمومة ، والتأثّر بها لدرجة الاعتقاد بأنّها حقائق مسلّمة علي الرغم مما فيها من خبث

ودهاء وتطرّف في التحليل والاستنتاج ، وكيد بالاسلام والمسلمين ، وكيف لا ، وهذا جولدزيهر ، ودي بوير ، ومكدونالد، وبندلي جوزي يصرّحون . .

– من هؤلاء ؟

– هؤلاء جمع من المستشرقين .. فهم يصرحون بتناقض القرآن الكريم حتي كان للدكتور عبدالجبار شرارة ، أن يقوم بتفنيد مزاعم هؤلاء المستشرقين وأقوالهم بتناقض القرآن الكريم ، واحبط جميع مفترياتهم ، وذلك بعد ان عرض لما يقولونه . واذن ! فلا غرابة أن نجد – في حركات التبشير الصليبي – من يطعن بعقيدة المسلمين بظهور المهدي ، هذا مع أنّ فكرة الظهور لم تكن حكرا علي المسلمين وحدهم .

فسأله عندها حامد ، وهو يقول :

– استاذ ، ماذا تقصد .. اتعني عالمية هذه الفكرة ؟ !

– إنّ فكرة ظهور المنقذ العظيم الذي سينشر العدل والرخاء بظهوره في آخر الزمان ، ويقضي علي الظلم والاضطهاد في أرجاء العالم ، ويحقق العدل والمساواة في دولته الكريمة ، فكرة آمن بها أهل الأديان الثلاثة ، واعتنقتها معظم الشعوب .

ابتدره احدهم :

– واذن ، فاليهود كذلك كانوا قد آمنوا بظهور مثل هذا المنقذ ؟

– اجل . فقـد آمن اليهود بها ، كما آمن النصاري بعودة عيسـي عليه السـلام ، وصـدّق بها الزرادشتيون بانتظارهم عودة بهرام شاه ، واعتنقها مسـيحيو الأحبـاش بـترقّبهم عودة ملكهم تيودور كمهـديٍّ في آخر الزمـان ، وكـذلك الهنود اعتقـدوا بعودة فيشـنو ، ومثلهم المجوس إزاء مايعتقدونه من حياة أُوشيدر .

بينما حلقت في فضاء الدرس الوان من امارات التعجب وايات الانبهار ، كان للاستاذ ان يستطرد في كلامه :

– وهكذا نجد البوذيين ينتظرون ظهور بوذا ، كما ينتظر الأسـبان ملكهم روذريق ، والمغول قائدهم جنگيزخان . وقد وجد هذا المعتقد عند قدامي المصريين، كما وجد في القديم من كتب الصينيين .

في حين اصر الاستاذ علي مواصلة حديثه ، وهو يقول :

– وإلي جـانب هـذا نجـد التصـريح من عباقرة الغرب وفلاسـفته بأنَّ العالم في انتظار المصـلح العظيم الـذي سـيأخذ بزمام الأُمور ويوحّد الجميع تحت راية واحدة وشعار واحد منهم : الفيلسوف الانجليزي

الشهير برتراند راسل .

– تري ، ما الذي يمكن ان يخبرنا به هذا الفيلسوف ؟

ساءله احدهم ، فأجابه :

– لقد قال : إنّ العالم في انتظار مصلح يوحّد العالم تحت عَلَمٍ واحد وشعار واحد .

– وغيره ؟

– من مثل العلاّمة آينشتاين صاحب النظرية النسبية ، حيث قال : إنّ اليوم الذي يسود العالم كلّه الصلح والصفاء ، ويكون الناس متحابِّين متآخين ليس ببعيد .

سكت قليلا ، بعدها واصل اطروحته :

– والأكثر من هذا كلّه هو ما جاء به الفيلسوف الانكليزي الشهير برناردشو . .

– برناردشو . . ؟ !

هكذا توالت التساؤلات من قبل البعض ..

– نعم برناردشو ، هذا الاسم المشهور ، حيث بشّر بمجيء المصلح في كتابه : الانسان والسوبرمان . وفي ذلك يقول الاستاذ المصري الكبير عباس محمود العقاد في كتابه : برناردشو معلّقا : يلوح لنا أنّ

سوبرمان شو ليس بالمستحيل ، وأنّ دعوته إليه لا تخلو من حقيقة ثابتة .

ابتدره سالم :

– والمسلمون ؟

– أما عن المسلمين فهم علي اختلاف مذاهبهم وفرقهم ، يعتقدون

بظهور الامام المهـدي في آخر الزمان ، وعلي طبق ما بشّـر به النبي صـلي الله عليه و آله ، ولا يختص هذا الاعتقاد بمذهب دون آخر ، ولا فرقة دون أُخري . وما أكثر المصـرّحين من علماء أهل السـنة ابتداءً من القرن الثالث الهجري وإلي اليوم بأنّ فكرة الظهور محلّ اتّفاقهم، بل ومن عقيـدتهم أجمع ، والأكثر من هـذا إفتاء الفقهاء منهم : بوجوب قتل من أنكر ظهور المهدي ، وبعضـهم قال : بوجوب تأديبه بالضـرب الموجع والاهانة حتي يعود إلي الحقّ والصواب علي رغم أنفه – علي حدّ تعبيرهم .

كان الاستاذ ينظر في ساعته ، حينما تابع القول :

– ولهـذا قال ابن خلـدون في الجزء الاول من تاريخه ، معبّرا عن عقيـدة المسـلمين بظهور المهدي : اعلم أنّ المشـهور بين الكافة من أهل الاسلام علي ممرّ الأعصار : أنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل

من أهل البيت ، يؤيد الدين ، ويُظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ، ويستولي علي الممالك الاسلامية ، ويسمي المهدي .

– وهل وافقه علي ما يدّعيه احد ؟

– لقد وافقه علي ذلك الأُستاذ أحمد أمين الأزهري المصري

– علي الرغم مما عرف عنه من تطرّف إزاء هـذه العقيدة – فقال معبّرا عن رأي أهل السّنّة بها ، وذلك في كتابه المهدي والمهدوية : فأما أهل السّنّة فقـد آمنوا بها أيضا ، ثم ذكر نصّ ماذكره ابن خلـدون . ثم قال : وقـد أحصـي ابن حجر الأحاديث المرويـة في المهدي فوجدها نحو الخمسـين . ثم ذكر ماقرأه من كتب أهل السـنة حول المهـدي فقال : قرأت رسالـة للأُسـتاذ أحمـد بن محمـد بن الصديق في الردّ علي ابن خلـدون سـماها : إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون ، وقد فنّد كلام ابن خلدون في طعنه علي الأحاديث الواردة في المهدي وأثبت صحّة الأحاديث ، وقال : إنّها بلغت التواتر .

في حين استدرك الاستاذ كلامه بالقول :

– وقـال في موضع آخر : قرأتُ رسالـة أُخري في هـذا الموضوع عنوانها : الاذاعـة لما كان وما يكون بين يـدي الساعـة ، لأبي الطيب بن أبي أحمد بن أبي الحسن الحسني . وقال أيضا : قد كتب الامام

الشوكاني كتابا في صحة ذلك سماه : التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح .

رفع رأسه حامد ، وكان قد حناه تمليا وتفكرا في امر هذا المحكي عنه ، حتي قال :

– إذن استاذ ، فانه لا فرق ثمة بين الشيعة وأهل السنّة من حيث الايمان بظهور المنقذ ما دام أهل السنّة قد وجدوا في ذلك خمسين حديثا من طرقهم ، وعدّوا ظهور المهدي من أشراط الساعة ، وأثبتوا بطلان كلام ابن خلدون في تضعيفه لبعض الأحاديث الواردة في ذلك ، وأنّهم ألّفوا في الرد أو القول بالتواتر كتبا ورسائل ؟ !

– بالتأكيد ، بل انه لا فرق بين جميع المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان والشعوب الأُخري من حيث الايمان بأصل الفكرة وإن اختلفوا في مصداقها ، مع اتّفاق المسلمين علي أنّ اسمه : محمد ، كإسم النبي صلي الله عليه و آله ، ولقبه عندهم هو : المهدي .

فقال سالم :

استاذ ، ومن هنا يعلم أنّ اتّفاق أهل الأديان السابقة ومعظم الشعوب والقوميات وعباقرة الغرب وفلاسفته – مع تعدد الأديان ، وتباين المعتقدات ، واختلاف الأفكار والآراء والعادات – علي أصل

الفكرة ، لايمكن أبدا أن يكون بلا مستند لاستحالة تحقّق مثل هذا الاتّفاق جزافا .

في حين اكد كلامه تلميذ اخر ، وهو يستدرك حديث سالم :

– فإذا أضفنا استاذ إلي ذلك اتّفاق المذاهب الاسلامية جميعا علي صحة الاعتقاد بظهور الامام المهدي في آخر الزمان وأنّه من أهل البيت عليهم السلام، علم أنّ اتّفاقهم هذا لا بد وأن يكون معبّرا عن إجماع هذه الأُمة التي لاتجتمع علي ضلالة علي ماهو مقرر في محلّه ، وحينئذٍ فلا يضرّ باعتقادهم بظهور مهدي أهل البيت عليهم السلاماختلاف تشخيصه عند من سبقهم من أهل الأديان والشعوب . .

تابع كلامه ثالث :

– إذ بالامكان معرفته حق معرفته من خلال مصادر المسلمين المعتمدة لما عُرِف عنهم من اتّباع منهج النقل عن طريق السماع والتحديث شفةً عن شفة وصولاً إلي مصدر التشريع، وبما لا نظير له في حضارات العالم أجمع .

عاد الاستاذ بعدها :

– ومع هذا نقول : إنّ اعتقاد أهل الكتاب بظهور المنقذ في آخر الزمان لا يبعد أن يكون من تبشير أديانهم بمهدي أهل البيت عليهم السلام

كتبشيرها بنبوّة نبينا صلي الله عليه و آله إلاّ أنّهم أخفوا ذلك عنادا وتكبّرا إلاّ من آمن منهم باللّه واتّقي .

– وما الذي يدلل علي ذلك ؟

– ويدلّ علي ذلك وجود مايشير في أسفار التوراة إلي ظهور المهدي في آخر الزمان ، كما في النصّ الذي نقله الكاتب أبو محمد الأُردني من : سفر أرميا ، ونصّه : اصعدي أيّتها الخيل وهيّجي المركبات ، ولتخرج الأبطال : كوش وقوط القابضان المجنّ ، واللوديُّون القابضون القوس ، فهذا اليوم للسيد ربِّ الجنود، يوم نقمة للانتقام من مبغضيه ، فيأكل السيف ويشبع... لأن للسيد ربِّ الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات .

– وهل هناك ما هو أوضح من هذا ؟

– اجل ! فهناك اوضح من هذا بكثير جدا ، فقد قال الباحث السنّي سعيد أيوب في كتابه الموسوم بالمسيح الدجال : ويقول كعب : مكتوب في أسفار الأنبياء : المهدي مافي عمله عيب . ثمّ علّق علي هذا النصّ بقوله : وأشهد أنني وجدته كذلك في كتب أهل الكتاب ، لقد تتبع أهل الكتاب أخبار المهدي كما تتبعوا أخبار جده صلي الله عليه و آله ، فدلت

أخبار سفر الرؤيا إلي إمرأة يخرج من صلبها اثنا عشر رجلاً ، ثمّ أشار

إلي امرأة أخري ، أي : التي تلد الرجل الأخير الذي هو من صُلب جدته ، وقال السّفر : إنَّ هذه المرأة الأخيرة ستحيط بها المخاطر ، ورمز للمخاطر باسم : التنّين ، وقال : والتنّين وقفَ أمام المرأة العتيدة حتي تلد يبتلع ولدها متي ولدت .

– هذا في اسفار اليهود ؟

– في سفر الرؤيا 12 ، أي : أنَّ السلطة كانت تريد قتل هذا الغلام، ولكن بعد ولادة الطفل .

– وهل يفسر هذا احدهم ؟

– يقول باركلي في تفسيره : عندما هجمت عليها المخاطر اختطف اللّه ولدها وحفظه .

– اختطف اللّه ولدها ؟ !

تعالت التساؤلات المثيرة والهمسات الممزوجة بابتسامات فكهة . بينما علق الاستاذ وهو يواصل حديثه :

والنص : واختطف اللّه ولدها . هو جاء في سفر الرؤيا 12 ، أي : أنَّ اللّه غيّب هذا الطفل كما يقول باركلي .

سكت الاستاذ قليلا ، وهو يقلب طرفه ما بين تلامذته الذين كان قد راق لهم الخوض في هذا الموضوع .. مع ان درس الاستاذ كان درس

التاريخ الذي يعني بالاحداث المعاصرة من غير هذا الموضوع ، الا انه كان يحبّذ ، لو كان درسه يضّمن الغوص في العرض لهذه القضية ، ولقد كان له ان يضحيّ بالوقت من درسه ، ما شاء ان يضحيه تلامذته من هذه المادّة وباتفاق الاكثرية . فافاض بعدها ومن جديد :

– حيث ذكر السّفر ، اقصد سفر الرؤيا : أنّ غيبة الغلام ستكون ألفا ومئتين وستين يوما ، وهي مدة لها رموزها عند أهل الكتاب ، ثم قال باركلي عن نسل المرأة عموما : إنّ التنّين سيعمل حربا شرسة مع نسل المرأة كما قال السفر : فغضب التنّين علي المرأة ، وذهب ليصنع حربا مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا اللّه .

– استاذ ، من تعرض لذكر كل هذا ؟

– سعيد ايوب في كتابه : المسيح الدجال . وكما تعلمون فان

المهدي عند الشيعة هو الامام الثاني عشر من أئمة أهل البيت وأولهم علي بن أبي طالب عليه السلام، والحديث القائل : المهدي حق وهو من ولد

فاطمة . مقطوع بصحته ومصرح بتواتره عند أهل السنة ، وهو عند الشيعة المولود الثاني عشر لفاطمة عليهاالسلام : ثلاثة بالمباشرة ، وهم : الحسنان ومحسن ، وتسعة بدونها وهم الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام ، واما عن أولاد الحسن عليه السلام فهم كذلك من بني فاطمة عليهاالسلام إلاّ أنهم

أُخرجوا من مجموع الاثني عشر لكونهم ليسوا بأئمة ، ولا يرد مثل هذا علي ما لم يكن إماما وهو محسن ، لأنّ ولادته من فاطمة عليهاالسلام بالمباشرة ، ولهذا قال الاستاذ سعيد أيوب : هذه هي أوصاف المهدي ، وهي نفس أوصافه عند الشيعة الامامية الاثني عشرية . ثم علق عليه في هامش صفحته بما يدلّ علي تقارب الأوصاف . .

– هل يمكن ان يثير ذلك ان اعتقاد الشيعة واهل السنّة كان بفعل تأثرهم بما وجدوه لدي اهل الكتاب ؟

– ان تقارب الاوصاف هذا ، وإن كان ممكنا ، غير أنّ اعتقاد الشيعة وغيرهم بظهور المهدي في آخر الزمان لم يكن علي أساس الاستدلال بما في كتب العهدين كما سنبينه مفصّلاً في هذا الكتاب .

وهذا وإن لم يصحّ لمسلم الاحتجاج به لما مُنيت به كتب العهدين من تحريف وتبديل ، إلاّ أنّه يدلّ وبوضوح علي معرفة أهل الكتاب بالمهدي ، ثم اختلافهم فيما بعد في تشخيصه ، إذ ليس كلّ ما جاء به الاسلام قد تفرّد به عن الأديان السابقة ، فكثير من الأُمور الكلّية التي جاء بها الاسلام كانت في الشرائع السابقة قبله . قال الشاطبي المالكي في كتابه الموافقات : وكثير من الآيات أُخبر فيها بأحكام كلّية كانت في الشرائع المتقدمة وهي في شريعتنا ، ولا فرق بينهما .

– وإذا تقرر هذا ؟

– واذا تقرر هذا ، فلا يضرُّ اعتقاد المسلم بصحة مابشّر به النبي صلي الله عليه و آله

من ظهور رجل من أهل بيته في آخر الزمان ، أن يكون هـذا المعتقـد موجودا عنـد أهل الكتاب من اليهود والنصاري ، أو عنـد غيرهم ممن سبق الاسلام ، ولا يخرج هذا المعتقد عن إطاره الاسلامي بعد أن بشّر به النبيّ صلي الله عليه و آله وبعد الايمان بأنه صلي الله عليه و آله : وما يَنطِقُ عَنِ الهَوَي * إن هوَ إلاّ وحيٌ يُوحي .

بينما قال سالم :

– واعتقادات الشعوب الاخري ؟

– وأمـا عن اعتقـادات الشـعوب المختلفـة بأصـل هـذه الفكرة كمـا اعربنا عن ذلك ، فيمكن تفسـيرها علي أساس أنّ فكرة ظهور المنقـذ لا تتعـارض مع فطرة الانسـان وطموحاته وتطلّعاته ، ولو فكّر الانسان قليلاً في اشتراك معظم الشـعوب بأصل الفكرة لأدرك أنّ وراء هـذا الكون حكمـة بالغة في التدبير ، يسـتمد الانسان من خلالها قوّته في الصـمود إزاء ما يري من انحراف وظلم وطغيان ، ولا يُترك فريسة يأسه دون أن يزوّد بخيوط الأمل والرجاء بأنّ العدل لا بدّ له أن يسود .

– واسم المنقذ والمصلح ، فهل اختُلِف في تشخيص اسمه ؟

– أما عن اختلاف اسم المخلّص ، فان أهل الأديان السابقة والشعوب كانوا قد اختلفوا في تشخيص اسم المنقذ المنتظر ، وهذا لا علاقة له في إنكار ما بشّر به النبي صلي الله عليه و آله ، وليس هناك ما يدعو إلي بيان فساد تشخيصهم لاسم المنقذ ، مادام الاسلام قد تصدي بنفسه لهذه المهمة فبيّن اسمه ، وحسبه ، ونسبه ، وأوصافه ، وسيرته ، وعلامات ظهوره ، وطريقة حكمه ، حتي تواترت بذلك الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها من طرق أهل السنّة ، كما صرّح بذلك أعلامهم وحفّاظهم وفقهاؤهم ومحدثوهم ، وقد روي تلك الأخبار عن النبي صلي الله عليه و آلهما يزيد علي خمسين صحابيا .

سأله عندها حامد ، فقال :

– وهل ثمة اختلاف للمسلمين فيما بينهم فيما يتعلق باسم المهدي ؟

– وأما عن اختلافنا نحن المسلمين ، وذلك من حيث تشخيص

اسم المهدي كما هو معلوم بيننا نحن أهل السنة والشيعة ، فليس فيه أدني حجة للمستشرقين ومن سار في ركبهم ، بل هو – علي العكس –

من الأدلّة القاطعة عليه .

– كيف يمكن ان يتضح ذلك ؟

– لأنّ هذا هو من قبيل الاختلاف في تفاصيل شيء متحقق الوجود ، كاختلافهم في القرآن الكريم بين القول بقِدَمِه وحدوثه من اللّه تعالي، مع اتّفاقهم علي تكفير منكره ، وقس عليه سائر اختلافاتهم الأُخري في تفاصيل بعض العقائد دون أُصولها .

(4)

في نفس اليوم ، ... التقي حامد بسالم وذلك من بعد ظهيرة نهاره ، وفي ظل حوار دار بينهما عرج سالم الي حديث استاذهما في الفصل ، فقال وهو يستحضر نتائج تلك المناقشات :

– إنّ النتيجة المنطقية لما شرحه وتقدم به الاستاذ قاضية بتفاهة ومزاعم المستشرقين ومن وافقهم بأُسطورية فكرة ظهور المهدي في آخر الزمان . .

– ماذا تقصد ؟

– انما اقصد ضحالة وتفاهة ما له ان يدور من تهافت القول بأُسطورية فكرة الظهور .

– ؟ !

– ذلـك لأنّ الأُسـطورة التي ينتشـر الايمان بها بمثل هـذه الصورة ، لا شك أنّها سـلبت عقول المؤمنين بها ، وصـنعت لهم تاريخا ، ولكن التاريخ لا يعرف أُمّة خلقت تاريخها أُسطورة . .

قال حامد يحدث نفسه :

– اسطورة تخلق تاريخ أمّة . .

بينما كان سالم يتحدث :

– فكيف الحال مع أمّة هي من أرقي أمم العالم حضارة في القرون الوسطي باعتراف المستشرقين أنفسهم .

وكأن افكار حامد كانت تتحرك في مجال اوسع ، بل غير هذا الذي تسير به ذهنية سالم ، وعلي اقل تقدير ، في تلك اللحظات بالذات :

– والعجيب ، أنّ القائلين بهذا يعترفون برقيّ الحضارة الاسلامية

وسموّها بين الحضارات العالمية كافة ، ولا ينكرون دور الاسلام في تهذيب نفوس المؤمنين من سائر البدع والخرافات والعادات البالية التي تمجّها النفوس ، وتستنكرها العقول ، ولـم يلتفتوا إلي أنّ أُمة كهذه لا يمكن اتّفاقها علي الاعتقاد بأُسطورة . .

التفت سالم الي صاحبه ، وهو يحدثه :

– هه ، اظنني كنت اتكلم .. ، اعتقد بانني احادثك يا صاح !

- هه ، اجل !

- . . وأغلب الظنّ أنَّ هؤلاء المستشـرقين لمّا وجـدوا عقائـد أسـلافهم ملأي بالخرافات والأساطير والضـلالات ، كبُر عليهم أن يكتبوا عن الاسـلام الذي هو أنقي من الذهب الابريز ، ومن دون أن يُضـفوا عليه شيئا من أحقادهم ، ولهذا وصفوا ماتواتر نقله عن النبي الأعظم صلي الله عليه و آلهبشأن ظهور المهدي في آخر الزمان بأنّه من الأساطير .

- والمصيبة !

قالهـا حامـد ، ومن دون ان يعي سـالم فحواهـا علي وجه الضـرورة ، الاـ انهـا كـانت علي غالب الامر ، قـد نبّهته الي واضـحٍ من المسائل الاخريات ، حتي اسهمت في نتاج جمل جديدة ، استفاضها سالم ، كأنما استرفدها من رفيقه الذي رفده بها علي غير قصد :

- والمصيبة ليست هنا ، لأنّا نعلم أنَّ القوم كانت قد : كَبُرَت كَلِمَةً تَخرُجُ مِنْ أفْوَاهِهِم إن يَقُولُونَ إلاّ كَذِبا ، بل المصيبة تكمن في كتابات من تقمّصوا لباس السيد جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده . .

- السيد جمال الدين ، والشيخ محمد عبده ؟ !

غمغم حامد بهدوء . . بينما كان يتواصل سالم مع نظرات زميله التي جعلت مساراتها تحلق في اطوار واوطار اخري :

– . . ونظائرهما من قادة الاصـلاح ، مما ساعـد علي إخفاء حقيقتها وواقعها الـذي لم يكن غير الاسـتظلال بفيء الخصوم ، وطلب الهداية ممن غرق في بحر الضلال ، من دون تروٍ مطلوب ، ولا التفات مسؤول إلي مايهدّد تراث الاسلام الخالد ، ويستهدف أُصوله الشامخة .

عندها كانت ذهنية رفيق المتحدث تصحو علي بقية كلام الاخير:

– ومن هنا وجب التحذير من هؤلاء وأُولئك ، والاحتراز عن كل مايُنفَث ، أو يُبَثّ ، قبل بيان الدليل القاطع علي عقيدة المسـلمين بالمهدي في فصول هذا البحث .

(5)

بعد مضي عدة ايام ، كان حامد وابوه قد دُعيا الي حفل عشاء ،

نظمه احـد التجار ، فما كان من ابي حامـد الا ان اصـطحب واياه ولـده حامد ، واذا ما كان الصـخب قد عم اجواء الحفل ، وتناوبت اصداء الحـديث جولاتهـا وهي تتري حول اسـعار السوق ، وهبوط العملاـت، واسـباب ذلـك ، وحوار انثـار في معظم قضايـا التجـارة العالميـة ، والاستيراد والتصدير ، كان فكر حامد يدور في فلك اخر .. كان يحلم

فيما يرغب اليه ، لم يكن ليهتم بسوي اماله التي رسمها له عقله، بل كان يشعر بان عواطفه تسّابق الي ما يحلم الحصول عليه ، قبل ان تعدو اليه فتات عقله ، إن لم تكن اصوله ، ذلك ان كان لبواعث عقلية دور رئيسي في مثل هذه التوجهات .

وعند العودة ، سأله ابوه وهو يقود سيارته :

– كيف كان الحفل ، اعجبك .. هه ! اني اريدك دوما الي جانبي، كي تخبر السوق وتعاملاته ، بل تفهم لغة العمل الرسمية ، ولغة العمل غير الرسمية .

اثارت مثل هذه النبرة ذهنية حامد ، سأله :

– رسمية وغير رسمية ؟ !

– اعني علاقات رسمية ، وعلاقات اخوية .. كما هو الحال في دوائر الدولة ، فكثير من المعاملات تمضي في مثل هذه السهرات ، بينما لا تحل ابسطها وليس اعوصها في ردهات وغرف دوائر الدولة حينما تراجع وتقف مكتوف الايدي صاغرا امام الموظف الذي يود امضاء وتمشية معاملتك .. بينما في مثل هذه الحفلات ، لا تحتاج معها الي مستندات ووثائق مع انها ضرورية ، الا ان قصدي انه لا تحتاج فيها الي تودد ، ومطالبة والحاح وتوضيح ، فالصداقة والعلاقة لها اثرها في

ايقاع انطباع السـهولة والسـلاسة في اسـتحصال ما تريد نيله ! كذلك الحفلات الخاصة بمحافل التجار ، فاغلب المعاملات تبرم عقودها في مثل هذه السـهرات والامسـيات .. الا تدرك سـعادة مثل هذه المشاعر التي يمكن ان يحملها روّاد مثل هذه التقاربات ، فضـلا عن الملبّين لمثل هذه الدعوات الساهرة .

– اقول ، هل يفكر التجار بمسائل الدين مثلما يفكرون بمسائل الدنيا .. اقصد معاملاتهم التجارية ؟

– لا افهم ما تعني ؟

– اقول هل يفهمون قضية المهدي .. اعني منجي البشرية ؟

– المهدي .. منجي البشرية .. هل تدرسون هذا في مناهجكم ؟

– هذا ليس بمهم ..

– اقصد هل يوضح لكم معلّموكم مثل هذه المسائل ؟

– يتعرضون لمثلها !

– واذن ، فكلٌّ منّا في فلك سائرون ، هه (ضـحك الاب) مثل هـذه الافلاك .. فما لقيصـر اعطه لقيصـر ، فاعط الخبر لخبازه يعني الطبيب يعالج المرضي والفلاح يزرع الارض والمهندس يخطط للبناء والتجار يسهمون في انعاش مصالح العباد ويوفرون لهم ما يحتاجونه ..

– ان كل هذا من المسـلمات وهو اصح من الصحيح . الا انه هل يمكن ان ينسي الاب المهندس ابناءه ، او يتخلي الطبيب الاخ عن اخيه ، او يترك الفلاـح امه تتردي في مرضـها من دون اسـعافها لتلقيهـا العلاـج ، كـذلك الـدين فهل يمكن للتاجر أن يتخلي عنه في معاملاته، أو لايصال نفسه الي حقيقة العبادة .

– يا هـذا ، ماذا تتصورنا نحن التجار ، او ماذا تتصور اباك .. هل تخالنا كفارا ! ام لا تبصـرنا كذلك حينما نتخلي عن اعمالنا ونصـير نشـحذ ونتكفكف ايدي الناس ونسأل الرائح والجائي ، فنعيش علي الكدية والاستنداء .. وكل ذلك من اجل التفرغ للعبادة .. الا تري ان ذلك هو لا يرضاه الله نفسه ، وقـد ذم الرسول الكثير ممن كانوا يعتكفون في المساجـد ويذرون البيع والشـراء والتجارة .. فلا نحن من الذين نترك الدين لاجل التجارة حتي ينفضوا عن الرسول ومن حوله ، ولا نحن ممن يتخلي عن الـدنيا لاجل الـدين ، لانه ليس منّا من ترك دنياه لـدينه .. والا فما فائدة العيش ، وما هي الغاية اذن من خلق الله للعباد والناس ؟ !

– انا لا اقصد هذا .. بل ادرك ان الحقائق ..

وغابت كلماته في ظل ابواق السيارات التي اجتمعت خلف بعضها

البعض حينما اصبح الطريق مزدحما .. حتي تعجب الاب ونسي حديث ولده الذي كف عن الكلام .. لان الساعة الان هي الحادية عشرة ليلاـ . ومن الطبيعي ان لاـ تتعرض الشوارع والطرقات الي اي نوع من الازدحام .. ولقد كان ثمة حادث تعرضت فيه ثلاث سيارات الي الاصطدام مع بعضها .. فاضطرت قوافل السيارات المتفرقة الي التوقف مما دعتها الظروف الي ان تشكّل جمعا مزدحما من العجلات المارّة .

(6)

– لا يخفي أنّ القرآن الكريم والسنّة النبويّة صنوان لمشرّع واحد . وعقيدة المسلمين بالمهدي المتواترة عن النبي صلي الله عليه و آله بلا شك ولا شبهة قد أيدها القرآن الكريم بجملة من الآيات المباركة التي حملها الكثير من المفسرين علي المهدي المبشَّر بظهوره في آخر الزمان .

كان المتحدث هو احد المختصين في الدراسات السياسية في الجامعة يتحدث الي سالم وحامد ، حيث كان هذا الشخص هو جار لكليهما .. مما دعتهما الحاجة الي ان يطرحا عليه مثل هذا الموضوع حتي صار يضيف قائلا :

– وإذا ما تواتر شيء عن النبي صلي الله عليه و آله ، فلا بد من التسليم بأنّ القرآن

الكريم لم يهمله بالمرّة وإن لم تدركه عقولنا . إذن فان استجلاء هذه العقيدة من الآيات المباركة منوط بمن يفهم القرآن حق فهمه ، ولا شك بأنّ أهل البيت عليهم السلامهم عدل القرآن بنصّ حديث الثقلين المتواتر عند جميع المسلمين، وعليه فإنّ ما ثبت تفسيره عنهم عليهم السلاممن الآيات بالمهدي لا بد من الاذعان إليه والتصديق به .

– وكيف يمكن الاحتجاج بهذه الاخبار ؟

سأله حامد ، اجابه قائلا :

– وفي هذا الصدد قد وقف المحدثين علي الكثير من أحاديث أهل البيت عليهم السلام المفسرة لعدد من الآيات المباركة بالامام المهدي . وما علي المحاجج أن يتعرض إلاّ الي ما كان مؤيدا بما في تفاسير أصحاب المذاهب الأُخري ورواياتهم . وذلك وفقا لقاعدة الزام الطرف الاخر بما لديه من كتب ومصادر يقر بها هو نفسه ويعتقد !

وبينما هم كذلك اذ اشترك معهم شخص رابع في المناقشة .. حتي اذا احتدم النقاش وثارت قضاياه ، كان لهذا المضاف عليهم ، ان يدركهم بشيء مما يحفظ من ايات القرآن المدلّلة علي ذلك ، حتي اذعنوا له بالصمت والاصغاء صاغرين ، فأنشأ يحدثهم وهو يقول :

– فمنها انّ أعداء هذا الدين من أهل الكتاب والمنافقين والمشركين ومن والاهم : يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللّه بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبِي

اللّهُ إلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ ولَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ .

– وما الذي تبينه لنا هذه الاية ؟

قال ذلك حامد ، اجابه :

– فهـذه الآيـة العجيبة بينت لنا أنّ حال هؤلاء كحال من يريد بنفخة فم إطفاء نور عظيم منبثّ في الآفاق ، ويريد اللّه تعالي أن يزيده ويُبلِغَهُ الغايـة القُصوي في الاشـراق والاضاءة . وفي هـذا منتهي التصـغير لهم والتحقير لشأنهم والتضـعيف لكيدهم ؛ لانَّ نفخة الفم القادرة علي إطفاء النور الضعيف – كنور الفانوس – لن تقدر علي إطفاء نور الاسلام العظيم الساطع .

– جميل جدا .

قالها استاذ السياسة . بينما استطرد الرابع قائلا :

– وهـذا من عجائب التعبير القرآني ، ومن دقائق التصوير الالهي، لما فيه من تمثيل فنّي رائع بلغ القمـة في البيان ، ولن تجد له نظيرا قط في غير القرآن . ثم تابع القرآن الكريم ليبين لنا بعد هذا المثال ، إرادة اللّه عزَّ وجل الظهور التام لهذا الدين رغم أنوفهم ، فقال تعالي : هُوَ

الّذِي أرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُـدي وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الـدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْـرِكُونَ . والمراد بدين الحق هو دين الاسـلام بالضـرورة . ولقوله تعالي : وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ الاسْلامِ دِينا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهْوُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ .

– وغير ذلك ؟

– قوله تعالي : لِيُظهِرَهُ عَلي الَّدينِ كُلَّه ، أي : لينصـره علي جميع الأديان ، والضمير في قوله تعالي : لِيُظهِرَهُ ، راجع إلي دين الحق عند معظم المفسرين وأشهرهم ، وجعلوه هو المتبادر من لفظ الآية .

– ان الاية تتحدث عن الاسلام وحسب ؟ !

– ان هذه بشري عظيمة من اللّه تعالي لرسوله صلي الله عليه و آله بنصرة هذا الدين و إعلاء كلمته ، وقد اقترنت هذه البشري بالتأكيد علي أنّ إرادة أعداء الدين إطفاء نور الاسلام سوف لن تغلب إرادته تعالي وهي إظهار دينه القويم علي سائر الأديان ، ولو كره المشركون . .

– وبالتالي ، لم تفدنا الاية بحقيقة ما نريد الاستدلال عليه !

– اصبر قليلا (قالها لحامـد) . . والاظهار في الآية لا يراد به غير الغلبة والاستيلاء .. قال الرازي في تفسـيره الكبير : واعلم أنّ ظهور الشـيء علي غيره قد يكون بالحجّة ، وقد يكون بالكثرة والوفور ، وقد

يكون بالغلبـة والاستيلاء . ومعلوم أنّه تعالي بشّـر بذلك ، ولا يجوز أن يبشّـر إلاّ بأمر مسـتقبل غير حاصل ، وظهور هذا الدين بالحجة مقرر معلوم ، فالواجب حمله علي الظهور بالغلبة .

– الظهور بالغلبة ؟

سأله سالم ، فقال مستطردا :

– فلا يخفي بأنّ تلك الغلبـة علي الأديان الأُخري ، قد تحققت في عهد النبي صـلي الله عليه و آله وخير دليل علي ذلك أنّهم دفعوا الجزية للمسـلمين عن يدٍ وهم صاغرون ، ولا يخفي أيضا أنّ تلك الغلبة والنصـرة كانت بما يتناسب وصيرورة الاسلام دينا قويا مهاب الجانب وذا شوكة .

– واذن ؟ !

– واذن ، فان واقعنا اليوم لمّا كان هو الاخر ليس كذلك . . فالذين دفعوا لنا الجزية بالأمس قد سيطروا اليوم علي مقدساتنا ، والعدو أحاط بنا ، وغُزِينا في عقر ديارنا ، مع ما يلاحظ من نشاط التبشـير بأديان أهل الكتاب علي قـدمٍ وساق . وإذا كنا نعتقـد حقا بأنّ القرآن الكريم صالح ليومه وغـده ؛ فهل يكون معني ظهور الـدين علي سائر الأديان منطبقا علي واقع الاسـلام اليوم الـذي يكاد يكون مطوقا بأنظمـة المسـلمين وسياساتهم ؟ وهل لتلك البشري من مصداق واقعي

غير كثرة من ينتمي إلي الاسلام مع ما في هذه الكثرة من تضاد وتناقض واختلاف في العقائد والأحكام ؟ !

- ؟ !

- هـذا مع أنّ ثمة ما هو مروي عن قتادة في قوله تعالي: لِيُظهِرَهُ عَلي الَّدينِ كُلَّه ، حيث قال : هو الأديان السـتة : الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصاري ، والمجوس ، والذين أشـركوا . فالأديان كلّها تدخل في دين الاسلام ، والاسلام يدخل في شيء منها ، فإنّ اللّه قضي بما حكم وأنزل أن يُظهر دينه علي الدين كلّه ولو كره المشركون . كما انه قد ورد في تفسير ابن جزّي : وإظهاره : جعله أعلي الأديان واقواها ، حتي يعم المشارق والمغارب . وهذا هو المروي عن أبي هريرة كما نصَّ عليه جملة من المفسرين .

وما كان المتحدث الرابع الا اسـتاذ في كلية الاداب ، مدرس في علوم القرآن والحديث واللغة في الجامعة ، فابتدره عالم السياسة الذي كان له المام هو الاخر في الاخبار ، فقال له :

- الا ان ثمة ما جاء في الاخبار في قوله تعالي : لِيُظهِرَهُ عَلي الَّدينِ كُلَّه ، انه قيل : لا يكون ذاك حتي لا يبقي يهودي ولا نصراني صاحب ملّة إلاّ الاسلام . وعن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول اللّه صلي الله عليه و آله

يقول : لايبقي علي ظهر الأرض بيت مدر ولاوبر إلاّ أدخله كلمة الاسلام ، إما بعزٍّ عزيز ، وإما بذلٍ ذليل . إما يعزهم فيجعلهم اللّه من أهله فيعزّوا به ، وإما يُذلّهم فيدينون له . ومن هنا ورد في الأثر عن الامام الباقر عليه السلام أن الآية مبشّرة بظهور المهدي في آخر الزمان ، وأنه – بتأييد من اللّه تعالي – سيُظهر دين جده صلي الله عليه و آلهعلي سائر الأديان حتي لا يبقي علي وجه الأرض مشرك . وهو قول السدّي المفسّر . بينما قال القرطبي : وقال السدّي : ذاك عند خروج المهدي ، لايبقي أحد إلاّ دخل في الاسلام .

بينما عاد استاذ علوم القرآن والحديث في كلية الاداب ليقول :

– كما ثمة قوله تعالي : وَلو تَري إذ فَزِعُوا فلا فَوْتَ وأُخِذُوا مِن مكانٍ قريب . حيث أخرج الطبري في تفسيره ، عن حذيفة بن اليمان تفسيرها في الجيش الذي يُخسف به ، وسيأتي مايدلّ علي أنّ ذلك الخسف لم يحصل إلي الآن علي الرغم من روايته في كتب الصحاح والمسانيد المعتبرة ، وأنه من أشراط الساعة المقترنة بظهور المهدي بلا خلاف . وما أخرجه الطبري ذكره القرطبي في التذكرة مرسلاً عن حذيفة بن اليمان ، وبه صرّح آخرون في تفاسيرهم . كذلك قوله تعالي : وَإنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذا صِراطٌ مُستَقيمٌ . فقد

صرّح كثير من المفسرين بأن الآية تختص بنزول عيسي بن مريم عليه السلام في

آخر الزمان . وقد أوّلها مجاهد في تفسيره ، وهو من رؤوس التابعين ومشاهيرهم في التفسير ، بنزول عيسي عليه السلامأيضا(1)

.

بينما قال المختص بالعلوم السياسة :

– وأما قوله عز وجل : وإنّه لَعلمٌ للساعة ، فهو المهدي عليه السلام، يكون في آخر الزمان ، وبعد خروجه يكون قيام الساعة وأمارتها . ومثل هذا التصريح تجده عند كثير من المفسرين والمحدثين من مثل ابن حجر الهيثمي ، والشبلنجي الشافعي ، والسفاريني الحنبلي والقندوزي الحنفي ، والشيخ الصبّان . ولا خلاف بين هؤلاء وأولئك لأنّ نزول عيسي سيكون مقارنا لظهور المهدي كما في صحيحي البخاري ومسلم وسائر كتب الحديث الأُخري . ويؤيدّه الكثير حيث يؤيدون أنها في نزول عيسي بن مريم مع التصريح بوجود الامام المهدي وقت نزول عيسي بن مريم ، وأنه يصلّي خلف المهدي عليهماالسلام .

– !!

– وقوله تعالي : فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ * الجَوارِ الكُنَّسِ ، فقد ورد في الأثر عن الامام الباقر7 أنه قال : إمام يخنُس سنةَ ستين ومائتين ، ثم

1– تفسير مجاهد 2 : 583.

يظهر كالشهاب يتوقّد في الليلة الظلماء ، فإن أدركت زمانه قرّتْ عينك . ولا يخفي أن هذا من الاخبار المعجز الذي علمه أهل البيت عليهم السلامعن رسول اللّه صلي الله عليه و آلهوالذي تلقّاه من الوحي عن اللّه جلّ شأنه .

سأله حامد ، فقال :

– هل ان أحاديث المهدي الواردة في كتب المسلمين تكفي للجزم بتواترها عن النبي صلي الله عليه و آله من دون أدني تردّد .

– ان نظرة واحدة في ذلك كله هي لتكفي وذلك من بعد التأكد من مسانيدها ورجالها وما الي ذلك .

– هل يمكن ان نعتمد علي اولئك الذين اخرجوا أحاديث المهدي؟

– لا يبعد القول بأنّه ما من محدّث من محدّثي الاسلام(1)

إلاّ وقد

1– من مثل ابن سعد صاحب الطبقات الكبري ت/230 ه ، وابن أبي شيبة (ت/235 ه) ، وأحمد بن حنبل (ت/241 ه) ، والبخاري (ت/256 ه) ذكر المهدي بالوصف دون الاسم ، ومثله فعل مسلم (ت/261 ه) في صحيحه كما سنبينه في الفصل الثالث من هذا البحث ، وأبو بكر الاسكافي (ت/260 ه) ، وابن ماجة (ت/273 ه) ، وأبو داود (ت/275 ه)، وابن قتيبة الدينوري (ت/276 ه)، والترمذي (ت/279 ه)، والبزار (ت/292 ه) ، وأبو يعلي الموصلي (ت/307 ه) ، والطبري (ت/310 ه) ، والعقيلي (ت/322 ه)، ونعيم بن حماد (ت/328 ه) ، وشيخ الحنابلة في وقته البربهاري (ت/329 ه) في كتابه (شرح السنّة) ، وابن حبان البستي (ت/354 ه) ، والمقدسي (ت/355 ه) ، والطبراني (ت/360 ه)، وأبو الحسن الآبري (ت/363 ه) ، والدارقطني (ت/385 ه) ، والخطابي (ت/388 ه) ، والحاكم النيسابوري (ت/405 ه) ، وأبو نعيم الاصبهاني (ت/430 ه) ، وأبو عمرو الداني (ت/444 ه) ، والبيهقي (ت/458 ه) ، والخطيب البغدادي (ت/463 ه) ، وابن عبد البر المالكي (ت/463 ه) ، والديلمي (ت/509 ه) ، والبغوي (ت/510 أو 516 ه) ، والقاضي عياض (ت/544 ه) ، والخوارزمي الحنفي (ت/568 ه) ، وابن عساكر (ت/571 ه) ، وابن الجوزي (ت/597 ه) ، وابن الجزري (ت/606 ه) ، وابن العربي (ت/638 ه) ، ومحمد بن طلحة الشافعي (ت/652 ه) ، والعلاّمة سبط ابن الجوزي (ت/654 ه) ، وابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي (ت/655 ه) ، والمنذري (ت/656 ه) ، والكنجي الشافعي (ت/658 ه) ، والقرطبي المالكي (ت/671 ه) ، وابن خلكان (ت/681 ه) ، ومحب الدين الطبري (ت/694 ه) ، والعلاّمة ابن منظور (ت/711 ه) (في مادة هدِيَ من لسان العرب) ، وابن تيمية (ت/728 ه) ، والجويني الشافعي (ت/730 ه) ، وعلاء الدين بن بلبان (ت/739 ه) ، وولي الدين التبريزي (ت/بعد سنة 741 ه) ، والمزي (ت/739 ه) ، والذهبي (ت/748 ه) ، وابن الوردي (ت/749 ه) ، والزرندي الحنفي (ت/750 ه) ، وابن قيم الجوزية (ت/751 ه) ، وابن كثير (ت/774 ه) ، وسعد الدين التفتازاني (ت/793 ه) ، ونور الدين الهيثمي (ت/807 ه) ، وابن خلدون المغربي (ت/808 ه) الذي صحح أربعة أحاديث من أحاديث المهدي علي الرغم من موقفه المعروف والذي سيأتيك بيانه في الفصل الثالث ، والشيخ محمد الجزري الدمشقي الشافعي (ت/833 ه) ، وأبو بكر البوصيري (ت/840 ه) ، وابن حجر العسقلاني (ت/852 ه) ، والسخاوي (ت/902 ه) ، والسيوطي (ت/911 ه) ، والشعراني (ت/973 ه) ، وابن حجر الهيتمي (ت/974 ه) ، والمتقي الهندي (ت/975 ه) إلي غير ذلك من المتأخرين كالشيخ مرعي الحنبلي (ت/1033 ه) ، ومحمد رسول البرزنجي (ت/1103 ه) ، والزرقاني (ت/1122 ه) ، ومحمد بن قاسم الفقيه المالكي (ت/1182 ه) ، وأبي

العلاء العراقي المغربي (ت/1183 ه) ، والسفاريني الحنبلي (ت/1188 ه) ، والزبيدي الحنفي (ت/1205 ه) في كتاب (تاج العروس) مادة : هَدِي، والشيخ الصبّان (ت/1206 ه) ، ومحمد أمين السويدي (ت/1246 ه) ، والشوكاني (ت/1250 ه) ، ومؤمن الشبلنجي (ت/1291 ه) ، وأحمد زيني دحلان الفقيه والمحدث الشافعي (ت/1304 ه) ، والسيد محمد صديق القنوجي البخاري (ت/1307 ه) ، وشهاب الدين الحلواني الشافعي (ت/1308 ه) ، وأبي البركات الآلوسي الحنفي (ت/1317 ه) ، وأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (ت/1329 ه) ، والكتاني المالكي (ت/1345 ه) ، والمباركفوري (ت/1353 ه) ، والشيخ منصور علي ناصف (ت/ بعد سنة 1371 ه) ، والشيخ محمد الخضر حسين المصري (ت/1377 ه)، وأبي الفيض الغماري الشافعي (ت/1380 ه) ، وفقيه القصيم بنجد الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع (ت/1385 ه) ، والشيخ محمد فؤاد عبد الباقي (ت/1388 ه) ، وأبي الاعلي المودودي ، وناصر الدين الالباني إلي ماشاء اللّه من المعاصرين ، واذا ماضفنا اليهم أعلام المفسرين من أهل السنة أيضا فلك ان تقدر حجم الاتفاق علي رواية احاديث المهدي ، والاحتجاج بها . واما عن أعلام الشيعة ومحدثيهم ومفسريهم الذين أوردوا أحاديث المهدي فقد يسمح التعرض لبيان اسمائهم ؛ لكون الايمان المطلق بظهور المهدي عندهم من أصول عقائدهم .

أخرج بعض الأحاديث المبشّرة بظهور الامام المهدي في آخر الزمان ، وقد أفردوا كتبا كثيرة في الامام المهدي خاصة .

بينما توجه سالم الي استاذ علوم القرآن والحديث قائلا :

– والصحابة ، انت يا استاذنا ، تري ما يمكنك القول بصددهم ؟!

قال :

– إنّ الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله أو

الـذين كانت أحاديثهم موقوفـة عليهم ولها حكم الرفع إلي النبي صـلي الله عليه و آله – إذ لا يعقل اجتهادهم في مثل هذا – كثيرون جدا ، ولو ثبت النقل عن عُشرهم لثبت التواتر بلا شك ولا شبهة ، كما في مصادر أهل السنة وحدهم مثلا(1)

.

بينما كان لحامد ان يهتم بكتب اهل السنة اكثر لان امه هي سنية

وكانت قد استبصرت فيما مضي من السنين ، ومن قبل علي يد ابيها الذي كان قد تشيّع سلفا ، فقال عندها حامد :

– هل يمكن ان تطلعنا علي طرق أحاديث المهدي في كتب السنة إجمالاً ؟

1– من مثل فاطمة الزهراء3 ت/11 ه ، ومعاذ بن جبل (ت/18 ه) ، وقتادة بن النعمان (ت/23 ه) ، وعمر بن الخطاب (ت/23 ه) ، وأبو ذر الغفاري (ت/32 ه) ، وعبد الرحمن بن عوف (ت/32 ه) ، وعبداللّه بن مسعود (ت/32 ه) ، والعباس بن عبد المطلب (ت/32 ه) ، وعثمان بن عفان (ت/35 ه) ، وسلمان الفارسي (ت/36 ه) ، وطلحة بن عبداللّه (ت/36 ه) ، وعمار بن ياسر (ت/37 ه) ، والامام علي7 (ت/40 ه) ، والامام الحسن السبط7 (ت / 50 ه) ، وتميم الداري (ت/50 ه) ، وعبد الرحمن بن سـمرة (ت/50 ه) ، ومجمع بن جاريـة (ت/50 ه) ، وعمران بن حصين (ت/52 ه) ، وأبو أيوب الانصاري (ت/52 ه) ، وثوبان مولي النبي6 (ت/54 ه) ، وعائشة (ت/58 ه)، وأبو هريرة (ت/59 ه)، والامام الحسين السبط الشهيد7 (استشهد سنة 61 ه) ، وأم سلمة (ت/62 ه) ، وعبـداللّه بن عمر بن الخطاب (ت/65 ه) ، وعبداللّه بن عمرو ابن العاص (ت/65 ه) ، وعبداللّه بن عباس (ت/68 ه) ، وزيد بن أرقم (ت/68 ه) ، وعوف بن مالك (ت/73 ه) ، وأبو سعيد الخدري (ت/74 ه) ، وجابر بن سمرة (ت/74 ه) ، وجابر بن عبداللّه الانصاري (ت/78 ه) ، وعبداللّه بن جعفر الطيار (ت/80 ه) ، وأبو أمامة الباهلي (ت/81 ه) ، وبشـر بن المنـذر بن الجارود (ت/83 ه) وقـد اختلفوا فيه فقيـل الراوي هو جـده الجـارود بن عمرو (ت/20 ه) ، وعبـداللّه بن الحارث ابن جزء الزبيـدي (ت/86 ه) ، وسـهل بن سـعد الساعدي (ت/91 ه) ، وانس بن مالـك (ت/93 ه) ، وأبو الطفيـل (ت/100 ه) . وغيرهم ممن لـم اقف علي تاريـخ وفياتهم كأُم حبيبة ، وأبي الجحّاف ، وأبي سـلمي راعي رسول اللّه 6 ، وأبي ليلي ، وأبي وائل ، وحذيفة بن اسـيد ، وحذيفـة بن اليمان ، والحرث بن الربيع أبي قتادة ، وزر بن عبـداللّه ، وزرارة بن عبداللّه ، وعبداللّه بن أبي أوفي ، والعلاء ، وعلقمة بن عبداللّه ، وعلي الهلالي ، وقرة بن أياس .

– لقد أجاد وأفاد الاستاذ الازهري السيد أحمد بن محمد بن الصديق ، أبو الفيض الغماري الحسني الشافعي المغربي (ت/1380 ه) في كتابه الرائع : (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) حيث أثبت فيه تواتر أحاديث الامام المهدي عليه السلام بما لم يسبقه أحد إليه من قبل ، وذلك تفنيدا لتضعيفات ابن خلدون التي تذرع بها بعض معاصريه كأحمد أمين المصري ومحمد فريد وجدي وغيرهما . ولقد تعرض لايراد العديد من طرق أحاديث المهدي في كتب السنّة ، حتي عبّر عن مقدرة فائقة في تتبع طرق وأسانيد أحاديث الامام المهدي في كتب أهل السنّة ابتداءً من طبقة الصحابة ثمّ التابعين ثمّ تابعي التابعين وصولاً إلي من أخرج هذه الأحاديث من المحدثين .

بينما توجه استاذ علوم السياسة اليه بالقول :

– انه مما لا يخفي علي اللبيب أن العادة قاضية باستحالة تواطي ء جماعة يبلغ عددهم ثلاثين نفسا فأزيد في جميع الطبقات(1)

، وذلك

فيما بلغنا وأمكننا الوقوف عليه في الحال ، فقد وجدنا خبر المهدي واردا من طريق الكثير من اهل الحديث(2)

. ولو تتبعنا ذلك لحصلنا منه

1– طبقات المحدثين :

2– حديث أبي سعيد الخدري ، وعبداللّه بن مسعود ، وعلي بن أبي طالب ، وأُم سلمة ، وثوبان ، وعبداللّه بن جزء بن حارث الزبيدي ، وأبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وجابر بن عبداللّه الانصاري ، وقرة بن أياس المزني ، وابن عباس ، وأُم حبيبة ، وأبي أُمامة ، وعبداللّه بن عمرو بن العاص ، وعمار بن ياسر ، والعباس بن عبدالمطلب ، والحسين بن علي ، وتميم الداري ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبداللّه بن عمر بن الخطاب ، وطلحة ، وعلي الهلالي ، وعمران بن حصين ، وعمرو بن مرة الجهني ومعاذ بن جبل ، ومن مرسل شهر بن حوشب ، وهذا في المرفوعات دون الموقوفات والمقاطيع التي هي في مثل هذا الباب من قبيل المرفوع .

علي العدد الوافر ، ولكن في المرفوع(1)

منه الكفاية . كما انه كان قد فات البعض ذكر جميع أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث الامام المهدي ، لان عددهم هو أكثر مما ذكروه ، ولم يذكروا صحابة اخرين(2) . ولو رجعت إلي تاريخ ابن خلدون لوجدته لم يعرف أغلب هذه الطرق(3) إذ لم يذكر من طرق حديث أبي سعيد إلاّ القليل، فضلاً عما تركه من أحايث الصحابة الآخرين . ولا يخفي أنّ القدر المشترك في جميع هذه الطرق إلي حديث أبي سعيد الخدري(4) فقط دون سواه هو ظهور الامام المهدي عليه السلام في آخر الزمان ، ولاشك أن النظر إلي جميع الطرق التي وردت بها أحاديث المهدي عن جميع الصحابة

1- الحديث المرفوع :

2- وهم ثمانية وعشرون صحابيا آخر وهم : أبو أيوب الانصاري ، وأبو الجحّاف ، وأبو ذر الغفاري ، وأبو سلمي راعي رسول اللّه صلي اللّه عليه وسلم ، وأبو وائل ، وجابر بن سمرة ، والجارود بن المنذر العبدي ، وحذيفة بن اسيد ، وحذيفة بن اليمان ، والحرث بن الربيع ، والامام السبط الحسن ، وزر بن عبداللّه ، وزرارة بن عبداللّه ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، وسعد بن مالك ، وسلمان الفارسي ، وسهل بن سعد الساعدي ، وعبد الرحمن بن سمرة ، وعبداللّه ابن أبي أوفي ، وعبداللّه بن جعفر الطيار ، وعثمان بن عثمان ، والعلاء ، وعلقمة بن عبداللّه ، وعمر بن الخطاب ، وعوف بن مالك ، ومجمع بن جارية ، ومعاذ بن جبل وهو من أوائل الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي فقد مات معاذ سنة 18 ه في معجم أحاديث الامام المهدي خمس مجلدات احصاء دقيق لجميع روايات الصحابة في المهدي مع بيان مصادرها عند أهل السنة والشيعة الامامية.

3- طرق الحديث :

4- ابو سعيد الخدري :

يقطع بتواتر ما بشّر به النبي صلي الله عليه و آله ، بل حتي لو افترضنا وجود طريق واحد فقط لكل صحابي ذُكر فهو يكفي للاذعان بالتواتر ، وقد مرّ أنّ عددهم يزيد علي الخمسين صحابيا .

(7)

وذات ليلـة نهض حامد وسالم ، واغلب اهل المحلة علي اصوات فزعة ذعرة ، انطلقت في قلب الليل ، كان ثمة حريق ضـعيف قد شب في احد المنازل ، فهب الجميع لنجدة اهل تلك الدار المنكوبة ، ولقد كانت احدي الصـغيرات قد دفعت بقدمها وهي نائمة احد القناديل التي اشـعلتها الي جانبها حبا في رؤيـة ومطالعة الوان نيران القنديل ، فما كان منه الا ان انسـفح نفطه وامتدت النيران لتلتهم ما حولها من البُسـط والافرشة لولا ان ستر الله علي سـكان الدار حينما تنبهت الام وبسرعة الي الحريق ، فاحتضنت صغيرتها وانطلقت بها الي خارج الدار حتي هرع اليها الناس بعد صـياح وعويل ، استفزعتهم بهما . ولقد كانت هي الاخري قد هبّت لاطفاء واحتواء مساحات ذلك الحريق .. وبعد ان انقضي وقت علي القضاء علي تلك النيران .. كان لحامد ان يطالع وجه

استاذ علوم القرآن والحديث في ضمن من هبّوا لاغاثة المرأة واطفاء النيران . حتي اذا ما انفض الناس وهدأ الليل ، وعادت انسام الصمت تداعب الفضاء، كان لحامد والاستاذ ان يسيرا جنبا الي بعض ، يتحدثان عن الجامعة وازماتها ومشكلات الدرس والتحصيل فيها .. حتي انقادا للحديث عن صحة ما ورد من أحاديث المهدي ، وذلك حينما تطرقا الي الجامعات في زمان ظهور الحجة ، فقال الاستاذ :

– ان ممن صرح بصحة أحاديث المهدي عليه السلام من أعلام أهل السنة حسبما وقفت عليهم في مؤلفاتهم ، اخص بالذكر منهم : الامام الترمذي ، قال عن ثلاثة أحاديث في الامام المهدي : هذا حديث حسن صحيح . وقال عن حديث رابع : هذا حديث حسن . كذلك الحافظ أبو جعفر العقيلي ، أورد حديثا ضعيفا في الامام المهدي ثم قال : وفي المهدي أحاديث جياد من غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ . كما ان الحاكم النيسابوري كان قد قال عن أربعة أحاديث : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وعن ثلاثة أحاديث : هذا حديث صحيح الاسناد علي شرط مسلم ولم يخرجاه . وعن ثمانية أحاديث : هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه) . والامام البيهقي ، هو الاخر كان قد قال : والاحاديث علي خروج

المهدي أصح إسـنادا . والامام البغوي ، أخرج حديثا في المهدي في فصل الصـحاح وخمسة أحاديث فيه أيضا في فصل الحسان من كتابه مصابيح السنة .

– وغير هؤلاء ؟ !

– كذلك كان لابن الأثير نصـيب في ذكر مثل هذا . كما حصل نفس الشـيء للقرطبي المالكي ، وهو من القائلين بالتواتر . وما يهمنا هنا انه قال عن حديث ابن ماجة في المهدي : اسناده صحيح ، مصرحا بأنّ حديث : المهدي من عترتي من ولد فاطمة ، هو أصح من غيره . كذلك ابن تيميـة ، حيث قـال في كتـابه منهـاج السـنة : إن الاحاديث التي يحتـج بها – يعني : العلاّمـة الحلي – علي خروج المهـدي ، أحاديث صحيحـة . كـذلك الحافظ الـذهبي ، والكنجي الشافعي حيث اخبر عن حـديث : المهـدي حق وهو من ولـد فاطمة ، بالقول : هذا حديث حسن صـحيح ! هـذا فضـلا عمـا قـاله غيرهم في هـذا الصـدد من مثـل الحافظ ابن القيّم ، وابن كثير ، والتفتازاني ، ونور الـدين الهيثمي ، والسيوطي ، والشوكاني ، وناصر الدين الالباني .

– وهل صرح العلماء بتواتر أحاديث المهدي ؟

– لقد صرّح علماء الدراية وجملة من ذوي الاختصاص بعلوم

الحديث دراسة وتدريسا بتواتر أحاديث المهدي الواردة في كتب أهل السنة من الصحاح والمسانيد وغيرها ، ولكثرتهم لا يمكنني حصرهم .. وبعد دردشات ومجاذبات في الكلام ، تبادلا السلام والتحيات ، وودع كل منهما الاخر ، وذهبا الي منزلهما .

(8)

رقد حامد في فراشه ، كان المذياع الي جانبه ، جعل يستمع ويصغي اليه ، واذا ما انقضت دقائق ، اغلقه ، وأغمض عينيه حتي أخلد الي النوم ، واستغرق في سباته حتي كان له ان يطوف في عالم هو مزيج من عالم المشاهدة والرؤيا ، فجعل ذهنه يستغرق في امواج متصاعدة من اسماء المحدثين من اهل الخبر ، وكأن وحي نفسه قد انشأ يسائل قرارة ذاته :

– لِمَ يبحث عن رواة احاديث صاحب الزمان ، لِمَ يفتش عن هذه الدقائق ليتأكد من صحة هذا الاعتقاد الجازم به قلبه قبل لسانه وعقله .. حتي كان له ان يخترق غابة من الغابة ، تتعانق فيها الاغصان، وتتأرجح عبرها رؤوس مطالعها واذا ما انتهي الي كوخ وجد نفسه قد انتهي من

الغابة وخرج منها واذا به يلتقي باناس ، جعلوا يعرّفون انفسهم اليه من دون ان يسألهم ، فاذا ما مرّ بالاول ، وكأنه كان يفتش حرسا جمهوريا ، فلقيه هذا ليطلق زمام لسانه ويخبره قائلا :

– انا البربهاري شيخ الحنابلة وكبيرهم في عصري انا المتوفي في سنة 329 للهجرة . نقل عنّي الشيخ حمود التويجري في كتابه : الاحتجاج بالأثر علي من أنكر المهدي المنتظر ص 28 انه قال في كتابه : شرح السنة : (الايمان بنزول عيسي بن مريم عليه السلام : ينزل .. ويصلي خلف القائم من آل محمد صلي اللّه عليه وسلم . ولا يخفي ان الايمان يعني : الاعتقاد ، والاعتقاد لا يبني علي خبر الآحاد .

واذا ما انتهي من الاول ، وهو ينظر اليه بتعجب والمام ، طالعه محيّا الثاني مبادرا اياه كسابقه ، وهو يقول :

– أنا محمد بن الحسين الآبري الشافعي ، أنا هو المتوفي سنة 363 للهجرة . كنت قد تحدّثت في كتابي : مناقب الشافعي : قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفي صلي اللّه عليه وسلم بمجيء المهدي ، وأنه من أهل بيته صلي اللّه عليه وسلم وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلاً ، وانه يخرج مع عيسي فيساعده علي قتل الدجال . وقد نقل عني القرطبي المالكي في التذكرة : 71

والمزني في تهذيب الكمال 52 : 461 / 1815 في ترجمة محمد بن خالد الجندي ، وابن القيّم في المنار المنيف : 241 / 327 وغيرهم .

واذا ما عبره ، ابتدره الثالث ، ليقول :

– أنـا القرطبي المـالكي ، توفيت في عام716 للهجرة ، نقـل قولي الآبري المتقـدم ، وأيّـده بتصـحيح ما أوردته من أحاديث المهـدي ولقد احتججت بقول الامـام الحافظ الحاكم النيسابوري : والاحاديث عن النبي صـلي اللّه عليه وسـلم في التنصـيص علي خروج المهـدي من عترته من ولد فاطمة ، ثابتة . ولقد قلت في تفسـيري : الجامع لاحكام القرآن ، وذلك في تفسير الآية 33 من سورة التوبة : الاخبار الصحاح قد تواترت علي ان المهدي من عترة الرسول صلي اللّه عليه وسلم .

بينما طفق الرابع يعرّف اليه نفسه :

– أنـا الحافـظ المتقن جمال الـدين المزي ، المتوفي عام 247 ، احتججت بقول الآـبري المتقـدم في تواتر أحـاديث الامام المهـدي ، ولم أتعرض له بشيء ، بل أطلقته إطلاق المسلّمات .

في حين قفز الخامس أمامه ، ليقول :

– أما انا فانا الذي ادعي بابن القيّم ، توفيت في سنة 157 للهجرة ، أيّدت قول الآبري أيضا ، وذلك بتقسيم أحاديث الامام المهدي إلي

أربعة أقسام : الصحاح ، والحسان ، والغرائب ، والموضوعة ، ولا يخفي بأن مجموع الصحاح والحسان مما يبلغ التواتر لكثرته واستفاضته .

وحال السادس بين حامد وبين مواصلة مسيره :

– وانا ! انا الـذي يسـمي بابن حجر العسـقلاني ، لقد توفاني الله في عام 258 للهجرة . نقلت القول بـالتواتر عن غيري ، وأيّـدته بقولي : وفي صلاة عيسي عليه السلامخلف رجل من هذه الأُمّة – مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة – دلالة للصحيح من الأقوال : إن الأرض لا تخلو من قائم للّه بحجة .

– أما أنا ، فشـمس الدين السخاوي ، الذي أماته الله في عام 902 للهجرة ، صـرح غير واحد من العلماء بأنّي من المصرّحين بتواتر أحاديث المهدي ، منهم : العلاّمة الشـيخ محمد العربي الفاسـي في كتابه المقاصد ، والمحقق أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسـي في مبهج القاصد ، علي ما نقله عنهما أبو الفيض الغماري . ومنهم أبو عبداللّه محمد بن جعفر الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر .

– حتي اذا ما كان لحامد ان ينبهر بهذه اللقاءات ، فاجأه الثامن ،

كأنما يتحداه ليخاطبه بالقول :

– وانا الثامن ، انا السيوطي ، وسنة وفاتي 911 للهجرة ، صـرحتُ بتواتر أحاديث المهدي في الفوائد المتكاثرة في الاحاديث المتواترة ، وفي أختصاري المسمي بالازهار المتناثرة ، وغيرها من كتبي .

– وانـا من يطلـق عليه : ابن حجر الهيتمي المتـوفي في 497 للهجرة . دافعت عن عقيـدة المسـلمين بظهور الامام المهدي كثيرا مصـرحا بتواترها .

– وأنا المتقي الهندي عام رحيلي كان 597 للهجرة ، ألّفت كنز العمال، دافعت عن عقيدة الامام المهدي عليه السلام دفاعا مدعوما بالحجة والبرهـان ، وذلـك في كتـابي : البرهـان في علامـات مهـدي آخر الزمـان . ولعل أهم ما في هـذا الكتاب هو الفتاوي الاربع المـذكورة فيه بخصوص من أنكر ظهور المهـدي وهي : فتوي ابن حجر الهيثمي الشـافعي ، وفتوي الشـيخ أحمـد أبي السـرور بن الصـبا الحنفي، وفتوي الشـيخ محمـد بن محمـد الخطابي المالكي ، وفتوي الشـيخ يحيي بن محمـد الحنبلي . وقـد نصـصتُ علي أن هؤلاء هم علماء أهل مكة وفقهاء المسـلمين علي المذاهب الأربعة ، ومن راجع فتاواهم عَلِمَ علم اليقين أنهم متفقون علي تواتر أحاديث المهدي ، وأن منكرها يجب أن ينال جزاءه ، وصرّحوا : بوجوب ضربه وتأديبه وإهانته حتي يرجع

إلي الحق علي رغم أنفه – علي حد تعبيرهم – وإلاّ فيهدر دمه .

كان الظلام قد اخذ يلف اجواء الحلم ، وكأن روحا من الضباب اخذت تاكل في الوانه لينقلب كطيف مشبع بنكهة من الخيال ، واذا بحامد يرتاع لانقلاب احدهم امامه ، وكأنه قفز اليه من شتي الامكنة المتوقعة :

– وأنا ، فإن كنت لا تعرفني ، فاعرفني ، اني محمد رسول البرزنجي المتوفي عام 1103 للهجرة ، صرحت بتواتر أحاديث المهدي فقلت : أحاديث وجود المهدي ، وخروجه آخر الزمان ، وأنه من عترة رسول اللّه صلي اللّه عليه وسلم، ومن ولد فاطمة رضي اللّه عنها . بلغت حد التواتر المعنوي ، فلا معني لانكارها .

وابتدره الثاني عشر ، فقال له :

– انا الشيخ محمد بن قاسم بن محمد جسوس ، متُّ في سنة 1182 للهجرة ، نقل الكتاني عنّي تصريحي بالتواتر وذلك في نظم المتناثر من الحديث المتواتر .

وجاء دور الثالث عشر ، فشرع يحكي لون عرفه :

– انا أبو العلاء العراقي الفاسي ، توفيت في سنة 1183 للهجرة، لي تأليف في الامام المهدي ، وقد نقل في نظم المتناثر تصريحي

بالتواتر .

– امـا انا ، فانا الشـيخ السـفاريني الحنبلي ، انتقلت الي جوار ربي في السـنة 1188 من الهجرة . نقـل القنوجي عنّي أني من القـائلين بتواتر أحاديث المهدي ، وذلك في كتابه اللوائح .

في حين برز اليه عالم اخر من علماء الدراية ، يحمل الرقم 15 ، حيث قال :

– أعرّفك بنفسـي ، انا الشـيخ محمد بن علي الصبان ، سنة موتي كانت 6120 من الهجرة ، نقلت القول بـالتواتر عن ابن حجر في الصواعق وغيره . واحتججت به ، ولم أتعقّبه بشيء ، فدللت علي أنه قولي أيضا .

– أمـا انـا فالشوكاني ، الشوكاني ذلك العبـد الـذي وافاه الاجل في العام 5012 من الهجرة ، ويكفي لاثبـات قولي بتواتر أحاديث المهـدي كتابي الشهير ، والموسوم بالتوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح .

– أما الرقم السابع عشـر ، فانه يحمله هـذا الذي يقف بين يديك : مؤمن بن حسن بن مؤمن الشـبلنجي ، لقد رحلت الي جوار ربي في العام 1291 من الهجرة ، صرحت بتواتر أخبار المهدي مؤكدا علي

انه من أهل البيت عليهم السلام .

عندها طفق اخر :

– أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية ، توفّيت عام 4130 ه) ، وصفت أحاديث المهدي بالكَثْرَة وقلت : وكثرة مخرجيها يقوّي بعضها بعضا حتي صارت تفيد القطع . ولا يخفي أن درجة القطع في الأخبار تحصل بالتواتر .

أما المحدث التاسع عشر ، فكان قد وقف امام حامد ، وهو يخبره :

– وانا السيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري ، سنة وفاتي1307 للهجرة ، قلت عن أحاديث المهدي عليه السلام : والاحاديث الواردة فيه علي اختلاف رواياتها كثيرة جدا تبلغ حد التواتر .

وكان اخرهم ممن احتملهم منامه ، وقوي علي اشباع احداثه بهم،

فكان يحاول ان يمتطي صهوة الكلام ، ويحادث حامد الذي شعر بضيق متواصل من مداومة هذه الرؤيا ، الا انه لم يكن من مناص :

أحمل رقم 20 ، فأنا أبو عبداللّه محمد بن جعفر الكتاني المالكي ، توفيت في سنة 4513 للهجرة . نقلت القول بالتواتر عن جملة ممن التقيت بهم هنا – إلي أن قلت : والحاصل : ان الاحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة .

ص: 56

ولكن ! في لحظة واحدة لمح حامد احدهم ممن تصرّح سيماؤه بانه خارج عن دائرة التعريف والاخبار ، تقدم اليه فقال له :

– إلي غير هؤلاء مما لا تتّسع هـذه الرؤيا وهـذا المنام لاستيفائه ، وإيراد أقوالهم كلّهم ، وقـد تتبعهم بعض الباحثين ابتداءً من القرن الثالث الهجري وإلي الوقت الحاضر .

عندها وجد حامد في نفسه ، شيئا من الشجاعة ، واستبسل في الحديث والتعبير عما يريد التصريح به ، فقال :

– وهل ثمة من كلمة اخيرة ؟

اجابه الرجل الـذي ما كان يلبس الا مثلما يلبس حامد ، لان كل من قابلهم كانوا يرتدون ملابس تعود بالمرء الي عهود بائدة قديمة . فقال له :

– وهنا لا بدّ من تسـجيل كلمة مهمة للاسـتاذ بديع الزمان سـعيد النورسـي . وهو من أفاضل علماء أهل السـنة في أوائل القرن الرابع عشـر الهجري ، حيث قال : ليس في الدنيا قاطبة عصبة متساندة نبيلة شريفة ترقي إلي شرف آل البيت ومنزلتهم ، وليس فيها قبيلة متوافقة ترقي إلي اتفاق قبيلة آل البيت ، وليس فيها مجتمع أو جماعة منورة أنور من مجتمع آل البيت وجماعتهم . نعم . . (والكلام له) . . إنَّ آل

البيت الـذين غُـذّوا بروح الحقيقة القرآنية ، وارتضـعوا من منبعها ، وتنوّروا بنور الايمان وشـرف الاسـلام ، فعرجوا إلي الكمالات ، وأنجبوا مئات الأبطال الأفذاذ ، وقدّموا ألوف القُوّاد المعنويين لقيادة الأُمّة . لا بد أنهم يُظهِرون للدنيا العدالة التامة لقائدهم الاعظم المهدي الاكبر ، وحقّانيته بإحياء الشريعة المحمدية ، والحقيقة الفرقانية ، والسنّة الأحمدية ، وتطبيقها ، وإجراءاتها .

قال حامد ، وكأنه قد ضاق ذرعا بهذا الاخر :

- هل انتهي ؟ !

- لا يضـيق صدرك يا فتي ، انما اردف كلامه اخيرا بالقول : وهذا الأمر في غاية المعقولية ، فضـلاً عن أنّه في غاية اللزوم والضـرورة ، بل هو مقتضي دساتير الحياة الاجتماعية .

(9)

- من هو الامام المهدي ؟ !

سألته امرأة بنبرة استنكار ساهية ، وليس بنبرة استيضاح سائلة . لم يجبها ، لانه كان غارقا في افكاره ، وحينما شعر بوجودها التفت اليها ،

فلم يجـدها الا انه حـدق في المرآة التي كانت الي جانبه فكان قد احس بظل قد غادر الغرفة وللتو .. لحق به .. وجدها امه . كيف لم يحس بها .. قالت له :

– كنت تحدث نفسك في المرآة .. ثم تعود الي وضعك .. فلما وجدتك كذلك اعدت عليك نفس سؤالك وكأني كنت اعجب لسؤالك .

قال لها :

– حقا اماه ، انك قد درستِ في المعهد الاداري الا انك لم ترغبي في العمل والتعيين ؟

– ليس الامر كذلك ، بل اباك هو الذي فرض علي ترك التفكير بمثل هذا الامر .. وذلك منذ زمن بعيد . . ولكن ما الغرض من سؤالك ؟

– انما عنيت ان اسألك عن شيء ربما عني به المثقفين به اكثر من غيرهم .

– وربما لمس حقيقته بسطاء الناس .

– بكل تأكيد . ولكن هل يمكن .. الا تجلسين ..

وعندها جلست . ولما كان قد بقي علي حاله ، قالت له :

– وانت الاخر الا تجلس الي جانب من دعوته الي الجلوس ..

– هه ! اجل .. (جلس وهو يحدق في وجهها) اقول .. هل يمكن لنا ان نتعرف علي الامام المهدي من جديد ..

– ماذا تقصد ؟

– يعني نعاود التعرف عليه بين الحين والاخر .. وكأن مثل ذلك له ان يتجدد بتجدد الزمان والمكان ...

عندها اعتدلت الام في جلستها وكأنها تريد ان تستمد العون من

مطالعاتها ايام استبصارها .. وحينما شعر الابن بذلك من حيث تطلع اليها وهي تهمهم بكلمات :

– ارجعتني الي الوراء .. الي مـاض عتيق ، تاه في لجـة الموج حتي اسـتقي فيض قراحه من معين لم تشبّ يراعات ايامه الا تحت انوار مياه عبقت بلون فضـي ، مـا زال ينغمس في مساماته كل الـدجي المعتّق حتي كأني أخاله ينبوع شـلال ، بوسع المرء ان يشـتار منه عسل الزمان المخفي وراء خطوط مياه الشلالات المتساقطة ، والتي تستتر كما تختفي اكثر الغيران والكوات خلف اعمدة مياهها المتلاحقة .

قال حامد :

– حقا اماه ، انك لم تحدثيني عن كيفية استبصارك .. وهل كان

للزواج قصب التأثير الاول ..

- لا !

بادرته بعنف وسرعة حتي شعر حامد بشيء من التأسف لهذا التسرع في القاء التهم .. قالت :

- اني لاصدح بالقول وبكل جرأة وبسالة .. اني ما تشيعت لاجل اني قرنت باحد الشيعة .. وكان من اللائق ان اماشيه حتي في مذهبه الذي يعتقد به .. وبصورة اخري .. اني لاعتقادي بزوجي استبصرت..

لاني اثق به ، فوثقت وبالتبع بما يعتقد ، فصرت مثله ومن دون اي امعان او تبصر بلون الحقيقة .. ومعيّة سبلها التي تفرع عنها وتنصب فيها . بل كنت عنيدة للغاية .. حتي انه تركني برهة من الزمان .. ظن فيها انه لا يطيق ان يجعل مني شيعية ، أو يصنع مني امرأة تصادق علي ما يصادق هو .. تؤمن بما تأكد منه هو .. اقصد ابوك .. فما كان مني بعد فترة الا ان اطلع عليه بزي شيعية تؤمن بما يؤمن به الشيعة .. فراعه الامر ، فاخبرته ، باني استطلعت الامر بنفسي ونقّبت عن حقائقه بعقلي وحدي حتي تأكد لي ما كنت تزعمه حقيقة ثابتة ترتكم الي جانب حقائق اخري دامغات .. لا يخال التاريخ الصفح عنها ولا يظن الزمان انه بقادر علي ان يبقيها بعيدة عن انظار الباحثين وطلاب الحقيقة !

ص: 61

بعدها استرسلت في حديثها ، وهي تنظر الي حامد الذي شعرت به يمتلي ء حبا واعجابا بها ولاكثر من الاول . سعدت بمثل هذه اللحظات حتي استشعرت بضرورة الاستطراد في القول :

– لقد كان للبحث عن بعض المسائل المتعلقة بامام الزمان الدور الرئيس في انتقالي من مذهب السنة الي مذهب الشيعة ..

– كيف ؟

– لقـد اتفق المسـلمون علي الايمان بظهور الامام المهدي المبشـر به في الاخبار المتواترة عن النبي صـلي الله عليه و آله ، عندها ساءلت نفسي : وهنا لا بدّ للمسلم ان يسأل نفسه ويقول : إذا كانت أخبار المهدي المبشر بظهوره في آخر الزمان بهذه الدرجة والوضوح عند علماء الاسـلام حتي قطعوا بصـحتها ، وصرّحوا بتواترها ، فلماذا اختلفت بعض الروايات الواردة في نسب المهدي، وربما وصل بعضها إلي درجة التناقض والتضاد ؟ ومِن ثم ، فمن هو الامام المهـدي؟ وهل يمكننا – في خضم هذه الاختلافات – تشـخيصه ، بحيث لا تكون هناك أدني شبهة في صـرف لقب (المهدي) عن مسـمّاه في الواقع ؟ وذلك لمشاهدتي وجه اختلاف المسـلمين بعضـهم مع البعض الاخر في مجمل الاصول والفروع .

وبعد دراسات ومتابعات ومساءلات ومناظرات ، استطعت ان اقنع

نفسي بما يمكن ان احول به بينها وبين ان تتردي في حفيرة ليس يطال الخروج منها الا من خبر الزمان واضحي لا يصمه ايما عار من لكنة لسان قد يلثغ اثرها ببعض الحروف .. فكيف وهذه الحروف اساس حياتنا وعمدة بناءات وجودنا وهي عقيدتنا التي نحيا بها ونعيش ومن ثم نموت عليها .. وعندها قلت لنفسي : وللاجابة عن ذلك لا بدّ من بيان نوعية المعوقات التي تعترض البعض في تشخيص نسب الامام المهدي علي الرغم من اعتقاده بظهوره في آخر الزمان ، ولكن يجب التأكيد – قبل بيان تلك المعوقات – علي أن من يعتقد بظهور الامام المهدي بنحو قاطع ، ولم يتعين له من هو المهدي علي طبق الواقع ، فمثله كمثل من يعلم يقينا بوجوب الصلاة ولكنه يجهل أركانها ، ومن كان كذلك فهو لا يسمي مصلِّيا ، فكذلك الحال في من ينتظر مهديّا لا يعرفه ، هل هو سني ام شيعي؟!

بينما عدت بعدها وفي هذه المرة الي الانصات بدلا من ان افوه بشيء من الكلام ، كانت نفسي هي التي تجاذبني اطراف المقال : وعلي أية حال فإن علاج أية مسألة تعترض تشخيص نسب المهدي قد تكفلت بها كتب الاخبار والروايات ، ونهض بها المنطق والعقل

السليمين ، واذا ما واصل الباحث الشوط إلي آخره ، سيدرك قسطا وافرا من الاجابة علي سؤال : من هو المهدي الموعود المنتظر ؟ ونعاهده بأننا سنتجرد عن قناعاتنا السابقة حتي لا تكون حاكمة علي الدليل ما دام الهدف هو الوصول إلي الحق سواء كان الحق معنا أو علينا ، والعاقل هو من لم يكن بينه وبين الحق عداء ، وإن تأمّل في كلامنا هذا فإنه سيشهد لنا بالصدق علي ما نقوله في علاج معوقات التشخيص

– ساءلتها كما كنت اسائل احدي صاحباتي عبر الهاتف وانا اقول لها :

– وما الذي يمكن ان نعني بمعوقات التشخيص الحديثية

قالت :

– هي تلك الاحاديث التي تبدو متضاربة بعضها ببعض ، مما قد يصعب علي كثير من الناس – لا سيما أُولئك الذين ليسوا علي اتصال مباشر بعلوم الحديث الشريف – معالجتها ، مما يُسهّل – إلي حد بعيد – وقوع ضعيف الايمان منهم في شراك اللامهدويين سواء كانوا من المتسمّين بالاسلام أو من المعلنين العداء لهذا الدين .

سألها حامد وهو يقول

– من كانت ، اقصد صاحبتك تلك ؟

– انها لم تـدرس علوم الحـديث ، ولـم تتفنن في الحصول علي اي من شـهادات العلوم الدينيـة ، بل كان لها ولع بمطالعة المسائل المتعلقة باخبار اخر الزمان حتي كان لها ان تقع علي ما اردته منها .

– وهل استبصرت ؟

– انها كانت شيعية منذ الاصل !

بينما تتابع كلام الام بعد ان تخلت عنه حينما نادتها صافرة القدر البخاري حتي اذا ما عادت من المطبخ ، جلست وهي لا تلوي علي شـيء سوي مواصلة الحديث .. كأنما شغف غير مبهم بالنسبة لها ، ولع تليد ، قد جذبها وبالرغم منها الي عدم الكف عن مثل هذه المحادثات او حتي التسليم الي التكاسل عنها وسأمها . قالت :

– لقـد اخبرتني بعـدها ان الاحـاديث الصـحيحة الواردة في بيان نسب الامام المهـدي عليه السـلامهي علي طوائف وجميعها مؤتلفـة غير مختلفة، ولا تشـكّل عائقا في تشخيص نسب الامام المهدي فهو : كناني ، قرشي ، هاشمي . فسألتها من اين استقيت كل ذلك ؟ قالت لي : جمعت عدة مصادر حول ذلك(1)

..

1– أورد المقدسي الشافعي في عقد الدرر ، ومثله الحاكم في المستدرك حديثا ينسب الامام المهدي إلي كنانة ، ثم إلي قريش ، ثم إلي بني هاشم ، وهو من رواية قتادة عن سعيد بن المسيب ، قال : قلت لسعيد بن المسيب : المهدي حقّ ؟ قال : حقّ . قلت : ممّن ؟ قال : من كنانة . قلت : ثمّ ممّن ؟ قال : من قريش . قلت : ثمّ ممّن ؟ قال : من بني هاشم... الحديث .

قال حامد :

- كيف توصلت الي جمع المصادر ؟

كانت قد دونتها . وذهبت يوما الي بيتها فجلسنا مع بعض نتكلم .. من بعد ان علمت مقدار ولع زوجي بضرورة استبصاري وذلك عن قناعة .. فقالت أخرج ذلك الحديث(1)

فلان وفلان . .

الا اني وبدلا من ان استثقل سماع مثل هذه الاسماء ، او استهجن مواصلة مثل هذه الابحاث والتنقيب عن خرائدها التي ابحث عن منابعها واصولها .. وبـدلا من كل هـذا ، كنت قد ولعت في تعقيب اثار مثل هذه الاسـماء الي الحد الذي كانت تملّ معه صديقتي هي نفسـها من مواصلة التطرق الي هذا الموضوع . بينما كنت اقول لنفسي انه قد يُتصور أن الحديث يتناقض مع نفسه ! إذ جمع في نسب الامام المهدي أنه من كنانة تارة ، ومن قريش أُخري ، ومن بني هاشم ثالثة . والجواب : لا فرق في ذلك كلّه ، فإن كل هاشـمي هو من قريش ، وكل قرشـي هو من كنانة لأنَّ قريش هو النضر بن كنانة باتفاق أهل الانساب .

1- الامـام أبو عمر عثمـان بن سـعيد المقري في سـننه . وأورده بلفـظ آخر قريب من الأول عن قتادة عن سـعيد بن المسـيب أيضا . وقال : أخرجه الامام أبو الحسـين أحمـد بن جعفر المناوي ، وأخرجه الامام أبو عبداللّه نعيم بن حماد كما في عقد الدرر : 42 - 44 الباب الأول، وانظر مستدرك الحاكم 4 : 553، ومجمع الزوائد 7: 115. .

– بينما قالت صـديقتي وهي تردف الكلام : أما حديث المهدي من أولاد عبد المطلب : فكان قد رواه ابن ماجة وغيره بالاسـناد عن أنس بن مالـك قـال : قـال رسول اللّه صـلي اللّه عليه وسـلم : نحن ولـد عبـد المطلب سادة أهل الجنـة : أنا ، وحمزة ، وعلي ، وجعفر ، والحسن ، والحسين ، والمهدي(1)

. وأورده في عقـد الـدرر بلفـظ : «نحن سـبعة بنو عبـد المطلب سـادات أهـل الجنـة : أنا ، وأخي علي ، وعمي حمزة ، وجعفر ، والحسن ، والحسين ، والمهدي(2)

.

ثم عادت الي القول ، بعد ان شـعرت هذه المرة بتضارب المعلومات واختلاط الاخبار في رأسي وثقل هذه الاسماء التي ما كنت لاستثقلها في بادي ء الامر ، الا انه لصـعوبة المبحث في مسائل الاسـناد .. كانت تلم بي نوعا من تلك الهواجس التي يمكن ان ترمي بالباحث بعيـدا عن مرمـاه الـذي يعني التوغـل الي واقعيـاته عبر النفاذ من خلال احراشه واوجار تعـج بها منعرجاته ومنحنياته .. ففاهت بالكلام ، بعـد ان ساءلتها : هل يعارض هذا .. فقاطعتني وكأنها علمت بعلامات

1– وهو ما ورد في سـنن ابن ماجـة 2 : 1368 باب خروج المهدي، ومسـتدرك الحاكم 3 : 211 وكتاب الغيبة للشـيخ الطوسي : 113 وجمع الجوامع للسيوطي 1 : 851.

2– ثم قال : أخرجه جماعة من أئمة الحديث في كتبهم ، منهم : الامام أبو عبداللّه محمد بن يزيد بن ماجة القزويني في سـننه ، وأبو القاسم الطبراني في معجمه ، والحافظ أبو نعيم الاصبهاني وغيرهم من مثل عقد الدرر : 195 الباب السابع

ابهامي ، فقالت : وهـذا الحـديث لا يعارض ماتقدم بل يقيّد ما قبله ، فقلت لها : يقيد ما قبلها ؟ ! قالت : المراد بالتقييد هنا : حصـر نسـب المهـدي بأولاد عبـدالمطلب بعـد ان كان النسب إلي قريش مطلقا . إذ لا خلاف في كون عبـد المطلب جد النبي صـلي الله عليه و آله ابنا لهاشم ، فأبناء عبد المطلب هاشميون بالضرورة . فالمهدي اذن من أولاد عبد المطلب بن هاشم القرشي الكناني .

وبعـد ايام كانت قد وعدتني بمتابعة الحديث ، فجمعت لي لمم من الاخبار ، وطلعت علي بالقول : لقد حصـلت علي حديث المهدي من ولد أبي طالب . قلت لها : المهدي من ولد أبي طالب ؟ قالت : اجل(1)

، والحـديث من روايـة سـيف بن عميرة قال : كنت عنـد أبي جعفر المنصور فقال لي ابتداءً : (يا سـيف بن عميرة ، لا بدّ من منادٍ ينادي من السماء باسم رجل من ولد أبي طالب ، فقلت جعلت فداك يا أمير المؤمنين تروي هذا ؟ قال : أي والذي نفسي بيدهِ لسماع أُذُني له .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن هـذا الحديث ما سـمعته قبل وقتي هذا ! فقال : يا سـيف إنّه لَحَقٌّ ، وإذا كان فنحن أوّل من يجيبه ، أمَا إنَّ النداء إلي رجل من بني عمّنا . فقلت : رجل من ولد فاطمة ؟ فقال : نعم يا

1- فهذا الحديث أخرجه المقدسي الشافعي في عقد الدرر ، ص 149 الباب الرابع . وقال : أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن .

سيف ، لولا أنني سمعت من أبي جعفر محمد بن علي يحدّثني به، وحدّثني به أهل الأرض كلهم ما قبلته منهم ، ولكنه محمد بن علي) .

وكنت قـد تقـدمت في مقارنات الخبر ، حتي اسـتظهرت مثل ذلك وظنّت اني احفظ مثل هذه المسائل عن ظهر قلب ، الا اني اخبرتها بان لاصـراري علي المكوث لصق هـذه الدراسات ، وحذاء مثل هذه المطالعات قد جعلني اشوق الي التعرف علي الحقيقة .. مهما كان ثمنها مرتفع ومسـرف في الغلو .. والتعب والملل . فابتـدرتها قائلة : وهذا الحديث يقيّد ما قبله أيضا لأنَّ كل من انتسب إلي أبي طالب بالولادة لا شك في انتسابه إلي أبيه عبد المطلب . فقالت : وبغض النظر عن التصـريح الوارد في هذا الحديث بكون المهدي من أولاد فاطمة ، ستكون النتيجة إلي هنا هو أن المهدي المبشر بظهوره في آخر الزمان إنّما هو من أولاد أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الكناني .

الا اني كنت قـد عـدت ومن بعـد يومين او اكثر مضـيا علي زمان هـذه المناقشـة لاخبرها` اني قـد عثرت علي احاديث تخبر انها أحاديث (المهدي من ولد العباس) .

– اين عثرتِ عليها ؟

– كنت قـد اشتركت في المكتبـة المركزية ، ولذلك كنت اغتنم بعض الوقت للذهاب هناك .. وكان ابوك قد وافقني لقضاء الوقت والانشـغال بالمطالعة .

– لطيف !

فقالت :

– قلت لها : انه مما لا شك به ان هذه الطائفة من الاحاديث تشـكل عائقا في تشخيص نسب المهدي بدقة . فقالت : كيف وجدتيها .. (ثم اعقبت) اراك قد صـرت استاذة في هذا المضمار بل هذه المضامير ! لم اجبها عن سؤالها ، ولم اكن قد التفتّ وقتها الي اطرائها حتي صرت اليها بالقول : لأن أولاد العباس غير أولاد أبي طالب ، ولهـذا لا بـدّ من دراسـة هـذه الطائفـة من الاحاديث ، وعندها لنا ان نقول : انه يمكن تقسيم الاحاديث الواردة في هذا الشأن إلي قسمين وهما : أولاً :

الأحاديث المجملة في هذا المعني . كانت تسمع لي برغبة ، فواصلت

الحديث : وهي منحصـرة بأحاديث الرايات . عندها انتبهت قائلة : احاديث الرايات ؟ قلت : نعم ، انظري ما دوّنته ، فمنها : ما أخرجه أحمد في مسنده 5 : 277 ، عن ثوبـان عن رسول اللّه صـلي الله عليه و آلهانه قال : اذا رأيتم الرايات السود قـد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبوا علي

الثلج ، فان فيها خليفة اللّه المهدي وقريب منه حديث آخر(1)

، وذلك

عن أبي هريرة ، عن رسول اللّه صلي الله عليه و آلهانه قال : تخرج من خراسان رايات سود ، فلا يردها شيء حتي تنصب بإيلياء . فقالت : لم يصرح في هذه الاحاديث انه من ولد العباس ؟ قلت لها : ان هذه الاحاديث وان لم يصرح فيها بكون المهدي من ولد العباس لكنه قد يستفيد البعض منها دلالتها عليه ، بتقريب أن تلك الرايات السود ، يحتمل ان تكون هي الرايات التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني من خراسان فوطّد بها دولة بني العباس ، فتكون تلك الاحاديث ناظرة إلي المهدي العباسي ! قالت : الا ان هذه الاحاديث المجملة هي تتسم بضعفها مع عدم دلالتها علي نسب المهدي . فقلت لها : كيف ؟ عندها ابتسمت

واشعرتني بأنّا قد بلغنا كلانا مبلغا من العلمية – لم اوافقها عليه – ذلك أنّا صرنا نجر ونبحث في دراسات عتيدة .. مدعومة بالاسانيد والهويات .. قالت : إن حديث مسند أحمد ، وسنن ابن ماجة كان ضعّفهما غير واحد من العلماء ، هذا ما كنت قد طالعته من قبل ، ولم ارد ان ادهمك في اول تصريحك حول بني العباس ، واخبرك بضعف ما توصلت اليه ، لاني كنت الاخري قد توصلت اليه من قبل وطبقا

1- ذكره ابن ماجة في سننه 2 : 1336 / 4082 . كما روي الترمذي بسنده في سننه 4 : 531 / 2269 .

للدراسات التي وقعت علي تشريح اصحابها لمثل هذه الاخبار .. فلقد ضعّفها البعض(1)

ثم قال : وهـذا – أي : حديث ابن ماجة – والذي قبله لم يكن فيه دليل علي ان المهدي الذي تولّي من بني العباس هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان . ومما يدل علي ذلك هو ان المهدي العباسـي قد مات سنة (961 ه) ، وقد شهد عصره تدخّل النساء في شؤون دولته ، فقد ذكر الطبري تـدخل الخيزران زوجة الخليفة المهدي العباسـي بشؤون دولته ، وانها اسـتولت علي زمام الأُمور في عهد ابنه الهادي طبقا لما ورد في تاريخ الطبري 3 : 466 ، ومن يكون هـذا شأنه فكيف يسـمي بخليفـة اللّه في أرضه ؟ ! هذا ، زيادة علي أن المهدي العباسـي ، بل خلفاء بني العباس كلهم لم يكونوا في آخر الزمان ولم يحث المال حثوا أحد منهم ، ولم يبايعوا بين الركن والمقام ، ولم يقتلوا الدجال ، ولم ينزل نـبي اللّه عيسـي عليه السـلام ليصـلي خلف مهـديهم ، ولم تخسف البيـداء في عهـدهم ، ولم تظهر أدني علامـة من علامـات ظهور المهـدي في سائر عصورهم . بينما اردفت القول : وأما عن حـديث الترمذي فقد وصـفه ابن كثير بأنّه حديث غريب ثم قال : (وهذه الرايات السود ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم

1- من مثل ابن القيم في المنار المنيف : 137 – 138 / ذيل الحديثين : 338 و 339 .

الخراساني فاستلب بها دولة بني أمية في سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، بل رايات سود أخر تأتي بصحبة المهدي.. والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل خروجه وظهوره من ناحية المشرق(1)

.

كان حامد يطالع كلمات امه بنظرات هاملة . فكانت تسرد عليه لونا من مذكراتها ، فقالت مستطردة :

– عندها قلت لها بعد ان تنبهت الي امر آخر : هل تريدين القول انه مما لا يستبعد استغلال دعاة العباسيين لمثل هذه الاحاديث ترويجا لأمرهم ، حتي دل عليه – وبنظر هؤلاء – وضعهم لاحاديث صريحة في

هذا المعني . فقالت : بالضبط ، وإلاّ فمن الصعب جدا إنكار حديث الرايات السود الذي لا يدل علي أكثر من خروج الجيش المؤيد للمهدي من جهة المشرق ، لروايته بطرق كثيرة(2)

. بينما ابتدرتها بالسؤال فجأة : اووه ، تذكرت ، فانت لم تسمعي بعد القسم الثاني من الاحاديث الدالة علي ما اشرت اليه . فقلت : نعم اما الثاني فهو الأحاديث المصرّحة بهذا المعني من مثل : حديث : المهدي من ولد

1– النهاية في الفتن والملاحم / ابن كثير 1 : 55.

2– صحّح الحاكم بعضها علي شرط البخاري ومسلم كما في مستدرك الحاكم 4 : 502. .

العباس عمي . اجابتني وبسرعة : انه حديث ضعيف(1)

بما انطوي عليه من اسناد(2)

. فقلت لها : اذن اسمعي الثاني . قالت : اتليهم علي . قلت : حديث ابن عمر ، يقول فيه : رجل يخرج من ولد العباس(3)

، وحديث

ابن عباس عن النبي صلي الله عليه و آله انه قال لعمه العباس : إنَّ اللّه ابتدأ بي الاسلام وسيختمه بغلام من ولدك وهو الذي يتقدم عيسي بن مريم(4)

. وحديث

أُم الفضل ، عن النبي صلي الله عليه و آله : يا عباس اذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك، منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي(5)

. قاطعتني بالقول : لقد أشار (الذهبي) بهذا إلي جهل واضع

1- الحديث الضعيف :

2- فقد أورده السيوطي في الجامع الصغير ، وقال : حديث ضعيف كما ورد في الجامع الصغير 2 : 672 / 9242. وقال المناوي الشافعي في فيض القدير : (رواه الدارقطني في الافراد . قال ابن الجوزي : فيه محمد بن الوليد المقري ، قال ابن عدي يضع الحديث ويصله ويسرق ويقلب الأسانيد والمتون . وقال ابن أبي معشر : هو كذاب ، وقال السمهودي : ما بعده وما قبله أصح منه ، وأما هذا ففيه محمد بن الوليد ، وضّاع) كما جاء في فيض القدير شرح الجامع الصغير 6 : 278 / 9242. وضعفه السيوطي في الحاوي ، وابن حجر في صواعقه ، والصبان في إسعافه ، وأبو الفيض في إبراز الوهم المكنون ، وأوردوا كلمات كثيرة تصرح بوضعه . أُنظر : الحاوي للفتاوي 2 : 85 ، والصواعق المحرقة : 166 ، واسعاف الراغبين : 151 ، وابراز الوهم المكنون : 563 .

3- فقد رواه ابن الوردي في خريدة العجائب : 199 - مرسلاً عن ابن عمر وهو من الموقوف عليه الحديث الموقوف عليه : هو الحديث وهو زيادة علي إرساله المُسقِط لحجيّته لم يصرّح فيه بالمهدي ، فالأولي إلحاقه بالقسم الأول المجمل وإن صرّح فيه باسم العباس .

4- فقد رواه الخطيب البغدادي في تاريخه وفي إسناده محمد بن مخلد كما في تاريخ بغداد 3 : 323 و 4 : 117.ابن مخلد هذا ضعفه الذهبي وتعجّب من عدم تضعيف الخطيب لابن مخلد فقال : (رواه عن محمد بن مخلد العطار ، فهو آفته ، والعجب أن الخطيب ذكره في تاريخه ولم يضعفه، وكأنّه سكت عنه لانتهاك حاله . ميزان الاعتدال 1 : 89 / 328 .

5- وهذا الحديث أخرجه الخطيب أيضا وابن عساكر عن أُم الفضل . تاريخ بغداد 1 : 63 ، وتاريخ دمشق 4 : 178 . قال الذهبي عنه : وفي السند أحمد بن راشد الهلالي ، عن سعيد بن خيثم، بخبر باطل في ذكر بني العباس من رواية خيثم ، عن حنظلة - إلي ان قال عن أحمد بن راشد - فهو الذي اختلقه بجهل . ميزان الاعتدال 1 : 97 .

الحديث(1)

في وضع الحديث لان حكم العباسيين لم يبدأ بسنة / 513 ه وإنّما بدأ حكمهم سنة / 132 ه بالاتفاق ، وهذا من علامات جهل واضعه بابتداء حكم بني العباس . بينما قلت : ونظير هذا الحديث كثير(2)

فقالت : هذه الاحاديث هي من جملة الاحاديث التي قد يغتر بها البعض فيتصور كونها عائقا حقيقيا أمام تشخيص نسب الامام المهدي . وقد اتضح أن النتيجة الاخيرة في نسب الامام المهدي عليه السلام وهي كونه من أولاد أبي طالب صحيحة ، لوضع أحاديث كون المهدي من ولد العباس ، مع عدم دلالة حديث الرايات علي شيء يخالف تلك النتيجة. وثمة ما يقطع بأنّ المهدي ليس من ولد العباس جزما .

(10)

ومن بعد ان انتهي العرض السينمائي ، اخذ سالم وحامد طريقهما

1- وهو أحمد بن راشد .

2- ما أخرجه السيوطي عن ابن عباس في كتابه اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة وقال : موضوع ، المتهم به : الغلابي . اللآلي المصنوعة 1 : 434 - 435 . وأورده ابن كثير في البداية والنهاية من رواية الضحاك ، عن ابن عباس وقال : وهذا إسناد ضعيف ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس شيئا علي الصحيح ، فهو منقطع . البداية والنهاية 6 : 246 . كما أخرجه الحاكم عن طريق آخر وقع فيه اسماعيل بن ابراهيم المهاجر . مستدرك الحاكم 4 : 514 . وقد حكي أبو الفيض الغماري الشافعي عن الذهبي ، أن اسماعيل مجمع علي ضعفه ، وأباه ليس بذلك . ابراز الوهم المكنون : 543 .

الي خارج صالة العرض .. كانا قد شاهدا هذا الفيلم من قبل ، وهذه مرتهما الثانية .. استحسناه كثيرا حتي كان لسالم ان يقول :

– ولو اشاهد هذا الفيلم عشرات المرات ، فاني لا اضجر من التفرج عليه قط .. لشدما كان جذابا وجميلا ، هل انتبهت الي ..

غاص في شرح مشاهد الفيلم ، والتعرض لأطرفها واشد اللقطات اثارة وروعة .. بينما كان حامد يطوف في عالم اخر .. نظر اليه سالم :

– التجارة والتحصيل من جديد .

– وما الذي يمكن فعله .

– قلت لك .. دع الامور للزمان وتوكل علي الله ، وحاول قدر الامكان ان تتوسل باهل بيت الرسول ، فهم المخلص الوحيد من المشكلات .

عندها طفق حامد يقول :

– اووه ، نبهتني ، لقد وجدت هذا الحديث ..

– اي حديث ؟

– حديث المهدي من ولد علي عليه السلام .

فقال سالم :

– نعم ، لان ثمة حديث اخر هو حديث المهدي من ولد أبي طالب

. .

كان حامد يذكر حديثه مع امه ، وتعرضها لهذا الحديث . بينما كان سالم يسترسل في القول :

– . . فلمّا كان لأبي طالب أكثر من ولد ، فقد وردت أحاديث عينت المراد وقيّدت هذا الاطلاق بولده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ليكون المهدي من أولاده عليه السلام ، وفي ذلك وردت جملة من الاخبار .

– مثل ماذا ؟

– منها : قول علي عليه السلام : هو رجل منّي(1)

.

– رجل مني ؟ !

– انه غير خافٍ علي أحـد أنَّ لأمير المؤمنين عليه السـلامأكثر من ولد وتشـخيص نسب المهدي بهذا الاطلاق متعذر ، ولكنّ أمره في غاية السـهولة ؛ لأنّ من جملة أحاديث نسب المهدي المصرح بصحتها وتواتر نقلها هي تلك الاحاديث الناصة تارة علي كون المهدي من أهل البيت ، وأُخري : علي أنه من العترة ، وثالثة : علي أنه من النبي.

– اتعني الحصر ؟

1– الفتن / نعيم بن حماد 1 : 369 / 1084 ، التشريف بالمنن / السيد ابن طاووس : 176 / 238 باب 19 .

– ممـا لاـ ريب فيه ، هو انحصار أهل البيت ، والعترة ، وولـد النبي صـلي الله عليه و آلهبأولاد أمير المؤمنين عليه السـلام من جهـة فاطمة الزهراء عليهاالسلام

– هل تحفظ شيئا من هذه الاحاديث ؟

– وكيف لاـ ! . . اليك نموذجا من تلك الأحاديث التي تـدلل علي الكثير من المعاني ، اما احـدها فان المهـدي ما كان ليكون الا من أهل البيت من قبيل حديث : لا تنقضي الايام، ولا يذهب الدهر، حتي يملك العرب رجل من أهل بيتي، اسمه يواطيء اسمي(1)

وحديث : لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث اللّه رجلاً من أهل البيت يملؤها عدلاً كما ملئت جورا(2)

. وحديث : لا تقوم الساعة حتي يلي رجل من أهل بيتي ، يواطيء اسمه اسمي(3)

. كذلك حديث : المهدي منا أهل البيت أشم

1– وهذا الحديث أخرجه أحمد في مسـنده ، عن ابن مسعود من عدة طرق ، وأخرجه أيضا أبو داود في سننه ، والطبراني في المعجم الكبير، وصححه الترمذي ، والكنجي الشافعي ، وعدّه البغوي من الأحاديث الحسان . مسند أحمد 1 : 376 و 377 و430 و448 ، سنن أبي داود 4 : 107 / 4283 ، المعجم الكـبير للطبراني 10 : 164 – 165 / 10218، سنن الترمذي 4 : 505 / 2230، البيان في أخبار صاحب الزمان : 481 باب 1 ، مصابيح السنة 3 : 492 / 4210 .

2– وهذا الحديث هو المروي عن علي ، عن رسول اللّه ، أخرجه أحمد في مسـنده ، وابن أبي شـيبة ، وأبو داود ، والبيهقي ، وأشار الطبرسـي في مجمع البيان إلي اتفاق المسلمين من الشيعة والسنة علي روايته (مسند أحمد 1 : 99 ، المصنف لابن أبي شيبة 15 : 198 / 19494 ، سنن أبي داود 4 : 107 / 4283 ، الاعتقـاد للبيهقي : 173 ، مجمع البيـان 7 : 67) . وقال أبو الفيض الغماري عن هـذا الحـديث : هو صحيح بلا شك ولا شبهة . (ابراز الوهم المكنون : 495.) .

3– وهذا الحديث رواه ابن مسـعود ، عن النبي وأخرجه عن ابن مسعود : أحمد ، والترمذي ، والطبراني من عدة طرق ، والكنجي وصححه ، والشـيخ الطوسي . وأخرجه أبو يعلي الموصلي في مسنده عن أبي هريرة مسند أحمد 1 : 376 ، سنن الترمذي 4 : 505 / 3231 ، المعجم الكبير للطبراني 10 : 165 / 10220 و 10221 ، 10 : 167 / 10227 ، البيان للكنجي : 481 ، كتاب الغيبة للشيخ الطوسي : 113 ، مسند أبي يعلي الموصلي 12 : 19 / 6665 ، وقال في الدر المنثور : وأخرجه الترمذي وصححه عن أبي هريرة (الدر المنثور 6 : 58) .

الأنف ، أجلي الجبهة ، يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت جورا وظلما(1)

.

كان حامد يتفرس وجه صاحبه الذي ما جعل يضن علي رفيقه في ان يطلعه علي ما لديه ، حتي واصل الكلام وهو يقول :

– أما الاحاديث التي تنص علي ان المهـدي من العترة ، فانها كثيرة جدا وهي نظير حديث أبي سـعيد الخدري ، عن النبي صـلي الله عليه و آله أنّه قـال : لاـ تقوم الساعـة حتي تمتلأ الارض ظلما وعـدوانا ، ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي – الترديـد من الراوي – يملؤها قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وعدوانا(2)

. في حين ان أحاديث المهدي التي تنص علي انه من ولد النبي صلي الله عليه و آله هي عديدة جدا .

– هل تذكر منها ؟

– من مثل ما رواه أبو سـعيد الخدري عن النبي صـلي الله عليه و آله : المهدي مني أجلي الجبهة ، أقني الأنف ، يملؤ الارض قسـطا وعدلاً كما ملئت

1– وهذا من حديث أبي سـعيد الخدري ، عن النبي 6 ، وأخرجه عنه عبد الرزاق ، وصـححه الحاكم علي شرط مسلم ، وأورده الأربلّي في كشف الغمة المصنف / عبد الرزاق 11 : 372 / 20773 ، مستدرك الحاكم 4 : 557 ، كشف الغمة 3 : 259 .

2– أخرجه أحمد ، وابن حبان، والحاكم وصـححه علي شـرط الشـيخين ، وأورده الصافي في منتخب الأثر (مسند أحمد 3 : 36 ، صحيح ابن صبان 8 : 290 / 6284 ، مستدرك الحاكم 4 : 557 ، منتخب الاثر : 148 / 19) . وقال أبو الفيض الغماري الشافعي – بعد دراسـة وافية لطرق الحديث وتتبع حال رواته – : (الحديث صحيح علي شرط الشيخين كما قال الحاكم . (ابراز الوهم المكنون : 515) .

ظلما وجورا ، يملك سبع سنين(1)

. وحـديث أمير المؤمنين عليه السـلام ، عن رسول اللّه صـلي الله عليه و آلهقال : المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأُمم ، يأتي بذخيرة الانبياء عليهم السلام ، فيملؤها عدلاً وقسطا كما ملئت جورا وظلما(2)

.

واذا ما كانا قـد اجتازا باحـدي المقاهي .. دعا المتحدث صاحبه الي الجلوس ثمّتَ حتي اذا ما طلع عليهما وجه النادل بقدحين من الشاي كان لسالم ان يتبع كلامه بما بقي منه في جعبته ، فقال لحامد :

– وبهذا القدر يتضح أنّ المهدي لا بدّ وأن يكون من ولد علي عليه السلام

من جهة فاطمة الزهراء عليهاالسلام . وقد ورد التصريح بهذا أيضا

– اين ورد ؟

– وذلك كما في حديث المهدي من ولد فاطمة عليهاالسلام، وهو من

رواية أُم سلمة عن النبي صلي الله عليه و آله أنه قال : المهدي حق وهو من ولد

1– وهذا الحديث صـححه الحاكم علي شـرط مسـلم، كما صـححه الكنجي الشافعي ، والسـيوطي ، والشيخ منصور علي ناصف في التاج الجـامع للأُصول ، وأبو الفيض مسـتدرك الحاكم 4 : 557 ، البيـان للكنجي : 500 ، الجامع الصـغير 2 : 672 / 9244 ، التاج الجامع للأُصول 5 : 343 ، ابراز الوهم : 508 . ، وعدّه البغوي من الحسان ، وحكم ابن القيّم بجودة إسـناده(مصابيح السـنة 3 : 492 / 4212 ، المنار المنيف لابن القيم : 144 / 330) . وأخرجه عن أبي سعيد : أبو داود ، وعبد الرزاق، والخطابي في معالم السنن ، ومن الشيعة السيد ابن طـاووس ، وابن بطريق (سـنن أبي داود 4 : 107 / 4385 ، المصـنف لعبد الرزاق 11 : 372 / 20773 ، معالم السـنن 4 : 344 ، التشريف بالمنن : 153 / 189 و 190 باب 159 أخرجه عن ابن حماد في الفتن 1 : 364 / 1063 و 1064 ، العُمدة لابن بطريق الحلي : 433 / 910) .

2– اخرج هـذا الحـديث الشـيخ الصـدوق في كمال الـدين ، واحتج به الجويني الشافي في فرائد السـمطين ، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة (كمال الدين 1 : 287 / 5 باب 25 ، فرائد السمطين 2 : 335 / 587 ، ينابيع المودة : 3 باب 94) .

فاطمة(1)

وقد أخرج نعيم بن حماد بسنده عن علي عليه السلام انه قال : المهدي

رجل منّا من ولد فاطمة(2)

كما اخرج عن الزهري انه قال : المهدي من ولد فاطمة(3)

، وعن كعب مثله أيضا(4)

. هـذا ، وقـد ورد حديث جامع لمعظم الاخبار المتقدمة ، وهو المروي عن قتادة ، قال : قلت لسـعيد : أحقٌ المهدي ؟ قال : نعم هو حق . قلت : ممن هو ؟ قـال : من قريش ، قلت : من أي قريش ؟ قـال : من بني هـاشم . قلت : من أي بني هاشم ؟ قال : من ولـد عبـد المطلب . قلت : من أي ولد عبدالمطلب ؟ قال : من

أولاد فاطمة(5)

.

1- أخرجه عن أُم سلمة : أبو داود ، وابن ماجه ، والطبراني ، والحاكم من طريقين وقد أخرجه أربعة من علماء أهل السنة عن صحيح مسلم (سنن أبي داوود 4 : 107 / 4284 ، سنن ابن ماجة 2 : 1368 / 4086 ، المعجم الكبير للطبراني 23 : 267 / 566 ، مستدرك الحاكم 4 : 557 وأخرجه عن صحيح مسلم كل من : ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة : 163 باب 11 من الفصل الأول ، والمتقي الهندي في كنز العمال 14 : 264 / 38662 ، والشـيخ محمد بن علي الصـبان في اسـعاف الراغبين ص : 145 ، والشـيخ حسن العدوي الحمزاوي المالكي في مشارق الانوار ص : 112 ، فهؤلاء الأربعة اتفقت كلمتهم علي وجود الحديث في صـحيح مسلم ، ولكن لا وجود له اليوم في نسـخه المطبوعـة !) ، واعترف آخرون بصـحته وجَوْدَة اسـناده ، بـل وصـرح بعضـهم بتواتره (حكم الكنجي في البيان : 486 ب 2 بصحة الحديث ، وجزم بصـحته السـيوطي في الجامع الصغير 2 : 672 / 9241 ، ومثله في هـامش التـاج الجامع للأُصول 5 : 343 ، كما عدّه البغوي من الحسان في مصابيح السنّة 3 : 492 / 4211 ، وقد حقق أبو الفيض في ابراز الوهم : 500 سند الحديث . وانتهي إلي القول بأنّه حديث صـحيح وان رجاله كلهم عدول اثبات ، واعترف الالباني بجودة اسناده كما في عقيدة أهل السنّة ، والاثر في المهدي المنتظر للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ص : 18 ، وقد مر القول بتواتره عن القرطبي وغيره ، فراجع) .

2- الفتن لنعيم بن حماد 1 : 375 / 1117 ، وعنه في كنز العمال 14 : 591 / 39675 .

3- الفتن لنعيم بن حماد 1 : 375 / 1114 وعنه في التشريف بالمنن : 176 / 237 باب 189.

4- الفتن لنعيم بن حماد 1 : 374 / 1112 ، وعنه في التشريف بالمنن : 157 / 202 باب 163 .

5- عقد الدرر : 44 من البـاب الاول ، والفتن لنعيم بن حماد 1 : 368 - 369 / 1082 ، وعنه السـيد ابن طاووس في التشريف بالمنن : 157 / 201 باب 163 .

فقال حامد :

– وعلي الرغم من الاقتراب بهـذه النتيجة من جواب السؤال : مَنْ هو المهدي الموعود المنتظر ؟ إلاّ أنَّ العائق ما يزال موجودا في تشـخيص نسـبه الشـريف بنحو لايقبل الترديد بين أولاد فاطمة عليهاالسـلام ، لوضوح أنّ هذا النسب – بهذا الاطلاق – ينتهي إلي السـبطين الحسـن والحسين عليهماالسلام .

عندها قال سالم :

– ولهـذا فنحن أمام احتمالات ثلاثـة وهي : الأول : أن يكون المهدي من أولاد الامام الحسن السـبط عليه السـلام . والثاني : أن يكون من أولاد الامام الحسين السبط عليه السلام. والثالث : أن يكون من أولاد السبطين معا.

– واني ما اري الاحتمال الثالث انه يحتاج في قبوله أو ردّه الي أكثر من النظر في نتائج البحث في الاخبار المؤيدة للاحتمالين

الأولين.

فقال سالم :

– نعم ، بكل تأكيد .

– وهل ثمة احتمال اخر ؟ اقصد من اولاد غير السبطين ؟

– أمـا فرض احتمال رابع ، وهو : كون المهـدي من أولاد غير السـبطين، فهو باطل بالضـرورة وغير معقول في نفسه؛ لثبوت صـحة أحاديث المهدي وتواترها بخصوص كونه من أهل البيت عليهم السلام ، ومن ولد فاطمة عليهاالسلام .

– اذن لـم يبقَ سوي التحقيق في مثبتات الاحتمالين الأولين . ويجب التنبيه قبل ذلك إلي أنه : لو ثبت كـذب ما يؤيـد الاحتمال الأول ، فلا نحتـاج أصـلاً إلي التحقيق في مثبتات الاحتمال الثاني ، اذ سـيصدق بالضـرورة ، ويكون هو المتيقن ، المقطوع به ، المطابق للواقع ، وذلك لاستحالة كذب الاحتمالين معا

عندها شرع حامد يستوضح سالم عن مسألة اخري ، قال :

– وهل يمكن ان ينسب المهدي الي الامام الحسن المجتبي ؟

انتبه سالم اليه ، فقال :

– أما وجود حـديث يصـرح بان المهـدي هو من ولـد الامام الحسن السـبط عليه السـلام ، فاني وحسب اطلاعي لـم أجـد ما يـدل علي ان المهـدي الموعود المنتظر هو من ولد الامام الحسن عليه السـلام في كتب أهل السـنة غير حديث واحد فقط ، وهذا ما اكده لي احد الذين يشار اليهم بالبَنان ..

وربما لا يوجد في تراث الاسلام حديث غيره(1)

. واليك نصه : قال(2)

: قال علي رضـي الله عنه – ونظر إلي ابنه الحسن – فقال : إنّ ابني هذا سيد كما سماه النبي صلي اللّه عليه وسلم ، وسيخرج من صلبه رجل يسمي باسم نبيكم ، يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق. ثم ذكر قصة : يملأ الأرض عدلاً(3)

.

– وكيف يمكن ابطال هذا الحديث او الرد عليه ؟

– وهـذا ما كنت قـد سألت به هـذا المتبحر الذي اشـرت اليه بالقول، فقال : فعند دراسة سـند الحديث ومتنه ، ومقارنة ذلك بأحاديث كون المهدي من ولد الحسين عليه السلام ، فان الباحث ليطمئن بوضعه ، وذلك من سبعة وجوه

– سبعة وجوه ؟ !

– اجل ، وهي اختلاف النقل عن أبي داود في هذا الحديث ، فقد أورد الجزري الشافعي (ت/833 ه) هذا الحديث بسنده عن أبي داود نفسه وفيه اسم : (الحسين) مكان (الحسن) ، فقال : (والأصح انه

1– وهو ما أخرجه أبو داود السجستاني في سننه .

2– حُدِّثْتُ عن هارون بن المغيرة ، قال : حدثنا عمر بن أبي قيس ، عن شعيب بن خالد ، عن أبي إسحاق ، قال :

3– سنن أبي داود 4 : 108 / 4290، وأخرجه عنه في جـامع الأصول 11 : 49 – 50 / 7814، وكنز العمال 13 : 647 / 37636، كما أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن 1: 374 – 375 / 1113.

من ذرية الحسين بن علي لنصّ أمير المؤمنين علي علي ذلك ، فيما أخبرنا به شيخنا المسند رحلة زمانه عمر بن الحسن الرّقي قراءة عليه ، قال : أنبأنا أبو الحسن بن البخاري . .(1)

قال علي عليه السلام – ونظر إلي ابنه الحسين – فقال : إنَّ ابني هذا سيد كما سماه النبي صلي اللّه عليه وسلم ، وسيخرج من صلبه رجل يسمي باسم نبيكم ، يشبهه في الخُلُق ، ولا يشبهه في الخَلْق» . ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً .

هكذا رواه أبو داود في سننه وسكت عنه(2)

.

قال حامد :

– واذن ، فما الذي يستنبط من هذا الاختلاف ؟

قال سالم :

– ان هذا الاختلاف ينفي الوثوق بترجيح أحد الاسمين ما لم يعتضد بدليل من خارج الحديث ، وهو مفقود في ترجيح (الحسن) ومتوفر في (الحسين) . وأما الوجه الثاني ، فانه يصرح بان سند الحديث منقطع لأنّ من رواه عن علي عليه السلام هو أبو إسحاق والمراد به

1– أنبأنا عمر بن محمد الدارقزي ، أنبأنا أبو البدر الكرخي ، أنبأنا أبو بكر الخطيب ، أنبأنا أبو عمر الهاشمي ، أنبأنا أبو علي اللؤلؤي ، أنبأنا أبو داود الحافظ قال : حُدِّثْتُ عن هارون بن المغيرة ، قال : حدثنا عمر بن أبي قيس ، عن شعيب بن خالد ، عن أبي اسحاق قال :

2– اسمي المناقب في تهذيب اسني المطالب / الجزري الدمشقي الشافعي : 165 – 168 / 61. وأخرجه المقدسي الشافعي في عقد الدرر ص 45 من الباب الأول ، وفيه اسم : الحسن ، وأشار محققه في هامشه إلي نسخة باسم : (الحسين) ويؤيد وجود هذه النسخة نقل السيد صدر الدين الصدر عنها إذ أورد الحديث عن عقد الدرر وفيه اسم : الحسين . (كتاب المهدي ، السيد صدر الدين الصدر: 68) .

السبيعي ، وهو ممن لم تثبت له رواية واحدة سماعا عن علي عليه السلام كما صرح بهذا المنذري في شرح هذا الحديث(1)

، وقد كان عمره يوم شهادة أمير المؤمنين عليه السلام سبع سنين ؛ لأنّه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان في قول ابن حجر(2)

. في حين ان سند الحديث هو الاخر يعد مجهولا ، لأن أبا داود قال : (حُدِّثت عن هارون بن المغيرة) ولايُعْلَم من الذي حدّثه، ولا عِبرة في الحديث المجهول اتفاقا . غير ان الدليل الرابع يقول : ان الحديث المذكور أخرجه أبو صالح السليلي – وهو من

أعلام أهل السنة – بسنده عن الامام موسي بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد الصادق، عن جده علي بن الحسين، عن جده علي بن أبي طالب.. و فيه اسم :(الحسين) لا: (الحسن)عليهماالسلام(3)

. كذلك : فان الحديث معارض باحاديث كثيرة من طرق أهل السنة تصرح بأنّ المهدي من ولد الامام الحسين .

– من مثل ماذا ؟

– من مثل حديث حذيفة بن اليمان قال : خطبنا رسول اللّه صلي الله عليه و آله

فذكرنا بما هو كائن ، ثم قال : لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد ،

1– مختصر سنن أبي داود / المنذري 6 : 162 / 4121.

2– تهذيب التهذيب 8 : 56 / 100.

3– التشريف بالمنن للسيد ابن طاووس : 285 / 413 ب 76 ، أخرجه عن فتن السليلي باختلاف يسير .

لطول اللّه عزّ وجلّ ذلك اليوم حتي يبعث فيه رجلاً من ولدي ، اسـمه اسـمي . فقام سلمان الفارسي رضي الله عنهفقال : يا رسول اللّه ! من أي ولدك؟ قال : من ولدي هذا ، وضرب بيده علي الحسين(1)

. هـذا في الوقت الـذي يضاف الي هـذه الوجوه والادلة ، وجها سادسا ، وهو ما ينص علي احتمال التصـحيف في الاسم من الحسـين إلي الحسن في حديث أبي داود غير مستبعد بقرينة اختلاف النقل ، ومع عكس الاحتمال فإنه خبر واحد لا يقاوم المتواتر .

واذا ما سكت سالم وانصرف عن القول وكف عن الكلام ، بادره حامد مذكرا اياه :

- والسابع ؟

- السابع .. اووه نسيته .. لا ، انتظر ، هه ولكأنه يحضر في بالي الساعة ، نعم تذكرت ، انه ليحتمل قويا وضع الحديث لما فيه من العلل

1- المنار المنيف لابن القيم : 148 / 329 فصل / 50 ، عن الطبراني في الاوسط ، عقد الدرر : 45 من الباب الأول وفيه : أخرجه الحافظ أبو نعيم في صـفة المهـدي ، ذخـائر العقـبي / المحب الطبري : 136 ، وفيه : (فيحمـل ماورد مطلقا فيما تقـدم علي هـذا المقيـد) ، فرائد السمطين 2 : 325 / 575 باب / 61 ، القول المختصـر لابن حجر : 7 / 37 باب / 1 ، فرائد فوائد الفكر : 2 باب / 1 ، السيرة الحلبية 1 : 193 ، ينابيع المودة 3 : 63 باب / 94 ، وهناك أحاديث أُخري بهذا الخصوص في مقتل الامام الحسين عليه السلام للخوارزمي الحنفي 1 : 196 ، وفرائد السمطين 2 : 310 - 315 / الاحاديث 561 - 569، وينابيع المودة 3 : 170 / 212 باب 93 وباب 94. ومن مصادر الشيعة أُنظر : كشف الغمة 3 : 259 ، وكشف اليقين : 117 ، واثبات الهداة 3 : 617 / 174 باب 32 ، وحلية الابرار 2 : 701 / 54 باب / 41، وغاية المرام : 694 / 17 باب / 141 ، وفي منتخب الأثر الشيء الكثير من تلك الاحاديث المخرجه من طرق الطرفين ، فراجع .

المتقدمة ، ويؤيد هذا الاحتمال أن الحسنيّين وأتباعهم وأنصارهم زعموا مهدوية محمد بن عبداللّه بن الحسن المثني بن الامام الحسن السبط عليه السلام، الذي قتل سنة (451 ه) في زمن المنصور العباسي ، نظير ما حصل – بعد ذلك من قبل العباسيين وأتباعهم في ادعاء مهدوية محمد بن عبداللّه المنصور الخليفة العباسي الملقب بالمهدي (851 – 1 ه) لما في ذلك من تحقيق اهداف ومصالح سياسية كبيرة لا يمكن الوصول اليها بسهولة من غير هذا الطريق المختصر .

وفي لحظة واحدة المع حامد الي سالم بمسألة مهمة ، فقال :

– أقول : هل لمثل هذا الحديث – وذلك فيما لو صح وصودر عليه – القدرة علي معارضة غيره من الاحاديث ؟

قال سالم متعجبا اشد التعجب :

– لقد طرحت نفس السؤال علي ذلك الرجل ، الله اكبر ، لشدما تجمعنا حالة توارد الافكار وتشاكل الخواطر ... اجل ! فأجابني : انه ومع فرض صحة الحديث – علي الرغم من المؤاخذات المفروغ منها عليه – فإنّه لا تعارض بينه وبين الاحاديث الأُخري المصرحة بكون المهدي من ولد الامام الحسين عليه السلاموامكن الجمع بينه وبينها ، بأن يكون الامام المهدي عليه السلامحسيني الأب حسني الأُم ؛ وذلك لأنّ زوجة

الامام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، أم الامام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلامهي فاطمة بنت الامام الحسن المجتبي عليه السلام . وعلي هذا يكون الامام الباقر عليه السلامحسيني الأب حسني الأُم ، وذريته تكون من ذرية السبطين حقيقة .

– وكأني بهذا الجمع له ما يؤيده من القرآن الكريم

قال سالم :

– كيف ؟

– قال تعالي : ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان... وعيسي وإلياس كل من الصالحين . الانعام : 6 / 48 – 58 . فعيسي عليه السلام أُلحق بذراري الانبياء من جهة مريم عليهاالسلام ، فلا مانع اذن في ان تُلحق ذرية الباقر بالامام الحسن السبط من جهة الأُم كما أُلحق السبطان برسول اللّه صلي الله عليه و آله من جهة فاطمة الزهراء عليهاالسلام .

بينما اردف سالم :

– جميل هي توصلاتك التحليلية ، بل طريفة حقا ! .. كما ان هذا الجمع بين الاخبار لا ينبغي الشك فيه مع افتراض صحة حديث أبي داود وان كان مخالفا للصحة من كل وجه كما تقدم .

– واذن ، فانه ليتضـح لنا بأن الاحتمال الثاني – أعني كون الامام المهـدي من ولـد الامام الحسـين عليه السـلام – لـم يكن مجرد احتمال ، وإنما هو الواقع بعينه ، سواء قلنا بصحة حديث كون المهدي من ولد الامام الحسن السبط عليه السلام أو لـم نقل بذلك .

بينما عاد سالـم الي القول :

– أمّا مع فرض القول بصـحة الحـديث، فلا تعارض بينه وبين أحاديث كون المهدي من ولد الامام الحسـين عليه السـلام ، بل هو مؤيد لها كما رأيت . وأمّا مع القول بعدم صـحته – وهو الحق لما تقدم في الوجوه السبعة – فالحال أوضح من أن يحتاج إلي بيان ؛ لما قلناه سابقا من أن إثبات بطلان أحـد الاحتمالين يعني القطع بمطابقة الآخر للواقع لاسـتحالة بطلانهما معا ، إذ المتيقن هو كون المهدي الموعود من ولد فاطمة عليهاالسلام حقا .

(11)

ولما كان للغد ان يحل ، كان لمسائه ان يحل كذلك ضيفا يغادر سراعا كلما زايلته الوان الافق الشفافة عند خمول ناعس لـم تفق منه

سكرات السماء الزرقاء حتي اذا ما حطت اوراده فوق انوائه جاء ليل تنوس فوق اطراف افاقه وجنبات اديمها دياجي لها ان تغرق كل سكنة وحُبكة .. جلس الاب الي مائدة العشاء ، كان يشاركه فيها زوجته وابنه حامد .. ومن قبل ان يفرغوا من تناول الطعام ، كان للاب حديث مع ولده .. نظر اليه باطمئنان ، ثم ارتشف من قدحه رشفات ماء متعددة ، جال نظره الغرفة كانما راح يبحث عن شيء ما اضاعه ، بعدها استقر نظره علي ولده ، الا انه عاد يسرّح الطرف فيما حوله ، حتي طافت رؤاه تتوزع بين ملامح زوجته وبين قسمات ولده حامد .. اخيرا قرر ان يلقي ما لديه من كلمات ، ادخرها لمثل هذه اللحظات .. وما ان عاين صدقا في طرف ولده انه قد انتهي من عشائه ، وتأكد من زوجته انها هي الاخري قد فرغت من طعامها .. عمد الي ان يوزع الفاكهة عليهما ، فقال لولده حامد وهو يلقي الي ببرتقالة :

– اليك هذه ، انها حلوة مثل العسل ، بل اكثر حلاوة من العسل .. انها لك .. هي كعروسك الجديد ..

عندها اصطدمت الام بمثل هذه الكلمات ، بل فزعت .. كذلك كان قد سبقها الي مثل هذا الاستغراب الهلع ابنها .. فلم يتمالك نفسه ان اجاب اباه قائلا:

– عروس .. اية عروس ؟ !

– انما اعتزمت ان تبقي هذه المسألة سـرا احتكره .. وذلك لاني خشيت ان تلمّح لك امك بهذا الموضوع ولو من بعيد او قريب .. لذلك فان الموضوع هو جديـد لكليكما .. الا انه ليس من حيث الظاهر .. لاتّا كلّنا يعلم انه لا بـد ان يأتي اليوم الـذي يجب فيه ان تختار لك شـريكة حياتك ، ويكون لك من الاولاد والبنات ما تفخر ونعتز بهم نحن كذلك من ورائك ..

– ولكن يا ابي ..

كـانت الاـم ساكتـة .. حـائرة ، لـم تـدر مـاذا تقول .. فمـا كـان منها الا ان شـملت اعطاف الاجواء حولها بسـيل من تنقلات النظر المبعثرة وخطرات البصر المتقلقلة .. بينما جاءه الجواب صارما ، مشذوبا بشيء من التعاطف الذي لا يعرف مهادنة او مواربة :

– قضي الامر يا ولدي .. فانا الي متي يمكنني ان انتظر مثل هذا اليوم .. فليكن اليوم ساعة قبل اخري والسنة .. اليوم قبل الغد ! اثمة ضير في ذلك .. اولاد الناس يحسدون اخوانهم علي امتلاكهم لمثل هذه الحظوظ ، وفوزهم بمثل هذه اللحظات السـعيدة .. وانت تود مجادلتي .. لقد اتفقت مع احد التجار .. ان له ابنة متعلمة ، مثقفة ،

حسناء ان لم اقل انها لا تقل جمالا عن اجمل فتيات الدنيا .. كذلك فان لهم من المال ما يضمن سعادتكم كلاكما.. فلتجتمع هذه الاموال الي اموالنا هنا ، وتكون لكم الحظوة في الدنيا كما لا يمكنها ان تكون لغيركما . والذي ارجوه هو ان لا تروم مناقشتي في هذا الامر .. والا كنت احسبك عاقّا خيبت ظني .. والا فما ينقصك للزواج .. سنة الرسول ان يتزوج الابناء وهم في مثل عمرك .. ومن ناحية المال ، فالوضع لا يقاس ، والوظيفة ، فانك تاجر ابن تاجر .. وما عليك الا ان تتهيأ لادارة الاموال والاملاك .. لان الزواج سيزجك في مثل هذه الاعمال شئت ام ابيت ، لان عليك ان تقوم علي أود اهلك وعيالك في المستقبل ، وهذا سيجعلك تفكر في امور التجارة واعمالنا الادارية اكثر من ذي قبل .. حتي تراك منكبا علي مهنتك ، تحترف شؤون عملها ، وتقبض علي منجافها كما يقبض الربان علي منجاف(1)

سفينته .. بل ان الزواج سيفتح لك ضرورات المشاركة الفعلية والجادة في الاعمال التجارية ، وهذه بدورها ستبعث في نفسك انفاس الاعتماد علي النفس والتوكل علي الله اكثر فاكثر ..

بينما ساد الصمت .. في حين جعلت رائحة البرتقال تضوع في

1- المنجاف : سكّان السفينة .

اجواء الغرفة ، لتغرق زواياها بأريج طعم البرتقال . في حين جعل حامد – الذي كان يفكر كيف يتخلص من مشاكله العالقة .. – يفكر الان كيف يتخلص من مشـكلاته الطارئة والجديدة والتي ما كان لها الا ان تزيد الطين بلة ، وتضـغط عليه لاكثر من الاول ، وهو الذي تمني في الوقت نفسه ان لو لم تطله سوي تلك الازمات السابقة ، ولم يحل الزمان آذانه ولا في ايما يوم الي ان تصـيخ السـمع الي مثل هذه القرارات الشائكة والحادة !

(12)

وبعـد عدة ايام كانت مراسـيم عقد الزفاف تأخذ طريقها الي الاتمام ، حتي اذا ما فرغت اللحاظ من التفرس في جزئيات الحدث، كان له ان يجري مجري سائر الاحـداث .. وتولّي عنه كل الملابسات .. الا في قلب حامـد .. حيث ما فتي ء يشـعر انه مسـلوب الارادة ، قد صودرت كافة حقوقه رغم انفه . الا انه ما كان لينسي ان اباه ما كان يفكر –

وحسب منطوقه – الا لصالحه الـذي لا تصب منافعه الا في هميانه .. غير انه كان يشـعر ان والـده قـد اسـتبق الاحداث من دون ان يأبه ولا حتي

مقـدار ذرة لرغبات ولـده ، او يسائله او حتي يمتحنه ! مع انه كان يشـعر بانه يعيش تجربـة فريدة من نوعها وهي زواج الشـباب المبكر ! وهو انجع علاج لمشـكلات الحياة التي يمكن ان يتعرض لها الشـبان في مقتبل العمر .. وذلك اذا ما نبغوا في كيفيـة معالجـة ازماتهم الانسانية وكبـح غرائزهم البكر .. وبشـكل لا يتعارض مع دوام مسـيرة العمل لديهم فضـلا عن مواكبة ومواصـلة كل خطي الابتكار والتقدم لا سـيما الخلق والانسجام مع الواقع الاجتماعي وعدم التخلي عن ايما ساعة درس او تعلم في سبيل الحياة العائلية والعكس كذلك صحيح ! غير ان اليوم الـذي اجترأ فيه حامـد علي كـل ما شـهده وعايشه ، ما كان ليمنع وروده او تقاطره ايما يوم اخر .. او شـخص ما .. فما ان سـمع الاب بـذلك حتي تناوش ابنه باللوم والتقريع بعـد ان انفرد به في احدي الغرف في محل العمل . نظر اليه بهدوء ، وذلك بعد ان تمالك اعصابه في فترة أعقبت فترة توتر متشنجة .. فقال له :

– أراك تجهل اباك ، اراك تتمرد علي كل حلو اريـده لك .. بل تحاول ان تؤذيني وتسـلبني فرصـة تحقيق امنياتي التي ما اراها متجسـدة الا فيك . اتفهم ما اقول .. ربما كانت هذه الاجراءات متعسفة بعض الشيء .. ربما حصل كل ما يحصل من دون ايما مراعاة لنظرك

الشخصـي ، الا اني ما كنت اظن ان ما يحصل عنوة هو ليقع عن سوء قصد او عن نية سوء من قبل ابيك .. الزواج المبكر تجربة صـعبة ، الا ان مـا يحـل عقـدتها ، هو المشـكلات المترتبـة علي تركهـا فيمـا لو اقلعت عنهـا انت ومن هم علي شاكلتـك من أربابك .. ولربما حالت المشكلات المادية دون تحقيق مثل هذا الهدف المنشود ... الا انك ولله الحمد لا تعاني من ايما عقبات من هذا القبيل .. انها متذللة باذن الله .. وانا ما اريد لك الا الحصول علي السعادة قدر ما يعينني الله عليها .

ولولا عناد حامد في تلك اللحظة لكان للامر ان يجري علي عواهنه ، ولا يلقي بالحبل علي غاربه ، وكيفما شاء لها عنت الشـباب وغضبتهم .. فكان من حامد ان ينتهز هذه الفرصة ليعلن لابيه عن رغباته :

– ابتاه ، انا لا اعتزم الحياد عن تنفيذ اوامرك ..

قاطعه :

– انها رغبات اب صالحة الي ابعد مما تتصور .

– ولكني لا اطيق تحملها .. لا اريد الزواج الان .. لا اريد الانصراف عن مواصلة الدراسة .. ولا اريد الاشتغال بالتجارة .. ولا..

– كفي .. كفي .. ما الذي اذهب بعقلك ، عليك الاذعان الي حقيقة ذهبية ، وهي ضرورة توفير جلّ وقتك لمساهمات تجارية ، انت حريّ

بها ، فانت الرجل الثاني في هذه العائلة بل في شركة ابيك .. والا فعلي كل كل الاماني السلام .

– لكني يا ابي ..

– دعنا من هذا الهراء ..

– ابتاه ، اني قـد عقـدت العزم علي معارضـتك هـذه المرة .. اعـذرني .. لا اسـتطيع تحقيق هذه الاماني التي تسـير عنوة من فوق جسدي ، لتسحقه قهرا حتي اراني كالمقتول صبرا !

عندها تصاعدت الازمة وعلا صراخ الاب حتي مادت به الارض ،

وظن ان الساعة قد ازفت ، اذ ما تبادر الي سمعه كل ذلك حتي شعر ان صدره يضيق عليه ، وانفاسه كالتي صارت تختنق في داخله .. احس ان قلبه اضـعف من ان يتحمل كل هذا الهصر والضغط ، وكيف لو كان كل هذا الالم لا يأتيه الا من فلذة كبده وعنصر حياته .. بينما كانت عضلاته

تاخذ طريقها الي التشنج كانت اصابع اكفه تسّاقط فوق صدره ، لتقبض كيفما اتفق علي قلبه المتصدع ..

(13)

صرخت في وجهه :

– كل القصور .. انا السبب فيه ، لاني اخفيت عليك حقيقة اصابة ابيك بالجلطة القلبية . . وانه معرض لها في اي وقت كان .. ولكني حاولت ان ابدد ساعات الالم من امام طريقك .. ولكن الاقدار كان لها ان تلعب دورها متي شاءت ..

كان لامه ان تصرّح وبكل ما عندها لحامد الذي راح يجهش بالبكاء ، لان الوقت قد كشف عن حاله عنوة ، بينما جعل حامد وكلما لجأ الي الصمت ، فيلوذ ببكاء حارق مخنوق ، فيذرف دموعه الهاطلة ومن دون اي نشيج .. كان زمام الامر يفلت من بين قبضتيه ليخر راعدا من فرط المه حتي ينفجر بالبكاء ويعاود نوباته باقسي لحظاته .. غير ان امه كانت تطمئنه بان ثمة من الوقت ما هو كاف لتدارك واقع الحال . في حين كان عناق الاب – بعد تحسن حاله ، وتجاوزه مرحلة الخطر – والابن مثالا يؤذن بقدوم تباشير جميلة ترفل بمستقبل رحيب .

ص: 98

(14)

وتمضي الساعات ، وتهب رياح الايام ، حتي اذا ما مضت اشهر علي الحادث .. كان للاوضاع ان تسير علي خير ما يرام .. وذات يوم جلس حامد الي جانب امرأته التي كانت تدعي سميرة . كان يفكر في دراسته وما ينتظره من أيام مستقبلية ، وكيف له ان يتفرغ باحكام لمساعدة ابيه في تجارته وادارة اعماله ، ومن حيث لا يلحق ايما ضرر بدراسته ولا بمصالح العائلة المادية ... سألته امرأته التي كانت تتمذهب بمذهب اهل السنة :

– سيمكنك ان تلتحق بقاعات الجامعة ومن دون ان يعيق ذلك مهام اعمالك التجارية ..

– ولكن .. كيف ؟

– سنتعاون كلانا .. ساساعدك انا في هذا الامر ، وفي الوقت الذي تكون قد تفرغت للدرس والمطالعة ، سأحتل مقعدك في الشركة الي جانب ابيك ..

تطلع حامد الي زوجته .. كان يراها صفحة ناصعة من مستقبله الذي لم يكشف عن ابهي صوره الا الان !

ص: 99

(15)

وذات أصيل ، عندما كان للغسق ان ينطلي بالوانه الغامقة ، ناولته قدحا من شاي .. تملّي في وجهها .. قال لها :

– واذن ، فانّا قد صادرنا علي تأخير موعد قدوم خلفائنا في هذه الحياة .

ابتسمت وهمست له :

– هذا وبالرغم منّا ، اليس كذلك .

– بكل تأكيد ! هذا ما شئناه .

– ولو شاء الله لما جبهت مشيئته بمشيئتنا .

– ماذا تعنين ؟

– اعني انا نخطو ونتحرك بعقليتنا .. الا ان حساب الله غير حسابنا.

– لم افهم .

– انما اردت القول انّا لو امتنعنا في الوقت الحاضـر ، الا انه لو شاء الله لخلق من الظروف ما يتناسب مع ولادة ميمونة تكون ذخرا لنا في كل الاوقات .

ص: 100

- هذا مسلّم له .

- اجـل .. غير ان المنطق السـليم يوجب علينـا كـذلك ان نلتفت الي ظروفنا التي ربما لم تتسـني لغيرنا .. فنحن نتمتع بكل ما له ان يـذلل المصاعب ويبـدد المتاعب من خلال تهيئـة الوسائل الكفيلة لانجاح مثل هذه المشاريع العائلية والمساعي الاجتماعية . ذلك انّا نمتلك ما يمكننا معه ان نوفره لوليدنا من رعاية وعناية خاصة .. ومن دون ان يعيق وجوده نشاطاتك الدراسية او فعالياتك التجارية . اليس كذلك ؟ !

- هه .. اجل .. ولكن .. !

كان ينظر اليها .. يراها امرأة تجود بكل ما لـديها من اجل ان تتوصل الي غايـة سـعيدة ترضـي بها رفيق عمرها . غير انه كان يدرك ان النساء ربما ما وفين بما يقلن الا من حيث لا يفين بما وعدن . في حين انه ما زال يعقل انه قد فاز بتحفة اناله اياها الجليل من فوق سـبع سـماوات . وانه قد حظي بها كما لو استرقها خلسة من وحي آي الزمان وفيء ليالي الدهور التي ما اصطبرت عليه الا لتدفع اليه بمن توحي اليه ان يكون لها شأن من الشؤون !

واذا ما عرض لهما الحـديث في ذات يوم ، كان لمناقشاتهما ان تـذهب ابعد من حدودها المألوفة ، والمتعارف عليها في كل يوم حتي اذا ما طرق موضوع خلافة العائلة والمولود الجديد ، وانتظاره او عدمه .. ودراسة مثل هذه الظروف وتقصي الاوضاع المحيطة بها..

كان للبحث ان يرد مدخلا اخر .. تعين علي كل منهما عدم تحاشـيه ، وهو خلافة الرسول من بعد وفاته ، حتي اذا ما اجتازا مراحل مهمة .. صارت تعلن انها قـد تأكدت من مسألة مهمة هي في غاية الاهمية فيما لو قدّر لها اثباتها بكل ما تذهب اليه .. لانها لو اثبتتها لكان بوسـعها ان تدفع عنها سيل الدلائل والاثباتات التي اترع بها ذهنها زوجها حامد .. حتي قالت له :

– قد قرأت وطالعت ، بل سـمعت كذلك من مصادر موثقة ممن اعتقد بعلميتهم ان المهدي اعني المصـلح المنتظر والمنقذ المصطبر علي فراقه هو ليس من أولاد الحسين بن علي ، لانه لم يولد بعد ، وذلك حسب ما تزعمون اعني حسبما تقوله الشيعة الامامية !

ص: 102

التفت اليها حامد ، وكأنه قد فوجي ء بما لم تفجأه به ايما لحظة من اللحظات الآنفة .. والمزحومة بمختلف المناظرات المخضرمة والمجادلات العقائدية منها والفقهية ، وذلك في بعض المسائل المصطبغة الوانها بأعلي صور الخلاف بين السنة والشيعة . بينما صار يلملم افكاره ، وهو يكافح من اجل ان يلتقط كل ما بوسعه التقاطه .. الا ان معلوماته غير الكافية كانت قد خانته حتي صار ينصت بخشوع الي ما تقوله الزوجة الشابة ، وذلك من بعد ان اوعز اليها ، واشار لها بادلاء دلوها أولا :

– انه لا بدّ وأن يكون من أولاد الامام الحسين عليه السلام ، وقبل بيان مثبتات هذه النتيجة – التي يترتب عليها اعتقاد الشيعة الامامية بأنّ المهدي هو التاسع من صلب الامام الحسين عليه السلام ، وأنه قد وُلد حقا وهو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام ، لا بدّ من التوقف برهة مع ما ورد معارضا لذلك في لسان بعض الروايات – يعني من طرقكم .. اقصد من طريق أهل السنّة –

فما كان منها الا ان تقاطعه مردفة الكلام :

– . . اجل ، والتي عيّنت اسم أبي المهدي ب– : (عبداللّه) ، مما نجم عنها اعتقاد بعضهم بأنّ المهدي هو محمد بن عبداللّه ، وأنه لم يولد

بعد ، وإنما سيولد قبيل ظهوره في آخر الزمان .

عنـدها ادرك انه قـد تزوج من امرأة مرست علي النهـل من مختلف العلوم ، كمـا انه لاـ يمكن اقناعهـا طواعيـة الا من حيث لا يلتزم منحي التخلي عن مذهبه الا مطواعا .

في حين عقّب علي كلامها ، كأنه يريد ان يثبت لها انه هو الاخر قد استنفد كل طاقاته في الموضوع :

– الا انه ولما كان التواتر حاصـلاً لمهـديٍّ واحـد ، فلابدّ وأن يكون أحد الفريقين ينتظر مهديا لا واقع له ، وهذا ما يسـتدعي وجوب مراجعة كل فريق لأدلّته بمنظار أنها خطأ يحتمل الصواب ، والنظر لما عند الآخر باعتبار انه صواب يحتمل الخطأ ، وهذا وإن عزّ ، فلا يعدم عند من يسـعي لادراك الصواب – قبل فوات الأوان – أينما كان . ولأجل معرفـة الصـحيح في اسم أبي المهـدي أهو : عبداللّه ، أو الحسن ؟ علي ان استمع الي ما تقولين .. اقصد ما تأتيننني به من ادلة .

قالت :

– أما الاحاديث ، فمنها : «اسم أبيه اسم أبي» (عبداللّه) .

قاطعها وقال لها :

– أودُّ الاشارة قبل دراسة هذه الأحاديث إلي أنّ بعض علماء

الشـيعة أوردوا بعضـها ، لا إيمانا بها، لمخالفتها لأُصول مذهبهم ، وإنما لأمانتهم في نقلها من كتب أهل السـنة دون تحريف أو حذف؛ إمّا لامكان تأويلها بما لا يتعارض وأُصول المذهب ، وإمّا للبرهنة علي الأمانة في النقل ، وإيقاف المسلمين علي مناقشاتهم لها .

– جميل !

– . . الا اني اتساءل ، كيف كان لك ان تتبحري في هذا الباب ، وتلمّي بشتات هذا القال ؟

قالت :

– اني قـد عقـدت فصولا لدراسـة هـذه المسألة حين تقديمي بحثا في المدرسة .. لقد تعمدت المدرّسة المختصة بالمادة ان تختار لي هذا الموضوع ، عناية منها بي ، اقول ذلك حسبما ادعته هي ، وذلك اقحاما لي في خضم هذه المناظرات الخطية ، للاعراب عن حقيقة المشاركة بين السـنة والشـيعة ، لبـذل الجهـد من قبل الطرفين للتوصل الي واقع يفصم عري الخلاف ما بينهم وذلك عبر الاخـذ بأطراف الحقيقـة من تلابيبها الاصـلية ، وغذّ السـير في مسار تغذية مد الجسور ورتق كل فتق بين الاطراف المعنية ، لانه – وحسب ما ادعته – متي ما اميط اللثام عن قطب الحقيقة كان لها ان تنحسر عن شعاعاتها التي ما فتئت تحيا

بها القلوب .. ولولاها ما قرّ لروح مثويً ولا حتي مآب . . الا بها !

– عظيم ، ان هذه المدرّسة لربما كانت فيلسوفة .

– لا .. انها ليست كذلك . . فلقد ساءها – وحسب ما تصـرف القول لي – اني قد انحدرت الي مهبع الحقيقة ، ونهضت بوحي فطري صوب أنجاد الواقعية . الا اني لم أؤمن بما وعيت به او حصـلت عليه .. بل قالت – هكذا – : والكلام بيني وبينك فقط .. اني لاراك كالعطشي التي في يديها جرة ماء ، وهي ما تزال تحدث نفسها ، اني ما زلت ابحث عن الماء ، وما الذي بيدي الا جرة ماء لا تطفي ء فورة ظمئي ، ولا تخمد سَورة عطشي .

– اووه ! حقا ، ان المسألة قد بلغت وبالفعل مراحل متقدمة .

– أما الاحاديث التي أذكرها ، اقصد التي كنت قد ادغمتها في بحثي ، بعد ان اوليتها كل العناية ، حتي دسستها فيه ، فمنها : الحديث(1)

الذي ورد عن النبي صلي الله عليه و آلهأنه قال : لا تذهب الدنيا حتي يبعث اللّه رجلاً يواطي ء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي(2)

. والحديث الذي(3)

قال فيه :

1– الذي أخرجه ابن أبي شيبة ، والطبراني ، والحاكم ، كلّهم من طريق عاصم بن أبي النجود ، عن زرّ بن حبيش ، عن عبداللّه بن مسعود ،

2– المصـنف لابن أبي شيبة 15 : 198 / 19493 ، المعجم الكـبير للطبراني 10 : 163 / 10213 و 10 : 166 / 10222 ، مستدرك الحاكم 4 : 442 . وأورده من الشـيعة المجلسي في بحار الانوار 51 : 82 / 21 ، عن كشف الغمـة للاربلي 3 : 261 ، والاخير نقله عن كتاب الاربعين لابي نعيم .

3– أخرجه أبو عمرو الـداني، والخطيب البغـدادي كلاهما من طريق عاصم بن أبي النجود ، عن زرّ بن حبيش ، عن عبـداللّه بن مسـعود عن النبي

لا تقوم الساعة حتي يملك الناس رجل من أهل بيتي، يواطي ء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي(1)

. اما الثالث، فهو(2)

: المهدي يواطي ء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي(3)

. والرابع(4)

المهدي اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي(5)

.

- هذه هي الأحاديث التي جعلت مبررا لاختيار (محمد بن عبداللّه) كمهديٍّ في آخر الزمان،

قال لها :

- وماذا قالت لك المدرّسة :

- انها قالت : كلها لا تصحّ حجة ومبررا لهذا الاختيار.

فصرخ قائلا :

- اووه ، كيف استدلّت .. انه امر عظيم !

- امر عظيم ، هه ؟ ! .. قالت : الذي أخرجها نعيم بن حماد بسنده

1- سنن أبي عمرو الداني : 94 - 95 ، تاريخ بغداد 1: 370 ولم يروه احد من الشيعة .

2- الحديث الذي أخرجه نعيم بن حماد، والخطيب ، وابن حجر ، كلهم من طريق عاصم أيضا ، عن زرّ ، عن ابن مسعود ، عن النبي .

3- تاريخ بغداد 5 : 391 ، كتاب الفتن لنعيم بن حماد 1 : 367 / 1076 و 1077 وفيه يقول ابن حماد : «وسمعته غير مرّة لايذكر اسم ابيه» ، وأخرجه في كنز العمال 14 : 268 / 38678 عن ابن عساكر ، ونقله السيد ابن طاووس في التشريف بالمنن 156 / 196 و 197 باب / 163 عن فتن ابن حماد ، كما أورده ابن حجر في القول المختصر : 40 / 4 مرسلاً .

4- الذي أخرجه نعيم بن حماد بسنده عن أبي الطفيل قال : «رسول اللّه صلي اللّه عليه وسلم قال :

5- الفتن لنعيم بن حماد 1 : 368 / 1080 وعنه السيد ابن طاووس في التشريف بالمنن : 257 / 200 .

عن أبي الطفيل قال : «رسول اللّه صـلي اللّه عليه وسـلم قال : وقد علمت أن الثلاثة الأُولي منها كلّها تنتهي إلي ابن مسعود من طريق واحد وهو طريق عاصم بن أبي النجود . وأما الحـديث الرابع، فسـنده ضـعيف بالاتفاق اذ وقع فيه رِشْدِينُ بن سـعد المهري وهو : رِشْدِينُ بن أبي رِشْدِين المتّفق علي ضعفه بين أرباب علم الرجال(1)

من أهل السُّنّة . فقلت لها : كيف ؟ قالت : آتيك بها غدا . وفي الغد جاءتني تتصفح دفترا لها ، ثم قالت وهي تقرأ فيه : فعن أحمد بن حنبل : أنه ليس يبالي عمّن روي ، وقال حرب بن إسماعيل : (سألت أحمد بن حنبل عنه ، فضعّفه) ، وعن يحيي بن معين : لا يكتب حديثه . وعن أبي زرعـة : ضـعيف الحـديث ، وقال أبو حاتم : منكر الحـديث ، وقال الجوزجاني : عنده معاضـيل ، ومناكير كثيرة ، وقال النسائي : متروك الحـديث لا يُكتَب حـديثه . وبالجملـة فإنّي لم أجـد أحـدا وثّقه قطّ إلاّ هيثم بن ناجة فقد وثّقه وكان أحمد بن حنبل حاضـرا في المجلس ، فتبسّم ضاحكا ، وهذا يدلّك علي تسالمهم علي ضعفه(2)

. ولاـ شك ، أنه من كان حاله هو ما عرفت فلا يؤخـذ عنه مثل هـذا الامر الخطير . الحقيقـة ، اني لم افهم اشاراتها تلك علي وجه الصـحة الكاملة .. بينما اسهبت في الكلام

1- علم الرجال : هو العلم الذي

2- راجع : تهذيب الكمال 9 : 191 / 1911، وتهذيب التهذيب 3 : 240 ففيهما جميع ماذكر بحق رِشْدِين بن أبي رِشْدِين.

: وأمـا الأحـاديث الثلاثـة الأُولي ، فهي ليست بحجـة من كل وجه ، ومما يوجب وهنها وردها هو ان عبارة : (واسم أبيه اسم أبي) لـم يروها كبار الحفّاظ والمحـدّثين، بل الثابت عنهم روايـة : (واسـمه اسـمي) فقط من دون هـذه العبارة كما سـنبرهن عليه ، هذا مع تصـريح بعض العلماء من أهل السنة الذين تتبعوا طرق عاصم بن أبي النجود بأن هذه الزيادة ليست فيها .

– وبماذا أجبتها ؟

– قلت لها : إن إسـناد هذه الأحاديث الثلاثة ينتهي إلي ابن مسـعود ؟ ! فقالت : اجل ابن مسـعود فقط ، بينما المروي عن ابن مسعود نفسه كما في مسند أحمد – وفي عدة مواضع – (واسمه اسمي) فقط(1)

، وقال(2)

...

1– مسند أحمد 1 : 376 و 377 و 430 و 448.

2– وكذلك الحال عند الترمذي (فقد روي هذا الحديث من دون هذه العبارة ، مشيرا إلي أنّ المروي عن علي 7 ، وأبي سعيد الخدري ، وأُم سلمة ، وأبي هريرة هو بهذا اللفظ (واسـمه اسـمي) ثم قال – بعد رواية الحديث عن أبي مسعود بهذا اللفظ – : (وفي الباب : عن علي، وأبي سعيد ، وأُم سـلمة ، وأبي هريرة . وهذا حديث حسن صـحيح) (سنن الترمذي 4 : 505 / 2230) ، وهكـذا عند أكثر الحفاظ (فالطبراني مثلاً أخرج الحـديث عن ابن مسـعود نفسه من طرق أُخري كثيرة ، وبلفـظ : (اسـمه اسـمي) ، كمـا في أحـاديث معجمه الكبير المرقمـة : 10214 و10215 و10217 و10218 و10219 و10220 و10221 و10223 و10225 و10226 و10227 و10229 و10230 . وكذلك الحاكم في مسـتدركه أخرج الحديث عن ابن مسعود بلفظ : (يواطي ء اسمه إسمي) فقط ، ثم قال : (هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه) . (مستدرك الحاكم 4 : 442.) وتابعه علي ذلك الذهبي ، وكذلك نجد البغوي في مصابيح السـنّة يروي الحديث عن ابن مسـعود من دون هذه الزيادة مع التصـريح بحسن الحديث (مصباح السنة 492/4210) . وقد صـرح المقدسي الشافعي بأن تلك الزيادة لم يروها أئمـة الحـديث ، فقال – بعـد أن أورد الحديث عن ابن مسـعود بدون هذه الزيادة – : (أخرجه جماعة من أئمة الحديث في كتبهم ، منهم الامام أبو عيسـي الترمـذي في جامعه ، والامام أبو داود في سـننه ، والحافظ أبو بكر البيهقي ، والشـيخ أبو عمرو الداني ، كلهم هكـذا) (عقد الدرر : 51 / باب 2.) أي : ليس فيه : (واسم أبيه اسم أبي) ثم أخرج جملـة من الأحاديث المؤيـدة لـذلك مشـيرا إلي من أخرجها من الأئمـة الحفاظ كالطبراني ، وأحمـد بن حنبل ، والترمـذي ، وأبي داود ، والحافظ أبي داود ، والبيهقي ، عن عبداللّه بن مسـعود ، وعبـداللّه بن عمر ، وحذيفة (عقد الدرر : 51 – 56 / باب 2) . هـذا زيادة علي ما مرّ من اشارة الترمـذي إلي تخريجها عن علي7 ، وأبي سعيد الخدري ، وأُم سلمة ، وأبي هريرة ؛ كلهم بلفظ : واسمه اسمي فقط .

- طيب .

- بينما اضافت : ولا يمكن تعقل اتفاق هؤلاء الأئمة الحفاظ بإسقاط هذه الزيادة (واسم أبيه اسم أبي) لو كانت مروية حقا عن ابن مسعود مع أنّهم رووها من طريق عاصم بن أبي النجود، بل ويستحيل تصور إسقاطهم لها لما فيها من أهمية بالغة في النقض علي ما يدعيه الطرف الآخر .

ومن هنا يتضح أنّ تلك الزيادة قد زيدت علي حديث ابن مسعود من طريق عاصم .

- لماذا ؟

- انا الاخري سألتها ، فقالت : إما من قِبَل أتباع الحسنيين وأنصارهم ترويجا لمهدوية محمد بن عبداللّه بن الحسن المثني، أو من قبل أتباع العباسيين ومؤيديهم في ما زعموا بمهدوية محمد بن عبداللّه - أبي جعفر - المنصور العباسي . وقد يتأكد هذا الوضع فيما لو علمنا بأنّ الأول منهما كانت رتّة في لسانه ، مما اضطر أنصاره علي

الكذب علي أبي هريرة ، فحدّثوا عنه أنه قال : إن المهدي اسمه محمد بن عبداللّه في لسانه رتّة(1)

. ولما كانت الأحاديث الثلاثة الأُولي(2)

. . .

كان حامد يفكر في امرأته .. وفي علميتها .. حتي اذا انتهت من كلامها بادرها :

– ومن هنا يُعلم أنّ حديث : (.. واسم أبيه اسم أبي) فيه من الوهن ما لا يمكن الاعتماد عليه في تشخيص اسم والد المهدي المباشر . وهو ما تعترفين به انت كذلك .

– اني لم اعترف .. ولكني فوجئت بعلمية المدرّسة .. وانتظر الفرصة كيما ارد عليها علميا .

– الا انه يمكن القول ان من ينتظر مهديّا باسم (محمد بن عبداللّه) إنما هو في الواقع – وعلي طبق ما في التراث الاسلامي من أخبار – ينتظر سرابا يحسبه الضمآن ماء .

1– هذا الحديث الموضوع منقول في معجم أحاديث الإمام المهدي عن مقاتل الطالبيين: 163 – 164.

2– من رواية عاصم بن أبي النجود ، عن زرّ بن حبيش عن عبداللّه بن مسعود ، مخالفة لما أخرجه الحفاظ عن عاصم من أحاديث في المهدي – كما مر – ، فقد تابع الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ت/430 ه في كتابه (مناقب المهدي) طرق هذا الحديث عن عاصم حتي أوصلها إلي واحد وثلاثين طريقا ، ولم يُرْوَ في واحد منها عبارة (واسم ابيه اسم أبي) بل اتفقت كلها علي رواية (واسمه اسمي) فقط . وقد نقل نص كلامه الكنجي الشافعي (ت/638 ه) ثم عقّب عليه بقوله : «ورواه غير عاصم ، عن زر ، وهو عمرو بن حرة ، عن زر كل هؤلاء رووا (اسمه اسمي) إلاّ ما كان من عبيد اللّه بن موسي ، عن زائدة ، عن عاصم ، فإنّه قال فيه : (واسم أبيه اسم أبي) . ولا يرتاب اللبيب أن هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة علي خلافها – إلي أن قال – والقول الفصل في ذلك : إن الامام أحمد – مع ضبطه وإتقانه – روي هذا الحديث في مسنده في عدة مواضع : واسمه اسمي) (البيان في أخبار صاحب الزمان / الكنجي الشافعي : 482) .

- لا أتصوره كذلك .

- كيف ؟

- لاني أجد الاستاذ الأزهري سعد محمد حسن يصرّح بأن أحاديث (اسم أبيه اسم أبي) أحاديث موضوعة ، ولكن الطريف في تصريحه أنّه نسب الوضع إلي الشيعة الامامية لتؤيد بها وجهة نظرها علي حد تعبيره(1)

!!

- وهذا امر غريب ... الا انه يتضح أيّ نتيجة البحث في طوائف أحاديث نسب الامام المهدي ، قد انتهت إلي كونه من ولد الامام

الحسين عليه السلام ؛ لضعف سائر الأحاديث التي وردت مخالفة لتلك

النتيجة، مع عدم وجود أية قرينة تشهد بصحة تلك الأحاديث، بل توفرت القرآئن الدالة علي اختلاقها .

- لكني لا اري ذلك .

فقال لها :

- هناك أحاديث كثيرة عند الشيعة الامامية عيّنت الأئمة الاثني عشر بأسمائهم واحدا بعد آخر ابتداءً بالامام علي وانتهاء بالمهدي عليهم السلام ، مع مجموعة من الأحاديث في تعيين كل إمام لاحق

1- المهدية في الاسلام / الاستاذ الازهري سعد محمد حسن : 69.

بنصّ من الامام السابق . وأخري عند أهل السنة مصرحة بعدد الأئمة تارة كما في الصحاح ، ومشخصة لأسمائهم كما في كتب المناقب وغيرها وإلي جانب هذا توجد جملة من الأحاديث المتّفق علي صحّتها تدلّ علي حياة المهدي ما بقي في الناس اثنان ، وهذا لايتمّ إلاّ بتقدير كونه التاسع من ولد الامام الحسين عليهماالسلام . وسوف لن أذكر من تلك الاحاديث إلا ما احتُجَّ به في كتب اهل السنة .

- من مثل ؟

- من مثل حديث الثقلين . فانه مما لاشك فيه أن النبي صلي الله عليه و آله قد انتقل إلي الرفيق الأعلي والسنة لم تدوّن بكل تفاصيلها في عهده ، وهو منزّه عن التفريط برسالته المحكوم ببقائها إلي يوم القيامة ، ومنزّه أيضا عن إهمال أُمته مع نهاية رأفته بهم وشفقته عليهم ، فكيف يوكلهم إلي القرآن الكريم وحده مع ما فيه من محكم ومتشابه ، ومجمل ومفصّل ، وناسخ ومنسوخ ، فضلاً عمّا في آياته من وجوه ومحامل استخدمت للتدليل علي صحة الآراء المتباينة كما نحسّ ونلمس عند أرباب المذاهب والفرق الاسلامية .

- ؟ !

- هذا ، مع علمه صلي الله عليه و آله بأنه قد كُذِب عليه في حياته فكيف الحال

إذن بعـد وفاته ، والـدليل عليه قوله صـلي الله عليه و آلهالـذي اتخـذ بكتب الدراية مثالاً علي التواتر اللفظي : من كذّب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

عندها قالت :

– الم تخبر الشيعة انهم لم يغلقوا باب الاجتهاد . . كذلك الرسول .

ردّ عليها :

– انه من غير المعقول إذن أن يدع النبي شريعته مسرحا لاجتهادات الآخرين من دون أن يحدد لهم مرجعا يعلم ما في القرآن

حق علمه ، وتكون السـنة معلومـة بكل تفاصـيلها عنـده . وعندئـذ تبـدأ مرحلـة اجتهاد غير المعصوم ، اعني الاجتهاد الكائن في دائرة علم المعصوم . وهـذا هو القـدر المنسـجم مع طبيعة صـيانة الرسالة ، وحفظها ، ومراعاة اسـتمرارها منهجا وتطبيقا في الحياة . ومن هنا تتضـح أهميـة حـديث الثقلين (القرآن والعترة) ، وقيمـة إرجاع الأمّـة فيه إلي العترة لأخـذ الـدين الحق عنهم ، كما تتضح أسـباب التأكيد عليه في مناسبات مختلفة ونُوَب متفرقة، منها في يوم الغدير ، وآخرها في مرضه الأخير(1)

.

1– فعن زيـد بن أسـلم ، عن رسول اللّه 6 قـال : «كـأنني قـد دُعِيت فأجبت ، إني تارك فيكم الثقلين أحـدهما أكبر من الآخر : كتاب اللّه ، وعترتي أهـل بيتي فـانظروا كيف تخلفوني فيهمـا ، فإنهمـا لن يفترقا حتي يردا عليَّ الحوض ، إنّ اللّه مولاي ، وأنا ولي كل مؤمن . من كنت مولاـه فعليٌّ مولاه ، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» . مسـتدرك الحاكم 3 : 109. . وعن أبي سـعيد الخدري ، عن النبي 6 قال : «إنّي تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلي الارض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتي يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (سـنن الترمذي 5 : 662 / 3786، وحديث الثقلين قد روي عن أكثر من ثلاثين صـحابيا، وبلغ عدد رواته عبر القرون المئات. راجع حديث الثقلين تواتره، فقهه، للسيد علي الحسيني الميلاني : 47 – 51. فقد ذكر فيه بعض الرواة وفيه الكفاية) .

بينما اكمل حديثه بالقول :

– هـذا فضـلاً عن تأكيده صـلي الله عليه و آله المسـتمر علي الاقتداء بعترته أهل بيته ، والاهتداء بهديهم ، والتحذير من مخالفتهم ، وذلك بجعلهم تارة كسفن للنجاة ، وأُخري أمانا للأُمّة ، وثالثة كباب حطّة .

– ولكن الاختلاف كان قد وقع في من هم اهل البيت ؟

– انه وفي الواقع لم يكن ثمـة خلاف في هـذه المسألـة ، لانه لو كان لكان الصـحابة اولي بمثل هذا الخلاف ، غير انهم اغضوا الطرف عنه ، ذلـك انهم لم يكونوا بحاجـة إلي سؤال واسـتفسار من النبي لتشـخيص المراد بأهـل البيت ، وهم يرونه وقـد خرج للمباهلـة وليس معه غير أصـحاب الكسـاء وهو يقول : اللّهم هؤلاـء أهلي وهم من أكبر النـاس معرفـة بخصـائص هـذا الكلام ، وإدراكا لما ينطوي عليه من قصـر واختصاص . وإلا فتسـعة أشـهر وهي المدّة التي أخبر عنها ابن عباس في وقوف النبي صـلي الله عليه و آله علي باب فاطمة صـباح كل يوم وهو يقرأ : إنما

يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا(1)

كافية لأن يعرف الجميع من هم أهل البيت عليهم السلام .

ومع هذا فلا معني لسؤالهم واستفسارهم من النبي صلي الله عليه و آلهعمّن

يعصموا الأُمّة بعده من الضلالة إلي يوم القيامة فيما لو تمسكت بهم مع القرآن .

فحاجة الأُمّة – والصحابة أيضا – ليس أكثر من تشخيص أولهم ليكون المرجع للقيام بمهمته بعد النبي صلي الله عليه و آله حتي يأخذ دوره في عصمة الأُمّة من الضلالة ، وهو بدوره مسؤول عن تعيين من يليه في هذه المهمة ، وهكذا حتي يرد آخر عاصم من الضلالة مع القرآن علي النبي الحوض .

– ولكن الخليفة من بعد النبي ؟

– فإذا علمت أن عليا عليه السلام قد تعيّن بنصوص لا تحصي ، ومنها في حديث الثقلين نفسه ، فليس من الضروري إذن أن يتولّي النبي بنفسه تعيين من يلي أمر الأُمّة باسمه في كل عصر وجيل ، إن لم نقل إنه غير طبيعي لولا أن تقتضيه بعض الاعتبارات . فالقياس إذن في معرفة إمام كل عصر وجيل : إمّا أن يكون بتعيينهم دفعة واحدة ، أو بنص السابق

1– الاحزاب : 33 / 33 . وانظر روايات وقوف النبي صلي الله عليه و آله علي باب فاطمة وهو يقرأ الآية في تفسير الطبري : 22 / 6 .

علي إمامة اللاحق وهو المقياس الطبيعي المألوف الذي دأبت عليه الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وعرفته البشرية في سياساتها منذ أقدم العصور وإلي يوم الناس هذا. والا ـ فانه ليس من العلمية ان يعلن الرئيس عن نائبه ، ومن ثم ترينه يصاحَبه دائما او يقوم مقامه ، بينما يعلن الناس اختلافهم فيمن ينوبه .

- ؟ !

وإذا ما عدنا إلي واقع أهل البيت عليهم السلام تجدين النصّ قد توفر علي إمامتهم بكلا طريقيه، ومن سَبَر الواقع التاريخي لسلوكهم علم يقينا بأنهم ادعوا لانفسهم الامامة في عرض السلطة الزمنية ، واتخذوا من أنفسهم كما اتخذهم الملايين من أتباعهم أئمة وقادة للمعارضة السلمية للحكم القائم في زمانهم ، مع إرشاد كل إمام أتباعه علي من يقوم بأمر الامامة من بعده ، وعلي هذا جرت سيرتهم ، فكانوا عرضة للمراقبة والسجون والاستشهاد بالسم تارة ، وفي سوح الجهاد تارة أُخري وعلي أيدي القائمين بالحكم أنفسهم .

- اتقصد انهم كانوا يعيّنون من يقوم من ورائهم دائما .

- نعم ! ثم لو فرض أنّ أحدهم لم يعيّن لأتباعه من يقوم بأمر الامامة من بعده، مع فرض توقف النص عليه ، فإنّ معني ذلك بقاء

ذلك الامام خالـدا مع القرآن في كل عصـر وجيل ؛ لأنّ دلالة : لن يفترقا حتي يردا عليَّ الحوض . . علي اسـتمرار وجود إمام من العترة في كل عصر كاستمرار وجود القرآن الكريم ظاهرة واضحة ، ولهذا ذهب ابن حجر إلي القول : «وفي أحاديث الحث علي التمسك بأهل البيت إشارة إلي عـدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلي يوم القيامـة ، كما أنّ الكتاب العزيز كـذلك ، ولهـذا كانوا أمانا لأهل الأرض ، ويشـهد لذلك الخبر : في كلِّ خَلَفٍ من أُمتي عدول من أهل بيتي(1)

.

– انت قلت ثمة احاديث ، ولم تذكر غير هذا الحديث .

– اما الحديث الاخر فهو : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية . حيث سُجّل هذا الحديث – بألفاظٍ مختلفةٍ لابدّ وأنْ ترجع إلي معنيً واحدٍ ومقصدٍ فارد – : في أُمهات كتب الحديث السنية ، ويكفي علي ذلك اتفاق البخاري ومسلم – من أهل السنة – علي روايته(2)

. وقد أخرجه كثيرون بطرق لا طاقة علي استقصائها(3)

.

1– الصواعق المحرقة : 149.

2– صحيح البخاري 5 : 13 باب الفتن ، صحيح مسلم 6 : 21 – 22 / 1849 .

3– انظر مسند احمد 2 : 83 ، 3 : 446 ، 4 : 96 ، مسـند أبي داود الطيالسي : 259 ، المعجم الكبير للطبراني 10 : 350 / 10687 ، مستدرك الحاكم 1 : 77 ، حلية الاولياء 3 : 224 ، الكني والاسماء 2 : 3 ، سنن البيهقي 8 : 156 ، 157 ، جامع الاصول 4 : 70 ، شرح صحيح مسلم للنووي 12 : 440 ، تلخيص المستدرك للذهبي 1 : 77 و 177 ، مجمع الزوائد للهيثمي 5 : 218 و 219 و 223 و 225 و312 ، تفسير ابن كثير 1 : 517 .

– اعرف هذا الحديث ، الا ان اختي تقول ان الكاتب ابو زهرت كان قد ناقشه وضعّفه .

– ان الحديث مما لا مجال لاحد ان يناقش في سنده ، وان توهم الشيخ أبو زهرة فعدّه من روايات الكافي فحسب !(1)

. والحديث كما ترين تخريجه لا يبعد القول بتواتره ، وهو لا يحتمل التأويل ولا صـرف دلالته الواضحة علي وجوب معرفة الامام الحق علي كل مسلم ومسلمة ، وإلاّ فإنّ مصيره ينذر بنهاية مهولة .

– لكنه يقال ان الامام هو الحاكم .

– ان من ادعي ان المراد بالامام الذي من لا يعرفه سـيموت ميتة جاهلية هو السلطان أو الحاكم، أو الملك، ونحو ذلك وان كان فاسقا ظالما !! فعليه ان يثبت بالـدليل ان معرفـة الظالم الفاسق من الدين أولاً ، وان يبين للعقلاء الثمرة المترتبة علي وجوب معرفة الظالم الفاسق بحيث يكون من مات ولم يعرفه مات ميتـة جاهلية . وعلي أية حال ، فالحديث يدل علي وجود امام حق في كل عصـر وجيل، وهذا لا يتم إلاّ مع القول بوجود الامام المهدي الذي هو حق ومن ولد فاطمة عليهاالسلام كما تقدم .

1– الامام الصادق / أبو زهرة : 194.

- كيف تؤيد مقالتك هذه ؟

- ان مما يؤيدها : حديث : إنَّ الارض لا تخلو من قائم للّه بحجة .

وهذا الحديث قد احتج به اهل السنة أيضا وأوردوه من طرق عدّة(1)

. وقـد رواه كميل بن زياد النخعي الجليل الثقـة عن علي بن ابي طالب كما في نهـج البلاغـة ، حيث قال - بعد كلام طويل - : اللّهم بلي ! لاتخلو الارض من قائم للّه بحجة .

كانت زوجة حامد ساكتة ، قد ران جبل من الصمت عليها .. بينما كان حامد يستدرك الكلام :

- وعدم خلو الارض من قائم للّه بحجة لايتم مع فرض عدم ولادة الامام المهدي عليه السلام ، وقد تنبه لهذا ابن أبي الحديد .. كما ذكره لي احد الاساتذة في هذا الميدان .. حتي قال في شرح هذه العبارة : كي لا يخلو الزمان ممن هو مهيمن للّه تعالي علي عباده ، ومسيطر عليهم . وهذا يكاد يكون تصريحا بمذهب الامامية ، إلاّ أن أصحابنا يحملونه

1- أورد هذا الحديث الاسـكافي المعتزلي في المعيار والموازنة : 81 ، وابن قتيبـة في عيون الاخبار : 7 ، واليعقوبي في تاريخه 2 : 400 ، وابن عبـد ربه في العقـد الفريد 1 : 265 ، وأبـو طـالب المكي في قوت القلوب في معاملـة المحبوب 1 : 227 ، والبيهقي في المحاسـن والمساوي ء : 40 ، والخطيب في تاريخه 6 : 379 في ترجمة اسحاق النخعي ، والخوارزمي الحنفي في المناقب : 13 ، والرازي في مفاتيح الغيب 2 : 192 وابن أبي الحديد في شرح النهج كما سيأتي ، وابن عبد البر في المختصر : 12 والتفتازاني في شرح المقاصد 5 : 241 وابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري 6 : 385 .

علي ان المراد به الأبدال(1)

. بينما اضاف القول : وقد فهم ابن حجر

العسقلاني منه انه اشارة إلي مهدي أهل البيت عليهم السلامفقال ما نصه : وفي صلاة عيسي عليه السلامخلف رجل من هذه الأُمّة مع كونه في آخر الزمان ، وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الاقوال : ان الأرض لا تخلو من قائم للّه بحجة(2)

.

- ؟ !

- ومما يقرب دلالة العبارة في النهج علي الامام المهدي هو ما اتصل بها من كلام علي بن ابي طالب في نهج البلاغة . شرح محمد عبده : اللّهم بلي ! لا تخلو الارض من قائم للّه بحجة ، إمّا ظاهرا مشهورا ، واما خائفا مغمورا ؛ لئلا تبطل حجج اللّه وبيناته(3)

.

سكت حامد برهة ، نظر الي زوجته ، ثم اضاف قائلا وهو يبتسم :

- واذا ما أضيف هذا إلي حديث الثقلين ، وحديث من مات ، وحديث (الخلفاء اثنا عشر) . .

- حديث الخلفاء ..

- سأخبرك به . فانه اذا ما اضيف هذا كله ، كان قد علم ان الامام

1- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد 18 : 351.

2- فتح الباري شرح صحيح البخاري 6 : 385.

3- نهج البلاغة / شرح الشيخ محمد عبده 4 : 691 / 85 ، وبشرح ابن أبي الحديد 18 : 351 .

المهـدي لو لـم يكن مولودا حقا لوجب ان يكون من سـبقه حيا إلي قيام الساعـة، ولكن لا أحد يقول من المسـلمين بحياة امام غير المهدي عليه السلام ثاني عشر أهل البيت وهم من عينت الصحاح عددهم ، وبينت كتب المناقب اسماءهم .

(17)

وفي الغـد ، جلسا معا .. ذكّرها بمناقشاتهما .. الا انها شـعرت بوحي من الضـجر . . فالتمسـته اغضاء الطرف عن هـذه المحاججات حتي انشغل كل منهما في اعمالهما الجانبية .. بعدها انصرفا الي النوم . الا انها بادرته وفي اليوم الذي تلاه الي الشروع في البحث ، غير ان جرس الباب كان قد منعاهما من تبادل وجهات النظر ، وذلك حينما اعلن الجرس عن قدوم ضـيوف . في اليوم الثالث .. واصلا حديثهما .. وذلك حينما كانا يتنزهان في احدي الحدائق العامة .. فقال لها :

– أما أحاديث : الخلفاء اثنا عشر : فقد اخرجه البخاري ومسلم .

– احقا ما تقول ؟

– نعم ! فلقد أخرج البخاري بسنده عن جابر بن سمرة قال :

سمعت النبي صلي اللّه عليه وسلم يقول : يكون اثنا عشر أميرا ، فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي : إنّه قال : كلّهم من قريش(1)

.

وفي صحيح مسلم : ولا يزال الدين قائما حتي تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش(2)

.

وفي مسند أحمد بسنده عن مسروق قال : كنا جلوسا عند عبداللّه بن مسعود وهو يقرأ القرآن ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ! هل سألتم رسول اللّه صلي اللّه عليه وسلم كم يملك هذه الأُمّة من خليفة ؟ فقال عبداللّه : ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم ، ولقد سألنا رسول اللّه صلي اللّه عليه وسلم ، فقال : اثني عشر كعدة نقباء بني إسرائيل(3)

.

- اراك قد صرت فقيها متحدثا .

- لقد اضطررت الي البحث والسؤال ..

- ما الذي اضطرك .

- أشياء كثيرة .

1- صحيح البخاري 4 : 164 كتاب الاحكام باب الاستخلاف ، وأخرجه الصدوق عن جابر بن سمرة أيضا في كمال الدين 1 : 272 / 19 ، والخصال 2 : 469 و 475 .

2- صحيح مسلم 2 : 119 كتاب الامارة، باب الناس تبع لقريش، أخرجه من تسعة طرق.

3- مسند أحمد 5 : 90 و93 و97 و100 و106 و107، وأخرجه الصدوق عن ابن مسعود في كمال الدين 1 : 270 / 16.

سألته :

– حقا ، هل يمكنك ان تخبرني ما الذي يستفاد من هذه الاحاديث ؟

– ان ما يستفاد منها هو : إن عدد الأُمراء أو الخلفاء لايتجاوز الاثني عشر وكلّهم من قريش بلا خلاف . وهذا العدد منطبق مع ماتعتقده الشيعة بعدد الأئمة وهم كلّهم من قريش .

– ان التعبير بالامراء أو الخلفاء ، لا ينطبق مع واقع الأئمة ؟

– الجواب واضح جدا ؛ لأنّ النبي صلي الله عليه و آله إنما أراد بذلك الامرة والاستخلاف باستحقاق ، وحاشاه أن يقصد بذلك معاوية ويزيد ومروان وأمثالهم الذين لعبوا ما شاءوا بمقدرات الأُمّة .

– واذن ؟ !

– بل المراد بالخليفة هو من يستمد سلطته من الشارع المقدس ، ولا ينافي ذلك ذهاب السلطنة منهم في واقعها الخارجي لتسلط الآخرين عليهم .

ولهذا قال البعض(1)

: السبيل في هذا الحديث ومايتعقبه في هذا المعني أنه يحمل علي المقسطين منهم، فإنّهم هم المستحقون لاسم

1– جاء في (عون المعبود في شرح سنن أبي داود) ما نصه : «قال النوربشتي : . . . عون المعبود 11 : 262 شرح الحديث 4259.

الخليفـة علي الحقيقة ولا يلزم أن يكونوا علي الولاء ، وان قدّر أنّهم علي الولاء ، فإنّ المراد منه المسـمّون بها علي المجاز ، كذا في المرقاة . كما ان هؤلاء الاثني عشـر معنيّون بالنص كما هو مقتضي تشبيههم بنقباء بني إسرائيل ، قال تعالي : ولقد أخذ اللّهُ ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشـر نقيبا . فضـلا عن ان هذه الأحاديث تفترض عدم خلو الزمان من الاثني عشـر جميعا ، وأنه لا بدّ من وجود أحدهم ما بقي الدين إلي أن تقوم الساعة .

– كيف تثبت هذا ؟

– لقد أخرج مسلم في صحيحه وبنفس الباب ما هو صريح جدا

بهـذا ، إذ ورد فيه : لاـ يزال هـذا الأـمر في قريش مـا بقي من الناس اثنان . وهو كما ترين انه ينطبق تمام الانطباق علي ما تقوله الشـيعة بأن الامام الثاني عشـر (المهـدي) حيّ كسائر الأحياء ، وأنه لا بدّ من ظهوره في آخر الزمان ليملأ الأرض قسـطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا علي وفق ما بشـر به جده المصطفي صلي الله عليه و آله . وغير خاف علي أحد أن أهل السنة لم يتّفقوا قطّ علي تسمية الاثني عشر حتي إنّ بعضهم اضطر إلي إدخال يزيد بن معاوية ومروان وعبد الملك ونحوهم وصولاً إلي عمر

بن عبد العزيز لأجل اكتمال نصاب الاثني عشر(1)

!! وهو بلا ـ أدني شك تفسير خاطيء غير منسجم مع نصّ الحديث . إذ يلزم منه خلو جميع العصور بعد عصر عمر بن عبد العزيز من الخليفة بينما المفروض أنّ الدين لايزال قائما بوجودهم إلي قيام الساعة .

- ؟ !

- إنّ أحاديث الخلفاء اثنا عشر تبقي بلا تفسير لو تخلّينا عن حملها علي هذا المعني ، لبداهة ان السلطنة الظاهرية قد تولاّها من قريش أضعاف العدد المنصوص عليه في هذه الأحاديث فضلاً عن انقراضهم أجمع وعدم النصّ علي أحد منهم - أُمويين أو عباسيين - باتفاق المسلمين(2)

.

- ولكن ليس عليك ان تغضي الطرف عن التسلسل التاريخي ؟

1- أُنظر اقوالهم في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي 1 : 13 - 15 من القسم الأول ، وتفسير ابن كثير 2 : 34 عند تفسير الآية 12 من سورة المائدة، وشرح العقيدة الطحاوية 2 : 736، وشرح الحافظ ابن القيم علي سنن أبي داود 11 : 263 شرح الحديث 4259، والحاوي للفتاوي 2 : 85 .

2- وبهذا الصدد يقول القندوزي الحنفي : (قال بعض المحققين : إنَّ الأحاديث الدالة علي كون الخلفاء بعده اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم أنّ مراد رسول اللّه من حديثه هذا : الأئمة اثنا عشر من أهل بيته وعترته ، إذ لايمكن ان يُحْمَل هذا الحديث علي الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر ، ولايمكن أن نحمله علي الملوك الأُمويّة لزيادتهم علي اثني عشر ، ولظلمهم الفاحش إلاّ عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم ؛ لأن النبي 6 قال : كلّهم من بني هاشم ، في رواية عبد الملك ، عن جابر ، وإخفاء صوته في هذا القول يرجّح هذه الرواية : لأنهم لايُحسنون خلافة بني هاشم . ولايمكن أن يحمل علي الملوك العباسية ؛ لزيادتهم علي العدد المذكور ، ولقلة رعايتهم . . ويؤيد هذا المعني - أي : أن مراد النبي 6 الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته - ويرجّحه حديث الثقلين) (ينابيع المودة 3 : 105 باب 77 في تحقيق حديث بعدي اثنا عشر خليفة) .

– لا يمكن .. فانه مما لا يخفي علي احد أنّ حديث : الخلفاء اثنا عشر . هو قد سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر وضبط في كتب الصحاح وغيرها قبل تكامل الواقع الامامي ، فهو ليس انعكاسا لواقع وإنّما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لاينطق عن الهوي ، فقال : الخلفاء بعدي اثنا عشر ليكون ذلك شاهدا ومصدقا لهذا الواقع المبتدي ء بأمير المؤمنين علي والمنتهي بالامام المهدي عليهم السلاموهو

التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث(1)

.

– هل تريد القول ان الحديث يعتبر من دلائل النبوّة في صدقها عن الاخبار بالمغيّبات

– نعم ! أمّا محاولات تطبيقه علي من عرفوا بنفاقهم وجرائمهم وسفكهم للدماء من الأُمويين والعباسيين وغيرهم فهو يخالف الحديث مفهوما ومنطوقا علي الرغم مما في ذلك من إساءة بالغة إلي مقام النبي صلي الله عليه و آلهإذ يعني ذلك انه أخبر ببقاء الدين إلي زمان عمر بن عبد العزيز مثلاً ، لا إلي ان تقوم الساعة ! !

واذا ما كانت تنظر الي ساعتها ، كان حامد يستطرد في حديثه :

– ولأجل متابعة الأدلة الأُخري التي توضح المراد بحديث :

1– بحث حول الامام المهدي : الشهيد السيد الصدر .

الخلفاء اثنا عشـر ، وتُعيِّن لنا شـخص الامام المهدي باسمه ونسبه وحسبه ؛ لا بدّ من التذكير قبل ذلك بأمرٍ هو في غاية الأهمية ، بحيث لو تدّبره المنصف ، وأمعن النظر فيه لما بقيت هناك أدني غشاوة علي عينيه ، ولاكتفي بالمقاييس السابقة التي تركها لنا النبي الاعظم صـلي الله عليه و آله لمعرفة امام الزمان في كل عصـر وجيل، ولم يطلب بعدها أي دليل آخر . وأعني بهذا الأمر تاريخنا الاسلامي الذي تعاقبت عليه منـذ البـدء أنظمـة اتفقت علي اقصـاء عترة الرسول صـلي الله عليه و آلهعن السـلطة اقصاءً تامّا، فضـلاً عما اقترفته تلك الانظمـة – الأُموية والعباسـية – من الأُـمور الفادحـة بحق الذريـة الطاهرة . ومن البداهـة ان يعزّ النص علي الأئمـة الاثني عشـر في الكتب المؤلَّفـة بوحيٍ من الحكّام وفي ظل تلك الانظمة التي اجتاحت آل الرسول صلي الله عليه و آله، وأوشكت ان تبيد أولاد البتول

عليهم السلام ، حين ضرّجت رمضاء كربلاء بدم خامس أصحاب الكساء صلوات اللّه عليه وسلم .

– كيف يمكنك ان تدعي كل ذلك ؟ !

– فمن غير المعقول ان يدين الظالم نفسه فيسـمح برواية كون المهدي هو التاسع من أولاد الحسـين عليه السـلام ، أو أن المقصود بالخلفاء الاثني عشر هم أئمة الشيعة الاثني عشر ، اللّهم إلاّ ما خرج من تلك

الروايات عن رقابته ، ورُوي بعيدا عن مسامعه . وعلي الرغم من هذا الحصار فان ما ظهر منها انتشر كضوء النهار .

ولا يصحّ في الأفهام شيءٌ

إذا احتاج النهارُ إلي دليلِ

وهذا مما لاينبغي اغفاله . ولقد صرح باسماء الائمة تصريحا فعليا .

– في كتبنا اقصد كتب اهل السنة .

– اجل !

– هل تذكر منها .

– سآتيك بها لاحقا .

وبعد يومين جاءها حامد وهو يقول لها :

– هل لديك متسع كيما نتباحث ..

اجابته بالاثبات . فما كان منه الا ان عرض عليها قائمة باسماء المصادر وروي لها من اخبار كتب اهل السنة – مما يدعم دعاواه هذه – ما جعلها تذهل(1)

.

---

1 – 1 – في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : نقلاً عن كتاب المناقب للخوارزمي الحنفي بسنده عن الامام الرضا 7 ، عن آبائه : ، عن النبي 6 في حديث جاء فيه التصريح باسماء الأئمة الاثني عشر واحدا بعد واحد ابتداءً بأمير المؤمنين علي بن ابي طالب وانتهاءً بالامام المهدي محمد بن الحسن العسكري : قال القندوزي بعد روايته : «وأخرجه الحموينى» (ينابيع المودة 3 : 161 ب 93.) أي : صاحب فرائد السمطين الجويني الحموينى الشافعي . 2 – وفي الينابيع أيضا تحت عنوان : (في بيان الأئمة الاثني عشر باسمائهم) . أورد عن فرائد السمطين بسنده عن ابن عباس حديثين عن النبي 6 في ذكر الأئمة باسمائهم، وأولهم علي وآخرهم المهدي : (ينابيع المودة 3 : 99.) ، ونفس الشيء تجده في باب (في ذكر خليفة النبي 6 مع أوصيائه :) (ينابيع المودة 3 : 212 باب 93 .) . 3 – وفيه أيضا ، عن جابر بن عبداللّه الانصاري ، عن النبي 6 : «يا جابر إنَّ أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي ، أوّلهم علي ثم الحسن ، ثم الحسين...» ثم ذكر الأئمة التسعة من أولاد الحسين باسمائهم ابتداءً بعلي بن الحسين وانتهاءً بالامام المهدي بن الحسن العسكري : (ينابيع المودة 3 : 170 باب 94 .) . 4 – ما في كفاية الأثر في النص علي الأئمة الاثني عشر للخزاز – من أعلام القرن الرابع الهجري – : فقد خصص كتابه كلّه في الأحاديث الواردة في النص علي الأئمة الاثني عشر باسمائهم ، ولا مجال لنقل رواياته ، ولكن لا بأس بنقل ما جاء في مقدمة الكتاب ، قال : «وابتدي ء بذكر الروايات في النصوص عليهم : من جهة أصحاب رسول اللّه 6 المعروفين مثل : عبداللّه بن عباس ، وعبداللّه بن مسعود ،

وأبي سـعيد الخدري ، وأبي ذر الغفاري ، وسـلمان الفارسـي ، وجابر بن سمرة ، وجابر ابن عبداللّه ، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وعمر بن الخطاب ، وزيـد بن ثابت ، وزيـد بن أرقم ، وأبي أُمامـة ، وواثلة ابن الأسـقع ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعمار بن ياسـر ، وحذيفة بن أُسـيد ، وعمران بن الحصـين ، وسـعد بن مالك ، وحذيفة بن اليمان ، وأبي قتادة الأنصاري ، وعلي بن أبي طالب ، وابنيه : الحسن والحسين : . ومن النساء : أُم سـلمة ، وعائشة ، وفاطمة بنت رسول اللّه 6 . ثم أعقبه بـذكر الأخبار التي وردت عن الأئمة صـلوات اللّه عليهم ما يوافق حديث الصـحابة في النصوص علي الأئمة ونص كل واحد منهم علي الذي بعده ؛ ليعلموا – إن انصفوا – ويدينوا به ، ولا يكونوا كما قال اللّه سبحانه : (فما اختلفوا إلاّ من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) (كفاية الأثر / الخزاز : 8 – 9 من المقدمة والآية من سورة الجاثية 45 : 17) .

(18)

دق جرس الهاتف ، اجاب حامد :

نعم ... متي رقد في المستشفي . .. اووه .. كم انا آسف له .. سأذهب لعيادته .. اقول لك لم اعلم الخبر الا منك ..

لم يكن المتكلم الا احـد اصـدقائه . اعلمه بان سالم قـد دخل المستشـفي لاجراء عمليـة جراحية .. حتي تعين عليه الذهاب لعيادته . آلمه الخبر .. لم يكن يتمني لصاحبه ما يحصل له الان ..

ص: 130

وعندما كان يقف امام سريره في المستشفي ... ابتسم سالم ، وقال له :

– أراك متحسنا بعض الشيء .

– ولله الحمد .. هذا من بركاتكم .

– اي بركات هذه .. انها من بركات صاحب الزمان .

ثم صمتا لحظات .. عاد بعدها سالم الي القول :

– اووه تذكرت .. هل تركت البحث عن حلال المشاكل ..

– تقصد ان مشكلتي قد انتفت ولو حتي علي صعيدها الحالي .. فصرت اعلن عن عدم حاجتي في بحث الموضوعات المتعلقة بالامام المهدي . لاني تسلمت طلبتي منه وانشغلت بها عن تقصي الحقائق المرتبطة به .

– لا يا هذا .

– اني الان ابحث في مواضيع شتي .. اقول هذا ، لان كل موضوع صار يفتح عليّ ابحاثا اخري .. ولكنك تعرف مشاغل الحياة والدراسة والعمل التجاري كلها تحيل بينك وبين الوصول حقيقة الي مرادك العلمي والثقافي .

وفي ظهيرة يوم من الايـام توجه حامـد وزوجته لتناول طعام الغـداء في منزل ابيها .. التقي بالاخير وبامها . حيّاهما .. وبعـد حـديث قصـير ،اجتمعوا حول مائدة الطعام .. وبعد تناول الشاي انفض الاب الي قضاء بعض اعماله العالقة .. بينما انتهزت اخت زوجته ليلي غياب الاب فرصـة كيما تجاذب حامـد الحـديث .. لـم تكن قـد تزوجت بعد ، مع ان زوجة حامد كانت تصـغرها ، فانها قد وجدت طريقها الي الزواج ذلك ان ابا حامد كان قد اختارها لولده ، لانها تناسـبه سنا وحداثة .. وهذا ما جعلها توظف عمرها للبحث والدراسة .. حتي صارت استاذة في الجامعة ، فجمعت لنفسها في بيت ابيها مكتبة لا يقل بأسها .. اقتنصت لها كل ما يمكنها من الكتب التي تحدث باسم مذهبها السنّي . فقالت :

– اراك يا اخ حامد قد شغلت اختنا بموضوعات صعب عليكما ولوحدكما ان تطرقا وجه القرار فيها .

ابتسم حامد ، (وقال في نفسه : فرصة جميلة ، ان اكتنه سر معاني التحقيق في اعلي مراتبه .. لا سيما هي استاذة جامعية .. الا اني لا

احمل من المعلومات ما يمكّنني من مناطحة قدراتها العلمية . ولكن .. هه ، فليكن ما يكون !) فقال لها :

– لا ، فالامر ليس كـذلك .. فانت تعلمين ان عظائم الامور ليست حكرا علي فئـة دون اخري .. الا ان الثبات عليها دون التحقيق هو اعظم من التخلي عن الابحار في عبابها .

– هه ، ليس كما يخيل للبعض .

– اذن ، فهذا هو نظرك .

– اسألك سؤالا واجبني عليه بوضوح : هل ان المهدي المنتظر يعد من أولاد الحسين ، وأنه التاسع من ولده :

– اجل ، صحيح .

– إنّ هذه النتيجة لا بدّ من تأكيدها بالنصوص التي احتج بها أعلام أهل السنة ؟

– بكل تأكيد .

– واذن ، فهات ما عندك ، كيما اري ، واراجع ما تذكره لي من مصادر ، لانه لدي من الكتب ما يمكن ان تُذهِب بلُبّ كل حاذق ونبيه !

– لا ضير في ذلك .. اما ما يمكنني ان اذكره هنا في هذه العجالة . .

قاطعته قائلة :

– طرأت عليّ فكرة اخري .. لنترك الحديث الي ما بعد الغد .. كيما تجمع لنا ما يمكنك جمعه .. وهذا سيتيح لك وقتا كافيا للم شعث كل رواية وخبر . اليس كذلك ؟ !

– حسنا ، هو كما ترين .

(20)

وجاء اليوم الذي ضربته اخت الزوجة موعدا . فقالت ليلي :

– ها نحن قد اجتمعنا ولدينا من الحضور ما يكفينا كشهود ومراقبين .

كان المجلس في بيت ابي الزوجة .. وكان الوقت ليلا ، وكان المتحلقين حولهما قد اصيبوا بكآبة لعدم اقتناعهم باهمية الموضوع خلا سميرة زوجة حامد ، التي كانت تنظر اليه نظرات غير مطمئنة .. خوف ان يفشل في الجواب واقناع اختها ليلي . وبعد جر وبحث دام حوالي الساعتين .. افضيا في الحديث الي موضوعهما الاوّلي . فقالت له :

– وها انت قـد ابدعت في مختلف اجاباتك . . الا ان هذا لا يعني انت محق في كل ما اتيتني به .. لان للتأويل شأن ورفعة .. وما اريدك ان تخبرني به هو جملة من هذه الاحاديث التي تثبت فيها ان المهدي المنتظر هو من ولد الحسين بن علي . بل هو التاسع منهم .

قالت امها :

– وهل ثمة اهمية خاصة في هذا الموضوع .

– كل الاهمية ، فلو ثبت .. فانه يثبت ان المذهب الشيعي احق بالاتباع من المذهب السنّي .

– اووه حقا ، ان هذه المواضيع حقا مضجرة .

فنهضت وانصرفت الي المطبخ . بينما التفت اليها حامد وهو يقول :

– اما جملة الاحاديث ، فانا اكتفي بما اسـتطعت ان اجمعه في هذه الايام ، فثمة حديث مروي عن سلمان الفارسي ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي أيّوب الانصـاري ، وابن عبـاس ، وعلي الهلالي – بالفاظ مختلفـة – عن رسول اللّه صـلي الله عليه و آلهانه قال : يا فاطمـة إنّا أهل بيت اعطينا ست خصال لم يعطها أحـد من الأولين ولايدركها أحد من الآخرين غيرنا أهل البيت – إلي قوله صـلي الله عليه و آله – ومنا مهدي الأُمّة الذي يصلي عيسي خلفه ، ثم ضرب علي منكب الحسين عليه السلامفقال : من هذا مهدي الأُمّة .

– واين ورد .. بل من اخرجه ؟

– أخرجه الـدارقطني كمـا في البيـان في أخبار صاحب الزمان للكنجي الشافعي : 015 – 025 باب 9 ، والفصول المهمة / لابن الصـباغ المالكي : 529 – 296 فصل / 120 ، وفضائل الصحابة للسمعاني علي ما في ينابيع المودة : 94 باب 49 ، وقد صرّح في معجم أحاديث الامام المهدي 17 : 451 / 77 بكثرة طرق هذا الحديث وانها ربما بلغت نحو مجلد .

تناولت منه القصاصة التي تضمنت هذه المعلومات لمراجعتها لاحقا . بينما عاد حامد يسرد خبرا اخر ، فقال :

وفي عقد الدرر للمقدسي الشافعي : 132 باب 4 فصل 2 : روي خبرا عن علي بن ابي طالب ، جاء فيه : إنّ المهدي من ولد الحسـين ، ألا فمن تولي غيره لعنه اللّه . وقد أورده المقدسـي محتجا به فقال : ونختم هذا الفصل بشيء من كلام الامام علي هازم الأبطال فيما تضمنه من الأهوال الشديدة والأُمور الصعاب وخروج الامام المهدي مفرج الكروب ، ومفرق الأحزاب . ثم ذكر الحديث .

– كانت ليلي تنصت اليه وتستمع ، بينما جعل يتابع حديثه :

وفي عقد الدرر أيضا 612 باب 4 فصل 2 : عن جابر بن يزيد ، عن

محمد بن علي بن الحسين بن علي في حديث طويل جاء فيه : والمهدي يا جابر رجل من ولد الحسين . وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي 1 : 281 – 282 شرح الخطبة رقم / 61 . وذلك في شرح قول الامام علي عليه السلام : وبنا تُختم لا بكم . قال : اشارة الي المهدي الذي يظهر في آخر الزمان، وأكثر المحدثين علي أنه من ولد فاطمة عليهاالسلام ، وأصحابنا المعتزلة لاينكرونه ، وقد صرحوا بذكره في كتبهم ، واعترف به شيوخهم – إلي أن قال – وروي قاضي القضاة رحمه اللّه تعالي عن كافي الكفاة أبي القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله

باسناد متصل بعلي عليه السلام ، إنّه ذكر المهدي وقال : إنّه من ولد الحسين عليه السلام ، وذكر حِليتَه فقال : رجل أجلي الجبين ، اقني الأنف ، ضخم البطن ، أزيل الفخذين ، أبلج الثنايا ، بفخذه اليمني شامة . وذكر هذا الحديث بعينه عبداللّه بن قتيبة في كتاب غريب الحديث – انتهي .

– طيب .. هات لي المزيد .

فقال حامد :

– وفي ينابيع المودة 3 : 861 باب 49 عن مناقب الخوارزمي : بسنده عن الحسين بن علي بن ابي طالب ، قال : دخلت علي جدي رسول اللّه صلي الله عليه و آلهفاجلسني علي فخذه وقال لي : إنّ اللّه اختار من صلبك

ياحسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم، وكلهم في الفضل والمنزلة عند اللّه سواء . وفي الينابيع 3 : 761 باب 49 . عن مناقب الخوارزمي أيضا ، بسنده عن سلمان قال : دخلت علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله وإنّ الحسين بن علي علي فخذه وهو يقبل عينيه ويلثم فاه، وهو يقول : أنت سيد ابن سيد، أخو سيد، أنت إمام بن إمام أخو إمام، أنت حجة أبو حجة، وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم .

سكت حامد ثم استدرك القول :

وفي الينابيع 3 : 261 باب 49، ورواه في 2 : 83 في المودة العاشرة، تحت عنوان (في عدد الأئمة وان المهدي منهم). عن فرائد السمطين للحموييني الجويني الشافعي : بسنده عن الأصبغ بن نباته، عن ابن عباس، عن النبي صلي الله عليه و آله: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون .

وانفض الاجتماع من دون الاعلان عن ايما نتيجة تذكر .

(21)

وفي جلسة اخري ، ومن دون ان تعلن ليلي او سميرة عن صحة ما ادلي به حامد .. في حين كانت سميرة تبعد عن صلب الموضوع ، ولا

تفكر الا بان زوجها قد حاز قصب السبق ، ذلك انه اضطر اختها صاحبة الشهادات العالية ، والاستاذة في الجامعة الي ان تناظره وتدعوه الي عقد الجلسات المتوالية .. وما كان حامد الا طالب اعدادية . . بينما عادت بافكارها ثانية الي حقيقة الموضوع ، وارادت حقا ان تفهم مع من يكون الحق ، ولم تكن لتهتم في من يكون زوجها اشيعي هو ام سني .. لانها ارادت ان تقتنع حقا كيف يمكنها ، او كيف ينبغي لها ان تتعبد ، وعلي اي طريق يمكنها ان تصلي وبمن تعتد ، وبمن لا تعتد من ائمة التاريخ والزمان . في حين جعل كلام ليلي ينتزعها من ومضات تسريحاتها الفكرية ، فصحت علي حديث اختها ليلي ، وهي تقول :

– هل يمكنك يا اخ حامد ، أن تثبت لنا أن المهدي المنتظر هو نفس من تدعيه الشيعة اماما لها ، اقصد المدعو محمد بن الحسن العسكري ، أي الامام الثاني عشر ، وهو الامام الغائب بالنسبة لها ، وهو الامام الحي الذي يرزق ؟

فقال حامد :

– سوف أذكر بعض النصوص التي لا تقبل تأويلاً لدلالتها علي شخص الامام المهدي والأخبار بغيبته قبل وقوعها ، وهي : ما رواه المقدسي الشافعي في عقد الدرر 188 باب 6 ، عن الباقر : يكون هذا

الأمر في أصـغرنا سـنا . وفيه اشارة إلي الامام المهـدي محمد بن الحسن العسـكري . وفي ينابيع المودة 3 : 661 باب 49 : عـن علي بن موسـي الرضا : الخلف الصالح من ولد الحسن بن علي العسـكري هو صاحب الزمان وهو المهدي سلام اللّه عليهم . وقد صرّح القندوزي في الينابيع بوجود هـذا الحديث في كتاب الأربعين لأبي نعيم الاصـبهاني . وفي ينابيع المودة كذلك 3 : 511 - 611 باب 80 ، مصرحا بنقله عن فرائـد السـمطين للحموييني الشافعي ، عنه أيضا حيث قال : إن الامام من بعدي ابني محمد، وبعد محمد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعـد الحسن ابنه الحجـة القائم وهو المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره فيملأ الأرض قسـطا وعـدلاً كما ملئت جورا وظلما، وأمّا متي يقوم ؟ فإخبار عن الوقت، لقد حدثني أبي، عن آبائه عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله قال :

مثله كمثل الساعة لاتأتيكم إلاّ بغتة . وفي عقد الدرر للمقدسي الشافعي 178 باب / 5 . عن الحسين بن علي قال : لصاحب هذا الامر

- يعني الامام المهدي غيبتان ، احداهما تطول ، حتي يقول بعضهم : مات ، وبعضهم : قُتل ، وبعضهم : ذهب...

كانت ليلي صامتة لا تريم .. بينما جعلت سميرة تتطلع اليها وهي لا تلوي علي شيء سوي متابعة فصول هذه المجادلات . فقال حامد

متابعا :

– وأكتفي بهـذا القـدر من الاحاديث مع التنبيه علي أمور هي ان نفي الرؤيـة كنايـة عن الغيبـة، والنهي عن التسـمية لأجل الخوف عليه، مع اختصـاص النفي والنهي بزمـان الغيبـة ، وتوجهه للمخاطبين بالكلام كلهم أو بعضـهم دون غيرهم، وإلاّ فقـد رآه المئات من أصـحاب أبيه الامام الحسن العسكري في حياته وبإذن منه ، كما رآه غيرهم بعد وفاة أبيه .

– ؟ !

– كمـا ان مـا ذكرته من النصوص ، لاـ يمثـل في الواقع إلاّـ جزءً يسـيرا من مجموع النصوص الواردة في هـذا الشـأن، ولم يخضع انتقـاؤها لاعتبارات علمية، بمعني : إني لم أبحث عن الأسانيد الصحيحة لترسيخ العقيدة إذ المفروض رسوخها قبل ذلك ، وانما

كوسيلة لاثبات المدعي ، وإلاّ . .

– والا فماذا ؟

قالت ليلي ، فاستدرك حامد كلامه ، وهو يقول :

– والا ، فنحن لسنا بحاجة إلي الأسانيد اصلاً ،

– كيف لسنا بحاجة الي الاسانيد ، وهل تقوم الاخبار بدونها ؟

– علي مهلك .. وذلك لسببين : أحدهما : توفر الدليل القاطع علي استمرار وجود الامام المهدي إلي آخر الزمان ، ومع هذا فأي حاجة تبقي للأسانيد ؟ . .

قاطعته :

– هذا يحتاج الي جلسات مستقبلية اخري ، ان شاءت الاقدار ، واتاحت الفرص . . اقصد هذا الموضوع هو بحد ذاته اساس الفصل .

شعر حامد بان ليلي بدأت تعلن ومن خلال كلماتها تلك عن انسحابها عن مواصلة مثل هذه الجلسات ، او علي اقل الفرضيات عن انصرافها ولو علي اقل التقادير في هذا الوقت الحاضر وبالذات .. فقال:

– أما الآخر : فهو توفر الدليل علي أنّ الأحاديث المروّية في المهدي قد أُخِذت مباشرة من الكتب المؤلفة قبل ولادته عليه السلامبعشرات السنين ، وقد شهد العلماء بذلك ، وعليه فالضعف الموجود في سند بعضها علي الاصطلاح لا يقدح بصحتها ، لكون الاخبار فيها اعجازا تحقق بعد حين، وهو آية صدقها .

– اني لأحير بما تقول ؟

– ماذا تعنين ؟

– انت تحاكم فيّ الميراث التاريخي .. كله ؟ !

– بيد ان أحاديث المهدي المسـندة إلي النبي صـلي الله عليه و آله كلها تعبر عن حقيقة واحدة اتفق عشـرات الرواة علي الاخبار عنها ، ولا فرق في اثبات تلك الحقيقة بين ما كان سنده صحيحا أو ضعيفا ، بحيث لو أخبر الثقة بموت زيد، ثم أخبر غيره بموته أيضا ، لا نحاججه فيما يقول . ولو جاء ثالث ، ورابع ، وخامسٌ... وعاشـرٌ فسوف لا نجادلهم . وإنْ لـم نعرف درجة صدقهم ، بل سـيكون كل خبر من هذه الأخبار قرينة احتمالية تضاف إلي خبر الصادق حتي يصـبح علي درجة من اليقين كلما تراكمت القرائن بحيث يتضائل احتمال نقيضـها حتي يصل إلي درجة الصفر .

– اني لاراك متأثرا بمنطق الرياضيات اكثر من منطق البحث التأريخي والعلمي .

– إنّ منطق قواعد حساب الاحتمال وقوانينه الرياضية في تحصيل اليقين الموضوعي من تراكم الأخبار علي محور واحد، يستحيل معه أن لا يكون ذلك المحور صادقا ومنطبقا مع الواقع.

– افهم ماذا تعني ، ولكنه يعوزك ..

سكتت وأخلدت الي الصمت . . بينما لم يعر حامد ذلك اهمية ،

وذلك حينما واصل حديثه ، وهو يقول :

– ومن هنا يعلم أن إثارة الشكوك حول أحاديث المهدي وسلب

دلالتها علي شـخصه العظيم ، كما يزعمه البعض علي علم الحديث الشـريف ، متخطيا في ذلك جميع الاعتبارات العلمية ، وبخاصة بعد ثبوت انطباقها عليه ، ليس إلا التعبير عن الضـعف ، مع التستر بمزاعم التصـحيح كما تخبرك محاولات تحويل العقائـد إلي حرفـة صـحفية تنطلق من اجواء الغرب ، وتسـتظل بفيئه ، وتحركها أصابعه ، وتموّلها عملاؤه ، غافلـة عن أنّ العقيدة ليست قشّة في مهب الريح . وتاركة ما رسمه النبي صلي الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام من المسار الصحيح لمعرفة من هو الامام المهدي باسمه ونسبه الكريم .

(22)

سأل حامد استاذه :

– هل انّا بحاجـة إلي ما يبين ولادة الامام المهـدي ويثبتها تاريخيا بعد أن عرفنا اتفاق كلمة المسـلمين علي أنّه من أهل البيت ، وأنّ ظهوره يكون في آخر الزمان، ونسبة ، وهي أنّه لامجال للشك في

كون المهدي الامام الثاني عشـر من أئمة أهل البيت عليهم السـلام ، وهو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسـين بن علي بن أبي طالب عليهم السـلام ، وانه حسـيني الأب حسني الأُم من جهة فاطمة بنت الحسن السبط أُم الامام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام .

– ان هـذا كله لاـ يعني الاـ ان البحث عن ولاـدة الامام المهـدي وبيان ثبوتها شـرعا ، هو بحث غير طبيعي ، لولا وجود بعض الملابسات التاريخيـة حول ولادته عليه السـلام ، كادعاء عمّه جعفر الكذّاب بعدم وجود خلفٍ لأخيه العسـكري عليه السـلام ، وقيام السـلطة الحاكمة بتسـليم تركة الامام العسكري بعد وفاته لأخيه جعفر الكذاب أخذا بادعائه الباطل فيما رواه علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية انفسهم ولم يروه غيرهم قط إلاّ من طرقهم، وفي هذا وحده كفاية للمنصف المتدبر، إذ كيف يروي الشيعة أمرا ويعتقدون بخلافه ، لو لم يثبت لهم زيف هذا الأمر وبطلانه ؟ !

– وهل يمكن ان تمثّل لي علي ذلك بما يستحق الدعم لهذا الرأي ؟

– نعم ، وذلك من قبيل رواياتهم انكار معاوية منزلة علي عليه السلام من

رسول اللّه صـلي الله عليه و آله . فانكار معاوية ثابتٌ ، ومنزلة علي عليه السلام ثابتة ؛ وثبات كلاهما عند الشيعة لا يخالجه شك ؛ لأنه علي نحو اليقين ، فكذلك انكار جعفر الكذاب ثابت عندهم ، وتصـرف السلطة علي وفق ادعائه ثابت أيضا ، وفي مقابل هذا ثبوت ولادة المهدي بالاقرار والعيان ، وما بعدهما من برهان .

صار جرس المدرسة يعلن عن ضرباته ايذانا ببدء حصة جديدة من

الـدرس ، بينما بـدأ الطلبـة يتراجعون الي فصولهم ، منسـحبون يتركون وراءهم ضـجة جعلت اصواتهم المـدّخرة تفتعلها مرة واحدة ، كيما تفرغها دفعـة عزلاء في فضاء المدرسـة ، لتتوزع بعد ذلك مبثوثة في جنبات ممراتها ، تاركة اياها تتبعثر مترامية في زوايا أروقتها . لذلك كله كان الاسـتاذ يحاول جاهـدا تـدارك ما ينبغي ان يحدث به من كلام ، وتخليصه قدر ما يسـعه ، وجهد ما يمكنه ، لئلا يبقي منه بقية ، تشـعر بضـرورة اسـتنزاف الوقت في زمان اخر فيصـير للحـديث صـلة يتبع ما سـبقه ، وهذا ربما اسـهم في انفراط حبات العقد ، لانه ليس في كل الحالات يمكن الاسـتفادة من سـياسة تجزئـة الحـديث علي صـيغة حلقات تفيد تتابع مواد الموضوعات المطروحة والمعروضة علي مائدة البحث والتحقيق . . ذلك انه كان يشعر بتلميذه قد احتمل ما لا

يطيقه من طائل .. وما عليه الا ان يزقه ويرفده بما لا يمكن لغيره ان يدسه في صدره ، فقال بايجاز مقتضب :

– ولأجل هذا نقول : إنَّ ولادة أي انسان في هذا الوجود تثبت باقرار أبيه ، وشـهادة القابلة ، وهي السـيدة العلوية الطاهرة حكيمة بنت الامام الجواد وأُخت الامام الهادي وعمة الامام العسكري عليهم السلام . وهي

التي تولّت أمر نرجس أُم الامام المهـدي عليه السـلامفي ساعـة الولادة ،وصـرحت بمشاهدة الامام الحجة بعد مولده ، وقد ساعدتها بعض النسوة في عمليـة الولادة، منهن جارية أبي علي الخيزراني التي أهداها إلي الامام العسـكري عليه السـلام فيما صـرح بذلك الثقة محمد بن يحيي ومارية ونسيم خادمة الامام العسكري .

ولما قد ضاق الوقت اكثر فاكثر حينما صار الاساتذة هم الاخرون يتحركون باتجاه تلك الصـفوف التي غدت مكتظة بطلبتها .. راح الاسـتاذ يوجز عباراته وعلي وجه من الدقة والسرعة وطرفه لمّا يزال يرقب امواج الطلبة التي كانت قد اتجهت الي مقاعدها زرافات زرافات ، وكأنها ما تزال تفعـل وهي التي قـد غـدت مجتمعـة في الفصول ، وكأنمـا جعلت لحـاظه ما تفتأ تشـعر انها تموج بحركاتها كموج كلماته التي جعل يوجهها الي تلميذه وهو يحس لاول مرة انه

يبلغ رسالات ربه علي اجمل وجهها وبأعطر محياها :

– ولا يخفي ان ولادات المسلمين لا يطّلع عليها غير النساء القوابل ، ومن ينكر هذا فعليه ان يثبت لنا مشاهدة غيرهن لأُمّه في مولده ! هذا وقد أجري الامام العسكري عليه السلام السُنّة الشّريفة بعد ولادة المهدي عليه السلام

فعقَّ عنه بعقيقة كما يفعل الملتزمون بالسّنّة ، حينما يرزقهم اللّه من فضله مولودا. وانا اقول : وان لم يره أحد قط غيرهما أعني ابوه وعمته السيدة حكيمة ، فان هذه الشهادة ثابتة لثقتهما وعدلهما . . فكيف لو شهد المئات برؤيته ، واعترف المؤرخون بولادته وصرح علماء الانساب بنسبه ، وظهر علي يديه ما عرفه المقربون اليه ، وصدرت منه وصايا وتعليمات، ونصائح وإرشادات، ورسائل وتوجيهات ، وأدعية وصلوات ، وأقوال مشهورة ، وكلمات مأثورة وكان وكلاؤه معروفين ، وسفراؤه معلومين ، وانصاره في كل عصر وجيل بالملايين . ولعمري ، هل يريد من استغل تلك الملابسات ، وأنكر ولادة الامام المهدي أكثر من هذا لاثبات ولادته، أم تراه يقول في لسان الحال للمهدي ، كيما يطمئن الي ظهوره ، او يؤمن بولادته وأنه حيٌ يرزق : وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَك حَتّي تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأرْضِ

يَنبُوعا ، أوْ تَكُونَ لَك جَنّةٌ مِن نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرا، أوْ

تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفا أوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً ، أوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِن زُخْرُفٍ أوْ تَرْقَي فِي السَّمَاءِ وَلَن نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّي تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابا نَقْرَؤُهُ ! قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إلاَّ بَشَرا رَسُولاً .

(23)

كـان يجلس الي جـانبه ، كان يمعن فيه كيف رقـد في فراشه عقب خروجه من المستشـفي . كانت العمليـة الجراحيـة ناجعـة .. هكـذا اكد الطبيب لصاحبه سالم الذي تشافي وجعل يقضي اجازته المرضية في المنزل .. قال له حامد :

– اني لا اصدق انك دخلت المستشفي لاجراء عملية ، انه لا يليق بك ان تجلس في فراشك هكذا ..

– قد جلس في فراش المرض من هو اشرف واعظم مني .. الا وهو رسول الله . وجلس غيره من ولده من الائمة المعصومين كذلك مجلسه . وانه امر قد قضي الله به علينا .. انما تقضي هذه الحياة الدنيا .

– اراك ثائرا .

– لا .. ليس الي هذا الحد .. ان ما ازعجني في رقدتي هذه في

المستشـفي هو ضعف العناية الصحية هناك .. فاذا لم ترفدهم بالرشاوي لم يعنوا بك .. هه ، متي تجد احدا يعمل لاجل رضي ربه .. الا ما ندر..

– واني لاري لسان حالك .. متي يظهر صاحب الزمان ..

– بالضبط .. لان هذا ابسط الحقائق والمشاهدات .

– بل قل الملموسات .. اقول .. تذكرت .. كلامك هذا جعلني استحضر مسألة مهمة حول صاحب الزمان وهي هل يمكننا الاتصال به؟

اجابه سريعا :

– ولِمَ لا .. الا ان مثل هذه الاتصالات لا ينالها الا ذو حظ عظيم .. اما انا وانت فمن اين لنا بمثل هذه الحظوظ .

– اخبرني هل شهد رؤية الامام المهدي احد ؟

– نعم شهدوا وليس شهد .. لانهم كثرٌ ! ففي حياة أبيه العسكري

عليهماالسلاموبإذن منه ، كان قد شهدها عدد من أصحاب العسكري وأبيه الهادي عليهماالسلام ، كما شهد آخرون منهم ومن غيرهم برؤية الامام المهدي بعد وفاة أبيه العسكري عليهماالسلام وذلك في غيبته الصغري التي ابتدأت من سنة 062 ه إلي سنة 329 ه .

ص: 150

– اذن فهم اعداد متألفة .

– اجل ! فلكثرة من شـهد علي نفسه بـذلك ، سوف أقتصـر لك علي ما ذكره المشايخ المتقدمون وهم : الكليني المتوفي سـنة 329 ه الذي أدرك الغيبـة الصـغري بتمامها تقريبا ، والصدوق المتوفي عام 381 ه . وقد أدرك من الغيبة الصـغري أكثر من عشـرين عاما، والشيخ المفيد المتوفي في العام 134 ه ، والشيخ الطوسي المتوفي سنة046ه.

– هل اجد لديك من رواياتهم الشيء اليسير ؟ اقصد هنا في المنزل؟

– أذكر لك اليسير جدا من رواياتهم الخاصة في تسمية من رآه عليه السلام

ثم اكتفي ببيان أسماء بعض المشاهدين للامام المهدي ..

بينما هو كذلك ، اذ نادي سالم ، علي اخته الصغري ، وامرها ان تأتيه باحد الكتب .. تناوله وجعل يقرأ علي صاحبه الذي صار يتلقي حديثه كما تتلقي الارض اليابسة مياه الامطار التي حبست عنها زمنا مديدا :

– أما ما رواه الكليني في أُصول الكافي بسند صحيح(1)

قال :

1– : عن محمد بن عبداللّه ومحمد بن يحيي جميعا؛ عن عبداللّه بن جعفر الحميري .

اجتمعت أنا والشّيخ أبو عمرو رحمه الله عنـد أحمد بن اسـحاق فغمزني أحمد بن اسـحاق أن أسأله عن الخلف، فقلت له : يا أبا عمرو إني أُريـد أن اسألك عن شـيء وما أنا بشاك فيما أُريد أن اسألك عنه – إلي أن قال بعد إطراء العمري وتوثيقه علي لسان الأئمة عليهم السـلام – : فَخَرَّ أبو عمرو ساجـدا وبكي ثم قال : سل حاجتك. فقلتُ له : أنت رأيت الخلف من بعـد أبي محمـد عليه السـلام ؟ فقال : إي واللّه ورقبته مثل ذا – وأومأ بيده – فقلتُ له : فبقيت واحدة ، فقال لي : هات ، فقلتُ : فالاسم ؟ قال : محرم عليكم أنْ تسألوا عن ذلك ، ولا أقول هذا من عنـدي ، فليس لي أن أُحلل ولا أُحرم، ولكن عنه عليه السـلام ، فإن الأمرَ عنـد السـلطان : أن أبا محمد مضـي ولم يخلف ولدا وقَسَّم ميراثه وأخـذه من لاـحقّ له فيه، وهو ذا عيـاله يجولون ليس أحـد يجسـر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شـيئا، واذا وقع الاـسم وقع الطلب ، فاتقوا اللّه وأمسكوا عن ذلك(1)

.

– هذه كانت في زمان التقية .. وعدم التنويه بولادته او اعلانها خوف بطش السلطات .

– اجل ! وما رواه في الكافي بسند صحيح(2)

: قال : قلتُ للعمري :

1– أُصول الكافي 1 : 329 – 330 / 1 باب 77 ، ورواه الصدوق بسند صحيح عن أبيه ومحمد ابن الحسن؛ عن عبداللّه بن جعفر الحميري، كمال الدين 2 : 441 / 14 باب 43 .

2– عن علي بن محمد وهو ابن بندار الثقة ، عن مهران القلانسي الثقة .

قد مضي أبو محمد ؟ فقال لي : قد مضي ولكن خلف فيكم من رقبته مثل هذه، واشار بيده(1)

.

كان حامد يسمع وعيناه تخضل بالدمع من فرط سعادته ، فقال سالم وهو يتبع كلامه بعبارات وجيزة اخري :

– وروي الصدوق كذلك ... اسـمع هذا الخبر ، اجل وروي الصدوق بسند صحيح عن أجلاّء المشايخ قال : حدثنا محمد بن الحسن رضي الله عنه قـال : حـدثنا عبـداللّه بن جعفر الحميري قـال : قلتُ لمحمـد بن عثمان العمري رضـي الله عنه : اني اسألك سؤال ابراهيم ربه جلّ جلاله حين قال : رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحْيِي المَوْتَي قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَي وَلكِن

لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي(2)

، فأخبرني عن صاحب هذا الأمر هل رأيته ؟ قال : نعم، وله رقبه مثل ذي واشار بيده إلي عنقه(3)

.

شعر حامد بأن عليه ان يغادر منزل صاحبه لشـراء بعض الحاجيات ، فقد اوصـته زوجته سميرة بضرورة احضارها سريعا لحاجتها اليها . في حين طلب منه ان يمكث لقليل من الوقت ريثما يخبره بهذه الرواية الاخري . فقال له :

1- أُصول الكافي 1 : 329 / 4 ب 76، و 1 : 331 / 4 باب 77 .

2- البقرة : 2 / 260.

3- كمال الدين 2 : 435 / 3 باب 43 .

– ولقد رواه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن أجلاء هذه الطائفة وشيوخها قال : وأخبرني محمد بن محمد بن النعمان والحسين بن عبيداللّه، عن أبي عبداللّه محمد بن أحمد الصفواني قال : أوصي الشيخ أبو القاسم رضي الله عنهإلي أبي الحسن علي بن محمد السمري رضي الله عنه فقام بما كان إلي أبي القاسم (السفير الثالث) فلما حضرته الوفاة، حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ولمن يقوم مقامه، فلم يظهر شيئا من ذلك، وذكر أنّه لم يُؤمر بأن يوصي إلي أحد بعده في هذا الشأن(1)

بينما عقّب سالم علي هذه الاخبار :

– ولا يخفي إن مقام السّمري ، مقام أبي القاسم الحسين بن روح في الوكالة عن الامام تتطلب رؤيته في كل أمر يحتاج اليه فيه، ومن هنا تواتر ما خرج علي يد السفراء الأربعة كما ذكر في مثل هذه الروايات من وصايا وارشادات وأوامر وكلمات الامام المهدي عليه السلام(2)

وهناك روايات أُخري كثيرة صريحة برؤية السفراء الأربعة كلٌّ في زمان وكالته للامام المهدي وكثير منها بمحضر من الشيعة . كما ان من ضمن من شهد رؤيته الكثير ممن يصعب عدّهم واحصائهم(3) . كما كان

1– كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي : 394 / 363.

2– وقد جمعت هذه الأُمور في ثلاث مجلدات مطبوعة بعنوان «المختار من كلمات الامام المهدي عليه السلام» تأليف الشيخ محمد الغروي .

3– من مثل : ابراهيم بن ادريس أبو أحمد (الكافي 1 : 331 / 8 باب 77، والارشاد / الشيخ المفيد 2 : 253، وكتاب الغيبة / الشيخ الطوسي : 268 / 232، و : 357 / 319.) ، وابراهيم بن عبدة النيسابوري (الكافي 1 : 331 / 6 باب 77 ، والارشاد 2 : 352 ، والغيبة 268 / 231.) ، وابراهيم بن محمد التبريزي (الغيبة : 259 / 226.) ، وابراهيم بن مهزيار ابو اسحاق الاهوازي (كمال الدين 2 : 445 / 19 باب 43.) ، وأحمد بن اسحاق بن سعد الاشعري (كمال الدين 2 : 384 / 1 باب 38.) ورآه مرة أُخري مع سعد بن عبداللّه بن أبي خلف الاشعري (من مشايخ والد الصدوق والكليني) (كمال الدين 2 : 456 / 21 باب 43.) ، وأحمد بن الحسين بن عبدالملك أبو جعفر الأزْدي وقيل الأوْدي (كمال الدين 2 : 444 / 18 باب 43، والغيبة : 253 / 223.) ، وأحمد بن عبداللّه الهاشمي من ولد العباس مع تمام تسعة وثلاثين رجلاً (الغيبة : 258 / 226.) ، وأحمد بن محمد بن المُطَهَّر أبو علي من أصحاب الهادي والعسكري 8 (الكافي 1 : 331 / 5 باب 77، والارشاد 2 : 352، والغيبة : 269 / 233.) ، وأحمد بن هلال أبو جعفر العبرتائي الغال الملعون ، وكان معه جماعة منهم : علي بن بلال ، ومحمد بن معاوية بن حكيم ، والحسن بن أيوب بن نوح ، وعثمان بن سعيد العمري 2 إلي تمام أربعين رجلاً (الغيبة : 357 / 319.) ، واسماعيل بن علي النوبختي أبو سهل (الغيبة : 272 / 237.) ، وأبو عبد اللّه بن صالح (الكافي 1 : 331 / 7 باب 77، والارشاد 2 : 352.) ، وأبو محمد الحسن بن وجناء النصيبي (كمال الدين 2 : 443 / 17 باب 43.) ، وأبو هارون من مشايخ محمد بن الحسن الكرخي (كمال الدين 2 : 432 / 9 باب 43 ، و 2 : 434 / 1 باب 43.) ، وجعفر الكذاب عم الامام المهدي 7 رأي الامام المهدي 7 مرتين (الكافي 1 : 331 / 9 باب 77، وكمال الدين 2 : 442 / 15 باب 43، والارشاد 2 : 353، والغيبة : 248 / 217.) ، والسيدة العلوية الطاهرة حكيمة بنت الامام أحمد بن علي الجواد 8 (الكافي 1 : 331 / 3 باب 77، وكمال الدين 2 : 424 / 1 باب 42، و 2 : 426 / 2 باب 42، والارشاد 2 : 351، والغيبة : 234 / 204، و : 237 / 205، و : 239 / 207 .) ، والزهري وقيل الزهراني ومعه العمري 2 (الغيبة : 271 / 236.) ، ورشيق صاحب المادراي (الغيبة : 248 / 218.) ، وأبو القاسم الروحي 2 (كمال الدين 2 : 502 / 61 باب 45، والغيبة : 320 / 266 و : 322 / 269.) ، وعبد اللّه السوري (كمال الدين 2 : 441 / 13 باب 43.) ، وعمرو الأهوازي (

الكافي 1 : 328 / 3 باب 76، و 1 : 332 / 12 باب 77، والارشاد 2: 353، والغيبة: 234 / 203.) ، وعلي بـن ابراهيم بن مهزيـار الأهوازي (الغيبة : 263 / 228.) ، وعلي بن محمد الشمشاطي رسول جعفر بن ابراهيم اليماني (كمال الدين 2 : 491 / 14 باب 45.) ، وغانم أبو سعيد الهندي (الكافي 1 : 515 / 3 باب 125، وكمال الدين 2 : 437 بعد الحديث 6 باب 43.) ، وكامل بن ابراهيم المدني (الغيبة : 247 / 216.) ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد العمري 2 (الكافي 1 : 329 / 1 باب 76 ، و 10 : 329 / 4 باب 76، و1: 331 / 4 باب 77، والارشاد 2 : 351، والغيبـة : 355 / 316.) ، ومحمـد بن أحمـد الأنصـاري أبو نعيم الزيـدي ، وكان معه في مشاهـدة الامام المهدي 7 : أبو علي المحمودي ، وعلاّن الكليني ، وأبو الهيثم الـدِّيناري ، وأبو جعفر الأـحول الهمـداني ، وكـانوا زهـاء ثلاثين رجلاً فيهم السـيد محمـد بن القاسم العلوي العقيقي (كمال الدين 2 : 470 / 24 باب 73، والغيبة : 259 / 227.) ، والسـيد الموسوي محمد بن اسماعيل بن الامام موسي بن جعفر 8 وكان أسنّ شيخ في عصره من ولد رسول اللّه 6 (الكافي 1 : 330 / 2 باب 77، والارشاد 2 : 351، والغيبة : 268 / 230.) ، ومحمد بن جعفر أبو العباس الحميري علي رأس وفد من شـيعة مدينة قم (كمال الدين 2 : 477 بعد الحديث 6 باب 43.) ، ومحمد بن الحسن بن عبيد اللّه التميمي الزيدي المعروف بأبي سورة (الغيبة : 269 / 234 ، و : 270 / 235.) ، ومحمد بن صالـح بن علي بن محمد بن قنبر الكبير مولي الامام الرضا 7 (كمال الدين 2 : 442 / 15 باب 43 حدّثَ عن رؤية جعفر الكذاب للامام المهدي 7، وظاهره أنه رآه أيضا، ولكن صريح الكافي أنه لم يره 7 ولكنه رأي من رآه وهو جعفر الكذاب. الكافي 1 : 331 / 9 باب 77.) ، ومحمد بن عثمان العمري 2 (كمال الدين 2 : 433 / 13 باب 42، و 2: 435 / 3 باب 43، و 2: 440 / 9 باب 43، و2 : 440 / 10 باب 43، و 2 : 441 / 14 باب 43.) ورآه مع أربعين رجلاً بإذن الامام العسكري 7 ، وكان من جملتهم : معاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح (كمال الدين 2 : 435 / 2 باب 43.) ، ويعقوب بن منقوش (كمال الدين 2 : 437 / 5 باب 43.) ، ويعقوب بن يوسف الصّراب الغساني (الغيبة : 273 / 238.) ، ويوسف بن أحمد الجعفري (الغيبة : 257 / 225.) .

قد ذكر الصدوق من وقف علي معجزات الامام المنتظر ، ورآه من الوكلاء وغيرهم مع تسـمية بلدانهم ، وهم بلغوا من الكثرة حدّا يمتنع معه اتفاقهم علي الكذب لا سيما وهم من بلدان شتي(1).

بينما جعل يضـيف في مقاله ، يتحمل اعباء الكلام وهو في حالة النقاهة من العملية .. يثيره الالم حينا ، ويشتد عليه الاعياء حينا اخر .. الا انه آثر ان يحكي العصير من لبّ ما يجده في هذا الكتاب ، حتي قال :

- كما شاهد الامام المهدي عليه السلام من كان يخدم أبيه العسكري عليه السلام في

1- وإليك بعضـهم : فمن بغـداد : العمري ، وابنه ، وحاجز ، والبلالي ، والعطار . ومن الكوفـة : العاصـمي . ومن أهل الاهواز : محمد بن ابراهيم بن مهزيار . ومن أهل قم : أحمد بن اسحاق . ومن أهل همدان : محمد بن صالح . ومن أهل الري : البسامي ، والاسدي محمد بن أبي عبـداللّه الكوفي . ومن أهل آذربيجان : القاسم بن العلاء . ومن أهل نيسابور : محمـد بن شاذان . ومن غير الوكلاء . من أهل بغداد : أبو القاسم بن أبي حليس ، وأبو عبداللّه الكندي ، وأبو عبداللّه الجنيدي ، وهارون القزاز ، والنيلي ، وأبو القاسم بن دبيس ، وأبو عبداللّه بن فروخ ، ومسـرور الطباخ مولي أبي الحسن 7 ، وأحمـد ومحمـد ابنا الحسن ، واسـحاق الكاتب من بني نوبخت وغيرهم . ومن همـدان : محمد بن كشمرد ، وجعفر بن حمدان ، ومحمد بن هارون ابن عمران . ومن الدينور : حسن بن هارون، وأحمد بن أُخَيَّة، وأبو الحسن . ومن أصفهان : ابن باشاذالـة . ومن الصـيمرة : زيـدان . ومن قم : الحسن بن النضـر ، ومحمـد بن محمـد، وعلي بن محمد بن اسـحاق، وأبوه، والحسن بن يعقوب . ومن أهل الري : القاسم بن موسـي ، وابنه ، وأبو محمد بن هارون، وعلي ابن محمد ، ومحمد بن محمد الكليني ، وأبو جعفر الرفّاء . ومن قزوين : مرداس ، وعلي بن أحمد . ومن نيسابور : محمد بن شـعيب بن صالح. ومن اليمن : الفضل بن يزيد ، والحسن بن الفضل بن يزيد ، والجعفري ، وابن الاعجمي ، وعلي بن محمد الشمشاطي . ومن مصر : أبو رجاء وغيره . ومن نصيبين : أبو محمد الحسن بن الوجناء النصيبي . كما ذكر أيضا من رآه 7 من أهل شهرزور ، والصيمرة ، وفارس وقابس ، ومرو كمال الدين 2 : 442 - 443 / 16 باب 43 .

داره مع بعض الجواري والاماء(1)

(24)

وفي ظهيرة يوم من الايـام ، جلس حامـد الي جانب زوجته .. كان يقرأ في صـحيفة ، بينما كانت زوجته تقلب دفتر الهاتف ، باحثـة عن رقم احـد الاطباء ، كانت تريد حجز رقم لها للذهاب الي عيادته . كانت تعاني من اعياء اضـجرها .. واذ كانا كذلك حانت من حامد التفاتة الي زوجته ، وجدها غارقة في خضم الارقام والاسماء .. قال لها :

– الم تجدي رقم هاتف عيادته ؟

– لا . . لا أظنه يمتلك هاتفا .

1– كطريف الخادم أبي نصـر (الكافي 1 : 332 / 13 باب 77، وكمال الدين 2 : 441 / 12 باب 43، والارشاد 2: 354، والغيبة : 246 / 215 وفيه : ظريف بدلاً عن طريف .) ، وخادمه ابراهيم بن عبدة النيسابوري التي شاهدت مع سـيدها الامام المهدي 7 (الكافي 1 : 331 / 6 باب 77، والارشاد 2 : 352، والغيبة : 268 / 231.) ، وأبي الأديان الخادم (كمال الدين 2 : 475 بعد الحديث 25 باب 43.) ، وأبي غانم الخادم الـذي قال : «ولـد لأبي محمـد 7 ولـد فسـماه محمـدا ، فعرضه علي أصـحابه يوم الثالث ، وقال : هـذا صاحبكم من بعـدي ، وخليفتي عليكم ، وهو القائم الذي تمتد اليه الاعناق بالانتظار ، فاذا امتلأت الارض جورا وظلما خرج فملأها قسـطا وعدلاً . وشـهد بذلك أيضا : عقيد الخادم كمال الدين 2 : 474 بعد الحديث 25 باب 43، والغيبة : 272 / 237. ، والعجوز الخادمة (الغيبة 2 : 273 – 276 / 238.) ، وجاريـة أبي علي الخيزراني التي اهداها إلي الامام العسـكري 7 (كمال الدين 2 : 431 / 7 باب 42.) ، ومن الجواري اللّواتي شهدن برؤية الامام المهدي7 : نسـيم(كمال الدين 2 : 441 / 11 باب 43.) ، ومارية (كمال الدين 2 : 430 / 5 باب 42، وفي هذا المورد شاهدته 7 نسـيم مع مارية.) . كما شهد بذلك مسرور الطباخ مولي أبي الحسن 7 (كمال الدين 2 : 442 / 16 باب 43.) ، وكل هؤلاء قد شهدوا بنحو ما شهد به أبو غانم الخادم في بيت العسكري 7 .

– وهل يمكن ان يحصل مثل كذلك .

فقالت :

– لربما كان الرقم مسجلا باسم غيره .

– يمكنك ان تستفسري من استعلامات الهاتف .

ثم القت بالكتاب جانبا وهمست مشيرة اليه :

– سأفعل . ولكن فيما بعد ..

نهضت ودلفت الي المطبخ . بعدها عادت وهي تحمل قدحين من القهوة . جلست قبالته .. رمي بالصحيفة جانبا . استلتها تقرأ ما فيها .

واذا ما كان لها ان تجد بعض الاشارات حول المنقذ والمخلّص ، رغبت في ان تمارس مع زوجها لغة السؤال والبحث ، فما ان مرت الدقائق تتري حتي بادرته بالسؤال :

– أظن أن الوحيد الذي لم تقو السلطات الحاكمة علي النيل منه هو المهدي المنتظر ، أليس كذلك ؟ !

راعه سؤالها .. ذلك انه لم يلتفت الي هذه المعجزة طوال عمره ، وهاهي زوجته السنية تعلنها له . . لم تكن المسألة غريبة عليه ، انما الامر الذي غدا له واضحا ولاكثر من ذي قبل ، هو ما يشاكل حالة المرور علي بعض الايات القرآنية حتي يحسبها القاري ء وكأن بصره

قد وقع عليها وللتو ، فلم يكن قد طالعها من قبل او قرأها ، مع انه كان يقرأها ويتلوا القرآن كل يوم . فقال لها :

– ماذا تقولين ؟

– سألتكَ . .

فقال ، وكأنه استوعب للتو ما كانت قد فاهت به :

– أووه .. تقصدين .. ، إنها الغيبة ، اعجاز الله في ارضه ، هي التي لم تدع للسلطات الحاكمة ايما فرصة كيما يصل أزلامها اليه .

– أقول متي كان قد ولد ؟

– ولد الامام الحسن العسكري عليه السلام في شهر ربيع الآخر سنة 232 ه ، وقد عاصر ثلاثة من سلاطين بني العباس وهم : المعتز المتوفي عام 552 ه ، والمهتدي المتوفي عام 562 ه ، والمعتمد المتوفي عام 279 ه .

– وكيف كان المعتمد ؟

– لقد كان المعتمد شديد التعصب والحقد علي آل البيت عليهم السلام ومن تصفح كتب التاريخ المشهورة كالطبري وغيره ، واستقرأ ما في حوادث سنة 752 ه و 852 ه و 952 ه و 062 ه ، وهي السنوات الأُولي من حكمه ، عَلِم مدي حقده علي أئمة أهل البيت عليهم السلام .

– وهل لقي جزاء اعماله تلك ؟

– وكيف لا ، فلقـد عاقبه اللّه في حياته ، إذ لـم يكن في يـده شـيءٌ من مُلْكِهِ حتي أنّه احتاج إلي ثلاثمائـة دينار فلم ينلها ، ومات ميتة سوءٍ إذ ضجر منه الاتراك فرموه في رصاص مذاب باتفاق المؤرخين.

– هل تذكر شيئا من مواقفه ؟

– من مواقفه الخسيسة أَمْرُهُ شَرَطَته بعد وفاة الامام الحسن

العسـكري عليه السلاممباشـرة بتفتيش داره تفتيشا دقيقا والبحث عن الامام المهدي عليه السلاموالامر بحبس جواري أبي محمد العسكري واعتقال حلائله يساعدهم بذلك جعفر الكذاب طمعا في أن ينال منزلة أخيه العسـكري في نفوس شـيعته، حتي جري بسبب ذلك كما يقول الشيخ المفيد – علي مُخَلَّفي الامام العسكري عليه السلامكل عظيمة من اعتقال، وحبس، وتهديد، وتصغير، واستخفاف، وذِل(1)

.

– وكـم كان عمر المهدي آنئذ ؟

– كل هذا والامام المهدي في الخامسة من عمره الشريف،

– وهل كان لطفل صغير ان يثير الخلافة برمّتها ؟

– لـم يكن ليهـم المعتمد العباسي العمر بعد أنْ عرف أن هذا الصبي

1– الارشاد 2 : 336.

هو الامام الذي سيهدّ عرش الطاغوت نظرا لما تواتر من الخبر بأن الثاني عشر من أهل البيت عليهم السلامسيملأ الدنيا قسطا وعدلاً بعدما ملئت ظلما وجورا .

– واذن ، كان ثمة اعتقاد صحيح باعجاز الله في ارضه ، لكن

شقوتهم كانت قد غلبت عليهم ، والا فما كان ليضيرهم ان يبقي الي جانبهم طفل لم يتجاوز من العمر الخمسة سنوات .

– فكان موقفه من مهدي الأُمّة كموقف فرعون من نبي اللّه موسي

عليه السلامالذي ألقته أُمّهُ – خوفا عليه – في اليمِّ صبيا ، وبعض الشرّ أهون من بعض . فلم يكن المعتمد العباسي قد عرف هذه الحقيقة وحده وإنّما عرفها من كان قبله كالمعتز والمهدي ؛ ولهذا كان الامام الحسن العسكري عليه السلامحريصا علي أن لا ينتشر خبر ولادة المهدي إلاّ بين الخلّص من شيعته ومواليه عليه السلام ، مع أخذ التدابير اللازمة والاحتياطات الكافية لصيانة قادة التشيع من الاختلاف بعد وفاته عليه السلام ،

– وهل كان قد اوقفهم علي ولده ؟

– بكل تأكيد ، لقد أوقفهم بنفسه علي المهدي الموعود مرات عديدة وأمرهم بكتمان أمره لمعرفة الطواغيت بأنّه (الثاني عشر) الذي ينطبق عليه حديث جابر بن سمرة الذي رواه القوم وأدركوا تواتره ،

وإلاّ فأي خطر يهـدد كيان المعتمـد في مولود يافع لم يتجاوز من العمر خمس سـنين ؟ ! لو لـم يدرك أنّه هو المهدي المنتظر التي رسـمت الأحاديث المتواترة دوره العظيم بكل وضوح ، وبينت موقفه من الجبابرة عند ظهوره .

– وكل هذا ، وجعفر الكذاب يعلن للملأ انه المرجع والامام بعد أخيه ؟

– نعم ، فانه لو لـم يكن الامر علي ما وصـفناه ، فلماذا لـم تقتنع السـلطة بشـهادة جعفر الكذاب وزعمه بأن أخاه العسكري عليه السلام مات ولـم يخلف ولدا ؟ أَمَا كان بوسع السـلطة أنْ تعطي جعفرا الكذاب ميراث أخيه عليه السـلام من غير ذلك التصـرف الأحمق الذي يدل علي ذعرها وخوفها من ابن الحسن عجل اللّه تعالي فرجه الشريف ؟ !

– قـد يقال : بأنّ حرص السـلطة علي إعطاء كل ذي حق حقه هو الذي دفعها إلي التحري عن وجود الخلف لكي لا يسـتقل جعفر الكذاب بالميراث وحده بمجرد شهادته !

– عندها يمكن القول والاجابة : فانه مع هذا ، لـم يكن من شأن السلطة الحاكمة آنذاك أنْ تتحري عن هذا الأمر بمثل هذا التصرف المريب ، بل كان علي السلطة ان تحيل دعوي جعفر الكذاب إلي أحد

القضاة ؛ لا سيما وان القضية من قضايا الميراث التي يحصل مثلها كل يوم مرات ، وعندها سيكون بوسع القاضي التحقيق واستدعاء الشهود كـأُمّ الامـام العسـكري عليه السـلام ، ونسائه وجواريه والمقربين اليه من بني هاشم ، ثم يسـتمع إلي أقوالهم ويثبت شـهاداتهم، ثم يصـدر الحكم علي ضوء ما بيديه من شهادات ،

- ؟ !

- أمّا أنّ تنفرد السـلطة بنفسها ويصل الأمر إلي أعلي رجل فيها ، وبهذه السرعة، ولمّا يدفن الامام الحسن عليه السلام ، وخروج القضية عن دائرة القضاء مع أنّها من اختصاصاته ، ومن ثم مداهمة الشّـرَطة لمن في بيت الامام العسـكري عليه السلام بعد وفاته مباشرة، كل ذلك يدل علي تيقن السلطة من ولادة الامام المهدي وإنْ لـم تره، لما سبق من علمهم بثاني عشر أهل البيت .

- ولهذا جاءت للبحث عنه ؟

- ولهذا جاءت للبحث عنه ، لا بعنوان إعطاء ميراث العسكري عليه السلام

لمن يستحقه من بعده، وإنّما للقبض عليه والفتك به بعد أن لـم يجدوا لذلك سبيلاً في حياة أبيه العسكري عليه السلام .

- ولهذا كان الخوف علي حياته

– نعم ، وذلك هو من أسرار غيبته

عليه السلام كما هو الحال في إخبار آبائه الائمة المعصومين عنها ، وذلك قبل وقوعها بعشرات السنين .

(25)

وعند المساء ، اتجه حامد وزوجته الي منزل ابيها .. كانت تنتظرهما ثمة ابنة جيرانها هيفاء .. رحبت بها وابتسمت لها كثيرة ، مشيرة الي ان اخاها يرغب في بحث بعض الموضوعات مع حامد .. طلبت منها التخلي عن ذلك .. بيد ان هيفاء اصرت علي ما تريد ، ذلك ان أخاها هو الذي يلح عليها .. ولم يكن قد علم اخاها سلمان ما يدور في خلَد حامد الا من طريق زوجته سميرة نفسها ، حينما كانت تدردش مع هيفاء ، فاشارت الي هذا الامر ان حامد يسعي جاهدا كيما تغدو شيعية .. بل ان سلمان لم يكن ليعرف حامد قط ، فاراد من خلال ذلك ان يتعرف عليه ويزحمه ببعض التساؤلات حتي يضيّق عليه الخناق مثلا ، فيثبت له أحقية مذهب أهل السنة وخطئية مذهب الشيعة .. فلا يدعو زوجته الي مثلها . كيما يدعها تتعبد علي أيّما مذهب تشاء من هذه المذاهب الاربعة !

ص: 164

وعلي مائـدة العشاء ، كان قد انضم الي المتحلقين حولها سـلمان وامه واخته . اسـتغرب حامد الامر ، تعارفوا فيما بينهم . رحب كل منهم بالاـخر .. وفي خلوة من الخلوات أشارت سـميرة الي ما يـدور في ذهن سـلمان ، بأنه يود مناقشـتك في بعض المسائل المتعلقـة بصاحب الزمان .. ذلك اني شـرحت لهيفاء كيف حدثتني عنه .. لم يسترع الامر حامد ، بل كان يمثل بالنسبة اليه ومضة من ومضات تلاقح الافكار .. بينمـا كـان يقول في نفسه : مرحبـا بكـل مـا يـدعو الي حوار العقليـات ، هيتَ لـكِ ايتهـا المناقشـات والمجادلاـت ، ثم هيت لك ايتها المناظرات والمحادثات .

قال سلمان :

– يسرني ان التقي بك .

– كذلك انا .

أجابه حامد . بينما اضاف سلمان :

– ولكني انتهز مثل هذا اللقاء ، كفرصة نجوب بها سوية .. بل نطوف في أروقة بعض التساؤلات التي تدور حول المخلّص .. منقذ البشرية ..

– علي الرحب والسعة .

ص: 165

– في البداية ، هل يمكنك ان تخبرني عن الامام المهدي ، فهل ولد ام لم يولد ، وكيف تستدل علي ما تعتقده منهما ؟

– اجيبك باختصار ، لاني اوعز ما يلحق به الي لقاءات قادمة انشاء الله . فاشير عليك باعترافات علماء الأنساب بولادة الامام المهدي ، وهذا بدوره سيقدم لك شهادة واعية من اناس موثقين في هذا الباب .

– اني أصغي اليك . .

– فإنَّ مما لا شك فيه ، هو ضـرورة الرجوع في كل فن إلي أصحابه ، وما نحن بصدده ، علماء الانساب أولي به ، وسأقوم بنقل ما قاله بعضهم (بينما اخرج من جيب سترته مفكرة صـغيرة ، لكنها كانت سـميكة ، مثخنـة بالاوراق ، دون فيها حامـد ما اسـتطاع تدوينه ، ولذلك انتخب عرض ومناقشة الموضوع من خلال هذا الجوانب) من مثل النسابة الشـهير أبو نصـر سـهل بن عبد اللّه بن داود بن سليمان البخاري والسيد العمري ، والمروزي الازورقاني ، والسـيد النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسـيني ، والنسابة الزيدي السيد أبو الحسن محمد الحسيني اليماني الصنعاني ، ومحمد أمين السويدي ، والنسابة المعاصر محمد ويس الحيدري السوري .

– فما الذي أقروا به هؤلاء .

- اعترفوا بولادة المهدي الموعود .. وانه حيٌّ يرزق .

- هل يمكنك أن تطلعني علي ما حدثوا به .

- اما أبو نصـر البخاري الذي هو من أعلام القرن الرابع الهجري ، والذي كان حيا سـنة 143 ه ، وهو من أشـهر علماء الانساب المعاصرين لغيبة الامام المهدي الصـغري التي انتهت سنة 329 ه . قال في سـر السلسلة العلوية ، وعلي ما اذكر ص 39 : وولد علي بن محمد التقي عليه السـلام: الحسن ابن علي العسـكري عليه السـلام من أُم ولد نوبيّة تدعي : ريحانة ، وولد سنة احدي وثلاثين ومائتين وقبض سنة ستين ومائتين بسامراء ، وهو ابن تسع وعشـرين سـنة.. وولـد علي بن محمد التقي عليه السـلام جعفرا وهو الذي تسـميه الامامية جعفر الكذاب، وإنّما تسميه الامامية بذلك ؛ لادعائه ميراث أخيه الحسن عليه السلامدون ابنه القائم الحجة عليه السلام .

- جميل ..

- والسيد العمري النسابة المشهور والذي كان من أعلام القرن

الخامس الهجري ، فانه كان قد قال ما نصه : ومات أبو محمد عليه السـلام وولده من نرجس عليهاالسـلاممعلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله ،وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك ، وامتُحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، وشره جعفر بن علي إلي مال أخيه

وحـاله فـدفع أنْ يكون له ولـد، وأعـانه بعض الفراعنـة علي قبض جواري أخيه . . وقيل : أنه فارق ما كان عليه قبل الموت وتاب ورجع، فلما زعم انه لاولد لاخيه وأدعي ان أخاه جعل الامامة فيه سـمي : (الكذاب) ، وهو معروف بذلك . ثم ذكر السيد النسابة تحت عنوان : (الاخبار في معني الخلف الصالح عليه السلام) جملة وافرة من أخبار غيبته

عليه السلام ، ومن شاهده ونحو ذلك .(1)

.

كان حامد يقرأ بامعان قسمات طالب كلية الشريعة سلمان .. كان يحاول الاخير ان يضفي علي نفسه سيماء عدم الاعارة والاهتمام ، بيد ان حامـد كان يلتقط بين الفينة والاخري ما يبعث في نفسه مقدار اهتمام صاحبه بمثل هذه الاخبار التي تفد علي رأسه كالجديد الذي لم يطّلع عليه من قبل . بينما كان سـلمان يشـعر انه قـد وقع في فخ لم يحتط له او لم يتهيأ له مسـبقا قط ! في حين دأب حامد علي مواصـلة الحديث حتي قال :

- كـذلك المروزي الازورقاني الذي وافاه الاجل بعد عام 416 ه. فقـد وصف في كتاب الفخري جعفر بن الامام الهادي في محاولته انكار ولد أخيه بالكذاب(2)

. وفيه أعظم دليل علي اعتقاده بولادة

1- المجدي في انساب الطالبيين : 130 - 131 .

2- الفخري في انساب الطالبيين : 7.

الامام المهـدي . في حين يحـدث السـيد النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسـيني المعروف بابن عِنَبَه والمتوفي عام 828 ه في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : أما علي الهادي فيلقب العسـكري لمقامه بسُـرَّ من رأي، وكانت تسـمي العسـكر ، وأُمّه أُم ولد ، وكان في غايـة الفضـل ونهايـة النبل ، أشـخصه المتوكل إلي سُـرَّ من رأي فأقام بها إلي أن تُوفي ، وأعقب من رجلين هما : الامام أبو محمـد الحسـن العسكري عليه السلام ، وكان من الزهد والعلم علي أمر عظيم ، وهو والد

الامام محمد المهدي صـلوات اللّه عليه ثاني عشـر الأئمة عند الامامية وهو القائم المنتظر عندهم من أُم ولد اسمها نرجس . واسم أخيه أبو عبداللّه جعفر الملقب بالكذّاب؛ لادعائه الامامة بعد أخيه الحسن(1)

. كما قال في الفصول الفخرية (مطبوع باللغة الفارسـية) ما ترجمته : أبو محمد الحسن الذي يقال له العسـكري، والعسكر هو سامراء ، جلبه المتوكل وأباه إلي سامراء من المدينة ، واعتقلهما . وهو الحادي عشـر من الأئمة الاثني عشـر ، وهو والد محمد المهدي عليه السـلام ، ثاني عشرهم(2)

.

- ؟!

- بينما ذكر النسابة الزيدي السيد أبو الحسن محمد الحسيني

1- عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب : 199 .

2- الفصول الفخرية في الانساب / للنسابة جمال الدين أحمد بن عِنَبَه: 134 - 135 .

اليماني الصنعاني والذي هو من أعيان القرن الحادي عشر في المشجرة التي رسمها لبيان نسب أولاد أبي جعفر محمد بن علي الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وتحت اسم الامام علي التقي المعروف بالهادي ، خمسة من البنين وهم : الامام العسكري ، الحسين ، موسي ، محمد ، علي . وتحت اسم الامام العسكري مباشرة كتب : (محمد بن) وبازائه : (منتظر الامامية)(1)

. في حين قال محمد أمين السويدي والمتوفي سنة 4612 ه في سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب : محمد المهدي : وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، وكان مربوع القامة ، حسن الوجه والشَّعر ، أقني الانف ، صبيح

الجبهة(2)

. ثم النسابة المعاصر محمد ويس الحيدري السوري . حيث قال في الدرر البهية في الانساب الحيدريّة والأوَيسيّة في بيان أولاد الامام الهادي : أعقب خمسة أولاد : محمد وجعفر والحسين والامام الحسن العسكري وعائشة . فالحسن العسكري أعقب محمد المهدي صاحب السرداب . ثم قال بعد ذلك مباشرة وتحت عنوان : الامامان محمد المهدي والحسن العسكري : الامام الحسن العسكري : ولد بالمدينة سنة 231 ه وتوفي بسامراء سنة 062 ه . الامام محمد

1- روضة الألباب لمعرفة الأنساب / للنسابة الزيدي السيد أبي الحسن محمد الحسيني اليماني الصنعاني : 105 .

2- سبائك الذهب / السويدي : 346 .

المهدي : لم يذكر له ذرية ولا أولاد له أبدا(1)

م .

ثم علق في هامش العبارة الاخيرة بما هذا نصه : «ولد في النصف من شعبان سنة 552 ه ، وأُمّه نرجس ، وُصِفَ فقالوا عنه : ناصع

اللون ، واضح الجبين، أبلج الحاجب ، مسنون الخد ، أقني الأنف ، أشم ، أروع ، كأنّه غصن بان ، وكأنَّ غرّته كوكب دريّ ، في خده الأيمن خال كأنه فتات مسك علي بياض الفضّة ، وله وفرة سمحاء تطالع شحمة أذنه ، ما رأت العيون أقصد منه ولا أكثر حسنا وسكينةً

وحياءً(2)

.

- ؟ !

- وبعد ، فهذه هي أقوال علماء الانساب في ولادة الامام المهدي

عليه السلاموفيهم السني والزيدي الي جانب الشيعي ، وفي المثل : أهل مكة أعرف بشعابها .

عندها افاق سلمان من غيبوبة أخبار النسابة ليطلع علي حامد بسؤال اخر :

- طيب ، هل يمكنك ان تدلي لي بما افاده علماء اهل السنة في هذا المضمار ؟

1- الدرر البهية في الأنساب الحيدريّة والاُويسيّة طبع حلب سوريا 1405 ه : 73 .

2- هامش الدرر البهية : 73 - 74.

اطمئن حامد الي فحوي هذا السؤال أيضا ، ذلك ان مفكرته تلك كانت تضّمن الجواب علي ذلك . قال :

– أما مصادرة علماء أهل السنّة علي ولادة الامام المهدي . فثمة اعترافات ضافية سجلها الكثير من أهل السنة بأقلامهم بولادة الامام المهدي عليه السلام ، وقد قام البعض باستقراء هذه الاعترافات في بحوث

خاصة ، فكانت متصلة الازمان ، بحيث لا تتعذر معاصرة صاحب

الاعتراف اللاحق لصاحب الاعتراف السابق بولادة المهدي عليه السلام، وذلك ابتداءً من عصر الغيبة الصغري للامام المهدي عليه السلام (062 ه – 329 ه) والي الوقت الحاضر . ولسوف أقتصر علي ذكر بعضهم – واذا أردت التوسعة فيمكنك مراجعة الاستقراءات الخاصة بتلك الاعترافات وذلك من مصادرها(1)

– وهم : ابن الأثير الجزري عز الدين المتوفي عام 306 ه . حيث قال في كتابة الكامل في التأريخ في حوادث سنة (062 ه) : وفيها توفي أبو محمد العلوي العسكري ، وهو

1– راجع كتاب الايمان الصحيح للسيد القزويني، وكتاب الامام المهدي في نهج البلاغة للشيخ مهدي فقيه ايماني، وكتاب من هو الامام المهدي للتبريزي، وكتاب الزام الناصب للشيخ علي اليزدي الحائري، وكتاب الامام المهدي للاستاذ علي محمد دخيل، وكتاب دفاع عن الكافي للسيد ثامر العميدي. وقد ذكر في هذا الأخير مائة وثمانية وعشرين شخصا من أهل السنة من الذين اعترفوا بولادة الامام المهدي عليه السلاممع ترتيبهم بحسب القرون، فكان أولهم أبو بكر محمد بن هارون الروياني (ت/307 ه في كتابه المسند (مخطوط) وآخرهم الاستاذ المعاصر يونس أحمد السامرائي في كتابه : سامراء في أدب القرن الثالث الهجري، ساعدت جامعة بغداد علي طبعه سنة 1968 م. انظر دفاع عن الكافي 1 : 568 – 592 تحت عنوان: الدليل السادس: اعترافات أهل السنة.

أحد الأئمة الاثني عشر علي مذهب الامامية ، وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر(1)

. أمـا ابن خلكان والمتوفي عام 816 ه ، فـانه قـال في وفيـات الأعيان : أبو القاسم محمـد ابن الحسن العسـكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشـر الأئمة الاثني عشـر علي اعتقاد الامامية المعروف بالحجة... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسـين ومـائتين» ثم نقل عن المؤرخ الرحّالـة ابن الأزرق الفارقي المتوفي عام 775 ه ، انه قـال في تاريـخ مَيَّافارقين : إنَّ الحجة المذكور ولد تاسع شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصح(2)

.

- ؟ !

ثم عقب حامد علي هذا الكلام بقوله :

- والصـحيح في ولادة المهدي ، هو ما ذكره ابن خلكان أولاً ، وهو يوم الجمعة منتصف شـهر شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وعلي ذلك اتفق جمهور الشيعة وقد أخرجوا في ذلك روايات صحيحة في ذلك مع شهادة أعلامهم المتقدمين . أما الذهبي المتوفي

1- الكامل في التأريخ 7 : 274 في آخر حوادث سنة / 260 ه .

2- وفيات الاعيان 4 : 176 / 562.

عام 847 ه ، فانه كان قد اعترف بولادة المهدي عليه السلامفي ثلاثة من كتبه، ولم تُتَتَبّع كتبه الأخري .

حيث قال في كتابه العبر : وفيها (أي : في سنة 562 ه) ولد محمد بن الحسن ابن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسي الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحُسَّيْني ، أبو القاسم الذي تلقّبه الرافضة الخلف الحجة ، وتلقّبه بالمهدي ، والمنتظر ، وتلقبه بصاحب الزمان ، وهو خاتمة الاثني عشر(1)

. وقال في تاريخ دول الاسلام في ترجمة الامام الحسن العسكري : الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسي بن جعفر الصادق، أبو محمد الهاشمي الحُسَيْني ، أحد أئمة الشيعة الذي تدعي الشيعة عصمتهم ، ويقال له : الحسن العسكري، لكونه سكن سامراء، فإنها يقال لها العسكر . وهو والد منتظر الرافضة، توفي إلي رضوان اللّه بسامراء في ثامن ربيع الأوّل سنة ستين ومائتين وله تسع وعشرون سنة ، ودفن إلي جانب والده . وأما ابنه محمد بن الحسن الذي يدعوه الرافضة القائم الخلف الحجة فولد سنة ثمان وخمسين، وقيل سنة ست وخمسين(2)

. وقال في سير أعلام النبلاء : المنتظر الشريف أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري

1- العبر في خبر من غبر 3 : 31.

2- تاريخ دول الاسلام / الجزء الخاص في حوادث ووفيات 251 - 260 ه: 113 / 159.

بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضي بن موسي الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي ابن الحسين الشهيد بن الامام علي بن أبي طالب ، العلوي ، الحُسَيْني خاتمة الاثني عشر سيدا(1)

.

– وهل يمكنك ان تحدثني عن اعتقاد الذهبي ؟

سأله سلمان ، اجابه حامد :

– ما يعنينا من رأي الذهبي في ولادة الامام المهدي قد بيّنته ، وأما عن اعتقاده بالمهدي فهو كما في جميع أقواله الأُخري كان ينتظر – كغيره – سرابا كما أوضحناه في من يعتقد بكون المهدي : محمد بن عبدالله .

– ؟ !

بينما عاد حامد الي تصفح مفكرته ومطالعتها ، فقال :

– أما ابن الوردي ، المتوفي عام 947 ه ، فانه قال في ذيل تتمة المختصر المعروف بتاريخ ابن الوردي : ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين(2)

. في حين قال أحمد بن حجرالهيتمي الشافعي المتوفي في سنة 497 ه)

1– سير أعلام النبلاء 13 : 119 / الترجمة رقم 60.

2– نقله عنه مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي في نور الابصار : 186.

حين سماعه هذا الاسم ، كان وجه سلمان يعلن عن تألقه واستبشاره ، بينما واصل حامد قراءاته ، فقال :

– نعم ، قال في كتابه (الصواعق المحرقة) في آخر الفصل الثالث من الباب الحادي عشر ما هذا نصه : أبو محمد الحسن الخالص، وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري ، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين... مات بسُرَّ من رأي ، ودفن عند أبيه وعمه ، وعمره ثمانية وعشرون سنة، ويقال : إنّه سُمَّ أيضا ، ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن أتاه اللّه فيها الحكمة، ويسمي القائم المنتظر، قيل : لأنّه سُتِرَ بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب(1)

انتهي . بينما جعل الشبراوي الشافعي والمتوفي عام 1171 ه ، يصرح في كتابه : (الاتحاف) بولادة الامام المهدي محمد بن الحسن العسكري في ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة(2)

. حتي جاء مؤمن بن حسن الشبلنجي

المتوفي عام 1308 ه ليعترف في كتابه (

نور الابصار) باسم الامام المهدي ، ونسبه الشريف الطاهر ، وكنيته ، والقابه في كلام طويل الي أن قال : وهو آخر الأئمة الاثني عشر علي ما ذهب إليه الامامية .

1– الصواعق المحرقة / ابن حجر الهيتمي الطبعة الأُولي ص 207 ، والطبعة الثانية ص 124، والطبعة الثالثة ص 313 – 314 .

2– الاتحاف بحب الاشراف : 68.

وهكـذا نصل الي خير الـدين الزركلي ، وهو الـذي توفي في العام 6139 ه ، حيث قـال في كتابه : (الاعلام) في ترجمـة الامام المهـدي المنتظر : محمد بن الحسن العسكري الخالص بن علي الهادي أبو القاسم، آخر الأئمة الاثني عشر عند الامامية.. ولد في سامراء ومات أبوه وله من العمر خمس سنين.. وقيل في تاريخ مولده : ليلة نصف شعبان سنة 552، وفي تاريخ غيبته، سنة 652 ه(1)

.

التفت حامد الي صاحبه ، فقال له :

أما نحن فنقول بأن ابتداء تاريخ الغيبة الصغري هو 062 ه باتفاق الشيعة أجمع وسائر من أرخ لتاريخ الغيبة في ما اطلعنا عليه . ولعل ما ورد في الأعلام من غلط المطبعة ؛ لأن الزركلي لم يكتب سنة الغيبة كتابة بل رقما ، واحتمال الغلط في طباعة الارقام ممكن جدا .

- ؟ !

- وإلي غير هذا من الاعترافات الكثيرة الأُخري التي ليست هي تحت اليد ، او لا يسعنا الوقت لعرضها أو مناقشتها .

وقبل ان يوجه اليه سؤالا اخر .. ليجعل منه سؤاله الاخير مثلا ، ذلك ان الوقت اخذ يضيق ، لان الليل جعل يتأخر بساعاته الطوال .. اغتنم

1- الاعلام 6 : 80.

حامد فرصة ان يعرض علي نفسه احدي الاسئلة المشوقة لصاحبه ، كيما يكفيه عناء التفكير بسؤال ربما لم يتهيأ له في الوقت الحاضر . فقال له والحضور من حوله يتشوف جميعه الي مراقبة ومعرفة نهاية هذه المجادلات العلمية :

– هل لك ان تسمع باعتراف علماء اهل السُنّة بان المهدي هو ابن العسكري

– عظيم ، يسـرني ان اصـغي الي ما تقول .. اني لاعترف باني معجب بك وبما اجتمع في سـريرتك ، وما قرّ لديك من عقلية فذّة ، لا تجتمع وسنك المبكرة ..

قال حامد ، وقد شكر الله علي ما اسعفه به الحظ من قبول صاحبه هذا ، الاستماع الي عرضه والانتهاء من هذه المناظرة :

– وهناك اعترافات أُخري من علماء وأفاضل أهل السنة بخصوص

كون المهدي الموعود بظهوره في آخر الزمان انما هو محمد بن الحسن العسكري الامام الثاني عشر من أئمة أهل البيت . .

– حقا ؟ !

بينما تابع حامد كلامه ، والشوق يحدوه الي التأمل بأن يكون الاعتقاد بامامة اهل البيت قد نفذ الي قلب رفيقه هذا :

– نعم ائمـة اهل البيت ، الـذين هم أئمة للمسـلمين جميعا ، لا للرافضة وحدهم كما يدعيه البعض مع الاسف الشديد (بينما كان صاحبه ينشـر صـفحة من ابتسامة ، عامت فوق شـفتيه رغما عنه) وكأن النبي صلي الله عليه و آلهأوصي (الرافضة) وحدهم بالتمسك بالثقلين كتاب اللّه وعترته أهل بيته عليهم السلام !

– ؟ !

– وعلي أية حال فاننا سوف أذكر بعض من أنصف وصرح بالحقيقة وهم محيي الدين ابن العربي ، المتوفي عام 386 ه(1)

، وكمال

الدين محمد بن طلحة الشافعي المتوفي سنة 265 ه(2) ، وسبط بن

1– صـرح بهذه الحقيقة في كتابه الفتوحات المكيّة في الباب السادس والستين وثلاثمائة في المبحث الخامس علي ما نقله عنه عبد الوهاب بن أحمد الشـعراني الشافعي (ت/973 ه) في كتـابه (اليـواقيت والجواهر) ، كمـا نقـل قوله الحمزاوي في (مشـارق الانـوار) ، والصـبان في (اسـعاف الراغبين) ، ولكن من يـدّعي الحفـاظ علي التراث سوّلت له نفسه حـذف هـذا الاعتراف من طبعات الكتاب اذ لايوجـد في الباب المذكور – كما تتبعته بنفسـي – ما نقله الشعراني عنه ، فقال : «وعبارة الشيخ محييالدين في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات : واعلموا أنّه لابدّ من خروج المهدي ، ولكن لايخرج حتي تمتليء الأرض جورا وظلما فيملأها قسطا وعدلاً ، ولو لم يكن من الدنيا إلاّ يوم واحـد طوّل اللّه تعالي ذلك اليوم حتي يلي ذلك الخليفة ، وهو من عترة رسول اللّه ، من ولد فاطمة ، وجدّه الحسـين بن علي بن أبي طالب ، ووالـده حسن العسـكري ابن الامـام علي النقي...» . اليواقيت والجواهر / الشـعراني 2 : 143 مطبعة مصـطفي البابي الحلبي بمصـر لسنة 1378 ه – 1959 م.

2– قال في كتابه مطالب السؤول : «أبي القاسم محمد بن الحسن الخالص بن عليّ المتوكل ابن القانع بن علي الرضا بن موسـي الكاظم بن جعفر الصادق بن محمـد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسـين الزكي بن علي المرتضـي أمير المؤمنين بن أبي طالب، المهدي، الحجة، الخلف الصالح، المنتظر . ورحمة اللّه وبركاته» . ثم أنشد أبياتا ، مطلعها : فهذا الخلفُ الحجّةُ قد أيَّدَه اللّهُ هذا منهج الحقِّ وآتاهُ سـجاياهُ . مطالب السؤول 2 : 79 باب 12 .

الجوزي الحنبلي الذي مات عام 654 ه(1)

، ومحمد بن يوسف أبو عبداللّه الكنجي الشافعي ، المقتول سنة 865 ه(2)

، ونور الدين علي بن محمد بن الصباغ المالكي ، المتوفي عام 558 ه(3)

، والفضل بن

روزبهان المتوفي بعد سنة 909 ه(4)

، وشمس الدين محمد بن طولون

1- قال في تذكرة الخواص عن الامام المهدي : « هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسي الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكنيته أبو عبداللّه ، وأبو القاسم ، وهو الخلف الحجة ، صاحب الزمان ، القائم ، والمنتظر ، والتالي ، وهو آخر الأئمة » . تذكرة الخواص : 363 .

2- قال في آخر صحيفة من كتابه كفاية الطالب عن الامام الحسن العسكري ما نصه : «مولده بالمدينة في شهر ربيع الآخر ، من سنة أثنتين وثلاثين ومائتين ، وقبض يوم الجمعة لثمان خلون من شهر بيع الأول سنة ستين ومائتين ، وله يومئذٍ ثمان وعشرون سنة ، ودفن في داره بسُرَّ من رأي في البيت الذي دُفن فيه أبوه ، وخلف أبنه وهو : الامام المنتظر صلوات اللّه عليه . ونختم الكتاب ونذكره مفردا» . ثم أفرد لذكر الامام المهدي محمد بن الحسن العسكري كتابا أطلق عليه اسم : «البيان في أخبار صاحب الزمان» وهو مطبوع بنهاية كتابه الأول كفاية الطالب وكلاهما بغلاف واحد ، وقد تناول في البيان أُمورا كثيرة كان آخرها إثبات كون المهدي حيّا باقيا منذ غيبته إلي أن يملأ الدنيا بظهوره في آخر الزمان قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا . البيان في أخبار صاحب الزمان : 521 باب 25.

3- عنون الفصل الثاني عشر من كتابه : الفصول المهمة بعنوان : «في ذكر أبي القاسم الحجة ، الخلف الصالح ، ابن أبي محمد الحسن الخالص ، وهو الامام الثاني عشر» . وقد احتج بهذا الفصل بقول الكنجي الشافعي : «ومما يدلّ علي كون المهدي حيّا باقيا منذ غيبته إلي الآن ، وإنّه لا امتناع في بقائه كبقاء عيسي بن مريم والخضر والياس من أولياء اللّه ، وبقاء الاعور الدجال ، وابليس اللعين من أعداء اللّه ، هو الكتاب والسنة» ثم أورد أدلته علي ذلك من الكتاب والسنة ، مفصلاً تاريخ ولادة الامام المهدي 7 ، ودلائل إمامته ، وطرفا من أخباره ، وغيبته ، ومدة قيام دولته الكريمة ، وذكر كنيته ، ونسبه ، وغير ذلك مما يتصل بالامام المهدي محمد بن الحسن العسكري . الفصول المهة لابن الصباغ المالكي : 287 - 200.

4- قال في كتابه : ابطال الباطل كلاما جليلاً بحق أهل البيت ثم قال : «ونعم ما قلت فيهم منظوما : سلام علي المصطفي المجتبي سلام علي السيد المرتضيسلام علي ستنا فاطمة من اختارها اللّه خير النساسلام من المسك انفاسه علي الحسن الألمعي الرضاسلام علي الأورعي الحسين شهيد يري جسمه كربلاسلام علي سيد العابدين علي بن الحسين المجتبيسلام علي الباقر المُهتدي سلام علي الصادق المُقتديسلام علي الكاظم المُمتحن رضيّ السجايا إمام التُقيسلام علي الثامن المؤتمن عليّ الرضا سيد الأصفياسلام علي المتّقيّ النّقيّ محمد الطيِّب المُرتجيسلام علي الأريحيّ النقي عليّ المُكرّم هادي الوريسلام علي السيد العسكري إمام يجّهزُ جيشَ الصفاسلام علي القائم المنتظر أبي القاسم العرم نور الهديسيطلع كالشمس في غاسقٍ ينجيه من سيفه المُنتقيقويّ يملأ الأرضَ من عدله كما ملئت جور أهل الهويسلام عليه وآبائه وأنصاره ، ما تدوم السما» . دلائل الصدق / المظفر 2 : 574 - 575 من المبحث الخامس علما بأن الشيخ محمد

حسن المظفر نقل في كتابه دلائل الصدق كتاب (إبطال الباطل) بتمامه .

الحنفي مؤرخ دمشق ، المتوفي سنة 359 ه(1) ، وأحمد بن يوسف أبو العباس القرماني الحنفي ، المتوفي عام 1019 ه(2)

، وسليمان بن

1- قال في كتابه الأئمة الاثنا عشر عن الامام المهدي : «كانت ولادته يوم الجمعة ، منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ولما توفي أبوه المتقدم ذكره (رضي اللّه عنهما) كان عمره خمس سنين» . الأئمة الاثنا عشر / ابن طولون الحنفي : 117 . ثم ذكر الأئمة الاثني عشر : وقال : «وقد نظمتهم علي ذلك، فقلتُ : عليك بالأئمة الاثني عشرْ من آل بيت المصطفي خير البشرْأبو تراب ، حسنٌ ، حسينُ وبغض زين العابدينَ شينُمحمد الباقرُ كم علمٍ دري ؟ والصادق ادع جعفرا بين الوريموسي هو الكاظم، وابنه عليٌّ لقّبه بالرضا وقدرُهُ عَلِيُّمحمد التقيّ قلبه معمورُ عليٌّ النقيُّ دُرُّهُ منثورُوالعسكريُّ الحسنُ المطهَّرُ محمد المهديُّ سوفَ يظهرُ» . الأئمة الاثنا عشر : 118 .

2- قال في كتابه (أخبار الدول وآثار الأُوَل) في الفصل الحادي عشر : «في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح» : «وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، أتاه اللّه فيها الحكمة كما أوتيها يحيي صبيا . وكان مربوع القامة ، حسن الوجه والشعر ، أقني الانف ، أجلي الجبهة... وأتفق العلماء . انظر الي قوله : واتفق العلماء وقارن بما يدعيه انصاف المتعلمين وبعض المغرر بهم من مزاعم باطلة تحت شعارات التصحيح. علي أنّ المهدي هو القائم في آخر الوقت، وقد تعاضدت الاخبار علي ظهوره ، وتظاهرت الروايات علي اشراق نوره، وستسفر ظلمة الأيام والليالي بسفوره ، وينجلي برؤيته الظلم انجلاء الصبح عن ديجوره ، ويسير عدله في الآفاق فيكون أضوء من البدر المنير في مسيره» . أخبار الدول وآثار الأُوَل / القرماني : 353 - 354 ، الفصل / 11 .

ابراهيم المعروف بالقندوزي الحنفي ، المتوفي عام 1270 ه(1)

واذا كـانت اقـداح الشـاي الحـار تتنـاوب الحضور والمغـادرة ، كان الجمع فقط هو الـذي يتمتع بارتشاف ما فيها واحتسائه .. ولم يكن من نصيب حامد وسلمان سوي بسط هذه المعارف والعبّ منها .

سفر يسافر الي احدي المدن ... فيلتقي هناك احدهم ... بينما ذهب

حامـد الي توضـيح مقالات كل من اشار اليهم من هؤلاء كان للحضور ان يطالبونهما بالكف عن مواصـلة الحـديث ، وضـرورة تأجيله الي وقت اخر .. بيد ان حامد كان قد اصـر في نفسه علي اسـماع سلمان آراء هؤلاء الذين يعتد هو ومن معه بهم ... حتي افحمه واقنعه بما ابداه من رأي استند في الاستدلال عليه الي كلمات ونظرات من يوثقهم سلمان ومذهبه . حتي قال حامد لسلمان :

– واذن ، أكتفي بهـذا القـدر ، علي أن ما تركته من اسـماء العلماء الـذين قالوا بولادة الامام المهـدي ، أو الـذين صـرحوا بكونه هو المهدي الموعود المنتظر في آخر الزمان هم اضعاف ما ذكرته ، وقد أشرت في البداية الي الاستقراءات السابقة التي اعتنت باعترافاتهم

1– كان القندوزي من علماء الاحناف المصـرحين بولادة الامام المهدي وإنّه هو القائم المنتظر ، وقد مرت أقواله واحتجاجاته كثيرا في هذا البحث ولابأس بذكر قوله : «فالخبر المعلوم المحقق عند الثقات أن ولادة القائم كانت ليلة الخامس عشـر من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين في بلدة سامراء» . ينابيع المودة 3 : 114 في آخر الباب / 79 .

وسجلت اقوالهم .

(26)

وذات اصـيل ، جلس حامد لوحده مختليا بنفسه في الغرفة ، كان يستمع الي المذياع بصوت خفيض .. كان هادئا بكل ما فيه .. حتي افكاره كانت مشـبعة بارض خصـبة من السـكينة ، لـم يـدر كيف دخلت الي قلبه مثل هـذه الايحاءات الحانيـة حتي جعلت منه مخلوقا طافيا فوق سطح بحر من الهدوء والطمأنينة . عندها قطعت عليه سـميرة وحي استرسالاته ، وذلك بعد ان اقتحمت عليه الغرفة ، وقوضت اركان عزلته ، قالت له ، ان سلمان علي الهاتف .

– ماذا ؟

– سلمان وراء الخط ، يرغب في الحديث معك ...

واذا بالمناظرة غير المرتقبة تعلن عن نفسها ، وذلك بعد ان ودَعَت كل مصاريعها مشرعة .. حتي كان للمجلس ان يتكرر وجه الحضور فيه ، فبدي علي محيا سلمان سيماء الغرور ، وكأنه اراد ان يتفادي ما كاله له حامد ، كيما يعتاض عما خسره بالامس ، فيكسبه في اليوم . فما كان

منه الاـ ان عرض عليه جملـة من الاسـئلة والشـبهات التي علقت الان في مخه ، وذلك حينما اتصل به هاتفيا ، كيما يجمع حامـد سلسـلة اجاباته عنها وردوده حولها . واذا بسلمان يبادر حامد بالسؤال :

– هل يمكنك ان تخبرني عن سبب خلو الصحيحين من أحاديث المهدي ؟

واذا كان صخب بعض حديث من كان حاضرا من الجمع ، قد غطي المكان ، لم يقو حامد علي سماع كلام سلمان وبصورة جيدة وواضحة . فاستفسر منه متسائلا وعلي الفور :

– المعذرة ، لم أفهم ما قلت ؟

– قصدت ان البخاري ومسلما لم يرويا حديثا في الامام المهدي (1)

. فالي ماذا يمكن ان توعزه وبنظرك ؟ !

أمعن حامد في وجه صاحبه ، واخذ ينتقي ما يريد قوله بهدوء :

– قبل مناقشة هذا الامر أود التأكيد علي أُمور (جعل يتصفح

مفكرته من جديد ، حيث كان ثمة ما اعده لمثل هذه الجلسة) : الامر الأول ، فيالصحيح المنقول عن البخاري انه قال عن كتابه الصحيح :

أخرجت هذا الكتاب عن مائة الف حديث صحيح – وفي لفظ آخر :

1– انظر : الامام الصادق / أبو زهرة : 238 – 239، المهدي والمهدوية / أحمد أمين : 41.

عن مائتي ألف حديث صحيح – وما تركته من الصحيح أكثر ، فالبخاري اذن لم يحكم بضعف كل حديث لم يروه

– واذن ؟

– بل ما حكم عليه بالصحة يزيد علي مجموع ما أخرجه عشرات المرات .

– والثاني ؟

– أما الثاني ، فانه لا يعرف عالم من أهل السنة قط ، قد قال بضعف ما لم يروه الشيخان . بل سيرتهم تدل علي العكس تماما فقد استدركوا علي الصحيحين الكثير من الاحاديث الصحيحة ووضعوا لأجل ذلك الكتب .

– والثالث ؟

– بينما كان الامر الثالث يقول انه ومن مراجعة تعريفهم للحديث الصحيح لا تجده مشروطا بروايته في الصحيحين أو أحدهما ، وكذلك الحال في تعريفهم للخبر المتواتر،

– ؟ !

– ومن هنا يعلم انه ليس من شرط صحة الخبر أو تواتره ان يكون راويه البخاري أو مسلما أو كلاهما ، بل وحتي لو اتفق البخاري

ومسلم علي عدم رواية خبر متواتر، فلا يقدح ذلك الاتفاق بتواتره عند أهل السنة .

- كيف يمكن التمثيل لذلك ؟

- ان خير ما يمثل هذا هو حديث العشرة المبشرة بالجنة ، كما هو معلوم عند أهل السنة الذين ذهبوا إلي تواتره ولم يروه البخاري ولا مسلم قط . والامر الرابع الذي اريد التنويه به هو إن من تذرع في انكار ظهور الامام المهدي بخلو الصحيحين من الأحاديث الواردة بهذا الشأن، لا يمكنه ان يدعي الاحاطة والعلم بواقع الصحيحين كما سأوضحه في جواب هذا الاحتجاج

وهنا بدت علامات التساؤل والانتباه علي محيا صاحبه سلمان ، فقال حامد متابعا حديثه :

- وعليه ، فنقول : انه لا يخفي علي أحد ، ان الاحاديث الواردة في الامام المهدي قد تعرضت لبيان مختلف الأُمور كبيان اسمه الشريف ، وبعض أوصافه ، وعلامات ظهوره ، وطريقة حكمه بين الرعية وغير ذلك من الأُمور الكثيرة الأُخري .

- والتنصيص علي اسمه ؟

- ولا شك أنه ليس من الواجب التنصيص علي لفظ (المهدي) في

كل حـديث من هذه الاحاديث، لبدهية معرفة المراد من دون حاجة إلي التشـخيص . فمثلاً لو ورد حديث يبين صـفة من صـفات المهدي الموعود به في آخر الزمان مع التصـريح بلفظ (المهـدي) . ثم ذكر الموصوف بهذه الصـفة في البخاري مثلاً لا بعنوان المهدي وانما بعنوان (رجل) مثلاً فهل يشك عاقل في أن الرجل المقصود هو المهدي ؟

- ؟ !

- وإلاّ ، فكيف يعرف الاجمال في بعض الأحاديث ؟ ، وهل هناك طريقة عند علماء المسـلمين شـرقا وغربا غير رد المجمل إلي المفصـل سواء كان المجمل والمفصل في كتاب واحد أو كان كل منهما في كتاب .

- وعليه ، فهل تدعي ان الصحيحين قد انطويا علي احاديث بهذا الشأن ؟ !

- بكل تأكيد ! فاذا ما عدنا إلي الصـحيحين ، فاننا سـنجد ان البخاري ومسلما قد رويا عشرات الاحاديث المجملة في المهدي ، وقد أرجع علماء أهل السنة تلك الاحاديث إلي الامام المهدي لوجود ما يرفع ذلك الاجمال في الاحاديث الصحيحة المخرجة في بقية كتب

الصحاح أو المسانيد أو المستدركات . بل ونجد أيضا ما يكاد يكون صريحا جدا بالامام المهدي في صحيحي البخاري ومسلم .

– هل يمكنك دعم هذا الادعاء ؟

– قبل ان أبين هـذه الحقيقـة ، أودُّ ان أقول بأنّ حـديث : المهـدي حق ، وهو من ولـد فاطمة قد أخرجه أربعة من علماء أهل السـنة الموثوق بنقلهم عن صحيح مسلم صراحة .

– الا انه وعند الرجوع . .

قاطعه حامد قائلا :

– أجل ، فانه وعند الرجوع إلي طبعات صحيح مسلم المتيسرة لا تجد لهذا الحديث أثرا ! !

– ومن هم الذين صرحوا بوجود الحديث في الصحيحين ، هل يمكن ان تذكر لي بعضا منهم ؟

– أما من صـرّح بوجود الحديث في صحيح مسلم وأخرجه عنه فهم : ابن حجر الهيثمي المتوفي عام 497 ه ، وذلك في الصواعق المحرقة ، الباب الحادي عشر ، الفصل الأول : ص 361 . والثاني هو المتقي الهندي الحنفي المتوفي عام 597 ه ، وذلك في كنز العمال ج 41 ص 642 حديث 26638 . أما الثالث ، فهو الشيخ محمد علي

الصبان المتوفي عام 6120 ه ، كما في اسعاف الراغبين ص 451 . والرابع هو الشيخ حسن العدوي الحمزاوي المالكي ، المتوفي عام 1303 ه ، حيث صرح بذلك في مشارق الانوار : ص 112 .

- ؟ !

- وعلي أية حال فإنّ قسما من أحاديث الصحيحين لا يمكن تفسيره إلاّ بالامام المهدي عليه السلام .

- هل هذا يعد اجتهادا من طرفكم في فهم هذه المسائل ؟

- انه لم يكن هذا اجتهادا منّا في فهم أحاديث الصحيحين ، وانما هو ما اتفق عليه خمسة من شارحي صحيح البخاري كما سأوضحه لك في محله .

- هل يمكن ان توضح لنا ما تشير اليه في كلامك هذا ؟

- لقد اقتصر البخاري في صحيحه علي رواية خروج الدجال وفتنته(1)

. بينما وردت في صحيح مسلم عشرات الاحاديث في خروج الدجال ، وسيرته ، وأوصافه ، وعبثه ، وفساده ، وجنده ، ونهايته(2)

.

وفي هذه الاثناء انضمت الي الاجتماع ليلي اخت سميرة زوجة حامد ، كان يراقبها حامد ويتطلع الي ما تريد ان تفوه به قبل ان تخبره

1- صحيح البخاري 4 : 205 كتاب الانبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل و9 : 75 كتاب الفتن باب ذكر الدجال .
2- صحيح مسلم بشرح النووي 18 : 23 و 58 - 78 كتاب الفتن واشراط الساعة.

به . كأنما شعر هو الاخر بأنها تريد ان تلج معترك السباق .. وتظهر حجم عضلاتها .. الا انه لم يعرها اهتماما واستاق كلمه يحدث صاحبه ، فقال له :

– وقد صرح النووي في شرح صحيح مسلم بأنّ هذه الاحاديث الواردة «في قصة الدجال ، حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده ، وانه شخص بعينه ابتلي اللّه به عباده – إلي أن قال – : هذا مذهب أهل السنة، وجميع المحدثين ، والفقهاء ، والنُّظار»(1)

.

– وما علاقة هذه الاحاديث بظهور المهدي ؟

تساءلت ليلي بتعجب ، اثار الاجواء اكثر من حوالي حامد ، حتي ان سلمان نفسه ، لم يكن ليتحسس مثل هذا المدد من قبل ، فالتفت اليها وهو يهز برأسه اشارة منه لتأكيد سؤالها وتأييدها عبر دعمه لها . أجابها حامد ، وهو يقول :

– ان هذه العلاقة لتظهر وبوضوح من شهادة اعلام أهل السنة بتواتر أحاديث المهدي وظهوره في آخر الزمان وخروج عيسي عليه السلام

معه فيساعده علي قتل الدجال، وقد مرّت اقوالهم في اثبات تواتر تلك الأحاديث .

1– صحيح مسلم بشرح النووي 18 : 58.

فقالت ليلي :

– هل يمكنك الاخبار عما ورد في الصحيحين مما يتعلق بنزول عيسي ؟

قال حامد :

– أخرج البخاري ومسلم كلٌ بسنده عن أبي هريرة انه قال : « قال رسول اللّه صلي اللّه عليه وسلم : كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ؟(1)

. وفي صحيح مسلم بسنده عن جابر بن عبداللّه قال : سمعت النبي صلي اللّه عليه وسلم: لا تزال طائفة من أُمتي يقاتلون علي الحق ظاهرين إلي يوم القيامة ، قال : فينزل عيسي بن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم تعال صلِّ لنا فيقول : لا، إنّ بعضكم علي بعض أمراء تكرمة لهذه الأُمّة(2)

.

فران علي ليلي وسلمان ليل من الصمت والهدوء .. بينما تعاود صوت حامد وهو يقول :

– وإلي هنا يتضح ان امام المسلمين الذي سيكون موجودا عند نزول عيسي بن مريم عليه السلام كما في الصحيحين انما هو أمير الطائفة التي

1– صحيح البخاري 4 : 205 باب ماذكر عن بني اسرائيل، وصحيح مسلم 1 : 136 / 244 باب نزول عيسي بن مريم عليه السلام، وقد وردت أحاديث اخري بهذا المعني في كل من البابين المذكورين.
2– صحيح مسلم 1 : 137 / 247 باب نزول عيسي عليه السلام.

لا تزال تقاتل علي الحق إلي يوم القيامة كما في صـحيح مسلم، بحيث يأبي عيسي من إمامة تلك الطائفة وأميرها في الصلاة تعظيما واجلالاً وتكرمة لهم وهذا هو صريح حديث مسلم من غير تأويل .

كان لابي سـميرة زوجة حامد ان يتأثر هو الاخر بهذه الاحاديث ، ودفعا لتفعيل آثار ونتائج مثل هذا التأثر ، كان له ان ينهض وينصـرف الي اعماله الخاصـة .. ولم يظهر منه ايما آيات ضـجر او تأفف ، بل كان نزيها في تملصه من بين الحضور الذي لم يشـعر بمغادرته الا زوجه ام سميرة ، والتي لم يكن لها ان تعي من الموضوع الا من يكون الفائز والخاسر ! قال حامد :

– واذا ما عدنا إلي كتب الصـحاح الأُخري والمسانيد وغيرها نجد الروايات الكثيرة جدا التي تصرح بأنّ هذا الامام – أمير الطائفة التي تقاتل علي الحق إلي يوم القيامة – هو الامام المهدي عليه السلاملاسواه .

– هل يمكن الاستشهاد ببعض منها ، وذلك للاستدلال علي ما تقول ؟

سأله سلمان ، اجاب حامد :

– اجل ، فمنها : ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن سيرين ، وذلك في المصنَّف 51 : 198 / 59419 .: المهدي من هذه الأئمة وهو الذي

يؤم عيسـي بن مريم . ومنها : ما أخرجه أبو نعيم عن أبي عمرو الداني في سـننه بسـنده عن حذيفة انه قال : «قال رسول اللّه صـلي الله عليه و آله: ... يلتفت المهدي وقد نزل عيسـي ابن مريم كأنما يقطر من شعره الماء ، فيقول المهدي : تقدم صلِّ بالناس ، فيقول عيسي : انما اقيمت الصلاة لك ، فيصلي خلف رجل من ولدي .

تساءلت ليلي :

- اين ورد هذا الاخير ، اين قلت ؟

- لقد ورد في الحاوي للفتاوي / السيوطي 2 : 81.

بينما تابع الحديث ، وهو يقول :

- وبعـد فلا حاجـة للاطالـة في ايراد الاحاديث الأُخري الكثيرة المبينـة بأنّ المراد بالامام في حـديث الصـحيحين هو الامام المهدي عليه السلام(1)

.

- وهل جمع احدهم مثل هذه الاحاديث ؟

استفسر سلمان ، فقال حامد :

- اجل ، فلقد جمع معظم هذه الاحاديث السيوطي في رسالته (العرف الوردي في اخبار المهدي) المطبوعة في كتابه الحاوي

1- راجع سنن الترمذي 5 : 152 / 2869 ، مسند أحمد 3 : 130 ، الحاوي للفتاوي 2 : 78 ، فيض الغدير للمناوي 6 : 17 .

للفتاوي ، 2 : 80 ، أخرجهـا من كتـاب الاـربعين للحافـظ أبي نعيم وزاد عليها ما فات منها علي أبي نعيم كالاحاديث التي ذكرها نعيم بن حماد الذي قال عنه السيوطي : «وهو أحد الأئمة الحفاظ ، وأحد شيوخ البخاري» .

- ؟ !

- أما ما اريد ان اقوله الان هو أن من راجع شروح صحيح البخاري يعلم بأنهم متفقون علي تفسير لفظة (الامام) الواردة في حديث البخاري بالامام المهدي .

هتفت به ليلي :

- كيف نستدل علي صحة ما تقول ؟

قال وهو يتابع رعشات انتفضت ما بين حاجبيها ، حاولت الانفلات من ابـدائها واضـحة ، بيد انها لـم تقو علي محوها .. فمضت تثير البصـر من ملاحقتها .. تخلي عندئذ حامد عن مطاوعتها بالنظر .. فقال :

- لقد جاء في فتح الباري بشـرح صـحيح البخاري التصـريح بتواتر احاديث المهدي اثناء شـرحه لحديث البخاري المتقدم حتي قال : وفي صلاة عيسـي عليه السـلام خلف رجل من هذه الأُمّة ، مع كونه في آخر الزمان ، وقرب قيام الساعة، دلالة للصحيح من الاقوال : إن الارض لا

تخلو عن قائم للّه بحجة(1)

.

اضاف قائلا ، بعد ان ارتشف رشفة من قدح ماء كان الي جانبه :

– كما فسره في ارشاد الساري بشرح صحيح البخاري بالمهدي ، مصرحا باقتداء عيسي بالامام المهدي عليهماالسلام في الصلاة(2)

. كما نجد هذا في عمدة القاري بشرح صحيح البخاري(3)

، وأما في فيض الباري فقد

أورد عن ابن ماجة القزويني حديثا مفسرا لحديث البخاري ثم قال : فهذا صريح في أن مصداق الامام في الاحاديث ، هو الامام المهدي – إلي أن قال : – وبأيّ حديث بعده يؤمنون ؟(4)

.

– ؟ !

بينما تملّي حامد جيدا في مفكرته ، وصار بعدها يعرض ما لديه من فكر ، صار يأخذ مأخذه في كل الحضور – الذي جعل يصير وكأن الطير علي رؤوسهم – لا سيما ليلي وسلمان . فقال :

– وأما في حاشية البدر الساري إلي فيض الباري فقد اطال في شرح الحديث المذكور مبينا ضرورة شارح الاحاديث إلي الرجوع

1– فتح الباري شرح صحيح البخاري 6 : 383 – 385.

2– ارشاد الساري 5 : 419 .

3– عمدة القاري بشرح صحيح البخاري 16 : 39 – 40 من المجلد الثامن.

4– فيض الباري علي صحيح البخاري 4 : 44 – 47 .

إلي أحاديث الصحابة الآخرين في كتب الحديث ذات الصلة بالحديث الذي يراد شرحه ، وقد جمع من تلك الاحاديث المبينة لحديث البخاري ما حمله علي التصريح بأن المراد بالامام هو الامام المهدي عليه السلام قال : وقد بين هذا المعني حديث ابن ماجة مفصلاً، واسناده قوي(1)

.

في حين كان الجدال مستعرا ، كانت سميرة ما تنفك تراقب زوجها بكل افتخار ، وكان لها ان تنسي انها سنية ، وان الذي يدافع عن مذهب الشيعة ما كان الا بعلها .. حتي كانت تزداد اعتزازا به واجلالا له .

تساءلت ليلي :

– هل لديك أشياء اخري مما يتعلق بالصحيحين ، او باحدهما ؟

– بكل تأكيد ، فلقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبداللّه انه قال : قال رسول اللّه صلي اللّه عليه وسلم: يكون في آخر أُمتي خليفة يحثي المال حثيا، لايعده عدا .

– اين ذكر في الصحيح وبأي شرح ؟

اجابها :

– بشرح النووي 18 : 38 .

1– حاشية البدر الساري إلي فيض الباري 4 : 44 – 47.

– وقد رواه من طرق أُخري عن جابر ، وأبي سعيد الخدري ، عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله كما في صحيح مسلم 18 : 39 . وصفة احثاء المال (مبالغة في الكثرة) ليس لها موصوف قط غير الامام المهدي عليه السلامفي

كتب أهل السنة ورواياتهم.

سأله سلمان :

– هل يمكن ان تذكر لنا نبذا منها ؟

– فمنها : ما أخرجه الترمذي في سننه 4 : 506 / 2232 . وحسّنه بسنده عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلي الله عليه و آلهقال : إنَّ في أُمتي المهدي – إلي ان قال – : فيجيء اليه الرجل فيقول : يا مهدي اعطني اعطني فيحثي المال له في ثوبه ما استطاع أن يحمله . وهذا هو المروي أيضا عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أيضا ومن عشرات الطرق .

– عشرات الطرق ، مثلا ؟

أجابه حامد :

– المصنف لابن أبي شيبة 15 : 196 / 19485 و 19486 ، ومسند أحمد 3 : 80 ، والمصنف لعبد الرزاق 11 : 371 / 20770، ومستدرك الحاكم 4 : 454، ودلائل النبوة للبيهقي 6 :

514، وتاريخ بغداد 10 : 48، وعقد الدرر للمقدسي الشافعي : 61 باب / 4 ، والبيان للكنجي الشافعي : 506 باب / 11، والبداية والنهاية 6 : 247 ، ومجمع الزوائد 7 : 314 ، والدر المنثور 6 : 58 ، والحاوي للفتاوي 2 : 59 و 62 و 62 و 64 .

بينما ارادت ليلي حرف دفة الحديث في داخل نطاق الموضوع ، فسألته قائلة :

- هل يمكن ان تخبرنا اليسير عن أحاديث خسف البيداء في صحيح مسلم ، او هل نص الصحيح عليها واخبر عنها او حتي نوه بها ؟ !

ود حامد لو يعرب لهما عن ضرورة توثيقهم لحالة اجمل من هذه التي يعتمدونها كيما يستفزونه .. وانه ليس بعالم في التاريخ او علوم الحديث او القرآن .. ودّ لو اعانا انفسهما عليها ، وطلبا منه العون ، او استمدا منه وجه الحب كيما ينبث كل ما لديه فينتشر بينهم اجمع ، لاـن المماطلة في السؤال ما كانت لتبعث في نفس حامد الاـ ان الاطراف المعنية ، اخذت تبحث عن معاني فوز او خسارة ، او ارهاق الخصم واخراجه من ساحة اللعب ، بدلا من ممارسة نوع من اللعب النزيه القائم علي عرض كافة القدرات الواقعية وبيان اصالة الطاقات الواعية

، وانصاف الحقيقة حتي وان كمنت خلف ستائر نسيان الازمنة العتيقة ، ومضارب قبائل القرون الخاليات .. في حين اسعفه الحظ ، حينما وجد انه قد دون بعض ما ارادته منه ليلي في هذا الخصوص . فقال :

– أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عبيد اللّه بن القبطية انه قال : دخل الحارث بن أبي ربيعة ، وعبداللّه بن صفوان ، وانا معهما علي أُم سلمة أُم المؤمنين ، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به – وكان ذلك في أيام ابن الزبير – فقالت : قال رسول اللّه صلي اللّه عليه وسلم : يعوذ عائذ في البيت ، فيبعث اليه بعث ، فاذا كانوا ببيداء من الارض خسف بهم .

– اين ورد هذا في الصحيح ، هل قيدت العنوان كيما اراجعه ؟

– انه في صحيح مسلم بشرح النووي 18 : 4 و5 و6 و7.

قالت ليلي ، بينما انبري سلمان فجأة ليعرب عن مسار آخر ، وهو يقول :

– لربما كان هذا الحديث من وضع الزبيريين أبّان ما كان من أزمة عبداللّه بن الزبير مع الامويين التي انتهت بقتله .

– لا .. لا يمكن هذا ، لان الواقع هو ليس كذلك ، او بالاحري هو ليس كما تتصور ، فلقد روي الحديث من طرق شتي عن ابن عباس ،

وابن مسعود ، وحذيفة ، وأبي هريرة ، وجد عمرو بن شعيب ، وأم سلمة ، وصفية ، وعائشه ، وحفصة ، ونفيرة امرأة القعقاع وغيرهم من كبار الصحابة ، مع تصحيح الحاكم لبعض طرقه علي شرط الشيخين .

- ؟ !

- كما في مسند أحمد 3 : 37، سنن الترمذي 4 : 605 / 2232، ومستدرك الحاكم 4 : 520 وتلخيص المستدرك للذهبي 4 : 205، وأخرجه أبو داود في سننه بسند صحيح كما نص علي ذلك في عون المعبود شرح سنن أبي داود 11 : 380 شرح الحديث 8426. وقد جمع السيوطي الكثير من طرق الحديث ومن رواه من الصحابة في الدر المنثور 6: 712 - 471 في تفسير الآية 15 من سورة سبأ. ومن بعد كل هذا كيف يمكن التشكيك في روايات وردت في صحيح كصحيح مسلم ، فان كان هذا التشكيك مفروغ منه فان هذا ليجعلنا نسحب مثله علي سائر الاحاديث ، والصحاح بنظركم تجلّ عن مثل هذه المؤاخذات .

- ؟ !

- وبالجملة فإنّ خسف البيداء يكون بالجيش الذي يقاتل الامام

المهـدي في لسان جميع الاحاديث الواردة في هـذا الشأن وهي تكفي لتوضـيح المراد بحـديث مسـلم ، قال في غايـة المأمول شـرح التاج الجامع للاصول 5 : 143 . وما سمعنا بجيش خسف به للآن ، ولو وقع لاشتهر أمره كاصحاب الفيل .

– واذن ؟

قالت ليلي ، اجابها حامد :

– واذن ، فلا بدّ من وقوع الخسف بأعداء المهدي ان عاجلاً أو آجلاً .

(27)

كان حامد قد اشتغل في ادارة اعمال ابيه منذ مدة ، اكتسب فيها المعلومات التي اضافها الي معلوماته التي اكسبه اياها اباه ، من قبل ، حينما كان يصـطحبه واياه الي مبني الشـركة ، او ما يتصل بها من شـعب وفروع ، فضـلا عن انه كان قـد صـنع منه شـخصا يعتمد عليه في الامور الطارئة ، الا انه كان يفضل ان يجزله لبّ ما يخلص من كل هذه الامور ، فيدعه وشؤونه التجارية كافة علي حالة من الاستظهار المفصح عن

كل حقائقها بحيث لا ينحسر شيء الا ويتجلي لحامد ما كان ومن اين انسحب ، ليكون ضلع العمل المتمم لمهامه التي ينبغي ان يضطلع بهـا ، بـل هو الضـلع الـذي لا يتكامل مثلث او مربع او مسـتطيل العمل الا به ! كـذلك اراده الاب في مثل هـذه اللحظات ، فكانت هـذه الاسـتعدادات السابقة قد كست حامد بشـيء من الاعتماد علي النفس ، اعانه في هذه الفترة لصـقل كل ما اكتسـبه في الماضي ، وحيث انه كان نابغة في العلوم الرياضـية ، اسـتطاع وباسرع وقت ولاكثر مما مضي ، ان يفيد من كل ما اراده له والده ان يتعرف عليه من شؤون العمل وما يتعلق بمعاملاته التجاريـة ، بحيث لو طرأ علي صـحة ابيه ، ومن بعـد اليوم ايما طاري ء او عارض صـحي وغيره ، لكان لحامد ان يأخذ مكان ابيه ، ويحل محله في محيط العمل ، ومن دون ان يمس قالب مساره ايما تقهقر او تردّي يفصـح عن تدهور اوضاع الشـركة التجارية . فكان حامد قد اطلع في تلك الفترات الماضية علي كل صغيرة وكبيرة في شركته ، حتي اذا ما اراده اليوم وبهذا الشكل وهذه الصيغة ، وتحت مثل هـذا العنوان الصـريح : القائم باعماله ! فلم يكن ابوه ليـدع ايما شاردة او واردة في مهام اعماله الا أطلع حامد عليها . فسواء ما كان منه علي صعيد الاوراق المالية ، والاسهم والصكوك ورواتب العاملين ، والمعاملات

التجارية المتعلقة بالصادر والوارد ، وما يتصل بها من ضرائب وحسوم ، فضلا عن فنون التعامل ومسالك التجارة ، وكشف مهازل الخصوم ، والتعرف علي اساليب الغرماء ، وفضح ألاعيب المنافسين ، واماطة اللثام عن كل سر وخفاء ، بعيدا كان او قريبا .. هذا فضلا عن تغذيته بسبل الوعي الفني والعلمي بطرق الدعاية والاعلام ، ومعرفة الصديق من العدو ، والمنافق من المخلص ، والابتعاد عن الحرام والعمل بكل ما يرضي الله من حلال وطيب .. وعدم الانخداع والظلم ، أو الاغترار والوقوع في شَرَك الآخرين وفخاخ مخاريقهم . ومع كل هذا ، فانه ما كان وبعد هذا كله ، الا ان صار يقرأ في نفسه مؤاخذات عدة ، ليسجل بعدها في ذاته صحيفة من مستنذات ووثائق ينتقد فيها سياسة ابيه التجارية .. التي ما رآها الا منهجا يكاد يفتقر في بعض جزئياته الي الدقة او السلامة في التعامل .. الا انه آثر ان لا يضجر والده بمثل هذه الاشياء .. ولربما كان يشعر فيما صنعه ابوه من خلال تهيئته واعداده لمثل هذه الايام ، هو نوع من التدارك الذي ارتآه الاب ، كيما يعوض عن كل سالب ، كان قد أوقد لهبه في عرين شركته !

وعلي حين غرة ، جاء اليوم الـذي يجب فيه علي حامـد ان يتعلم كيف يتصـرف في رحلات السـفر التجارية .. وكيف يدخل في غمار تلك التعاملات ولو انه كان بعيدا عن هذا المحيط .. او ان توجهاته كانت تفرض عليه شيئا اخر .. الا انه آثر الحفاظ علي ميراث العائلة ، وبالتالي سيمكنه من خلال ذلك الوصول الي ما يطلب لانه تأكـد لـديه ما ورد عن المعصوم من ان هذا الدين لم يقم الا بسـيف علي بن ابي طالب وأموال خديجـة . وبالرغم من ان مثل هـذه الرحلات الاعمالية ما كانت لتسـجل رقمها الاول لدي حامد ، الا انها في هذه المرة كان لها ان تتقيـد بصور وصـيغ اخري ، لانها كانت تحمّل حامـد مشاق اكثر ومهام اعسـر .. وهي تحمل مسؤولية العقود ، لانه هو الذي صار يمضـي ويوقع علي المعاملات ، وبمشـهد من ابيه الذي كان يتطلع اليه بكل فخر وابهة ، وهو الذي كان يدرك حقيقة رغبات ولده ، الا انه هو الاخر كان يجد نفسه مرغما علي اقحام ولده في لجة هذه النشاطات كيما يقوم علي أود العائلة ونفسه وذريته في المستقبل .. فاذا ما اوكل

ص: 204

هـذه المهام الي غيره ، فعلي اقل التقادير ما عليه الا ان يفهم ماذا يفعل هـذا النائب عنه في شـركة ابيه واعماله التجاريـة .. فيـدرك ما يـدور حوله، ويفهم كيف يميز الخـبيث من الطيب ، ويعرف الصـدق من الكـذب كيمـا لاـ تسترق جهود ابيه ، وتختلس اموال العائلـة ، سواء في الوقت الحاضر ام في المستقبل !

وبعـد العودة من هـذه الرحلة ، كان لابيه ان يعرض لولده شـيئا من مناوراته أيام اسـتبصاره .. انه لم يتقدم به العمر فجأة ، بل ان زواجه كان متأخرا ، لـذا كان الابن البكر حامد يتطلع الي والده وقد اخذت سـنين العمر منه كل مأخذ ، هذا ان لم يحسب ايما حساب للشـيب الذي وخط رأسه ، وغزي مفرقه حتي استشري في معظمه . قال له :

– اني لاتذكر كيف كانت احدي جولات استبصاري .

– كيف يا ابي ..

كان الاب ينظر الي الابن ، وهو يشـعر كيف يحس ولـده الذي انقلب محياه فجأة .. فصار يستبشـر بما يود رب العائلة ان يطلعه عليه ، فهذا الاخر هو جزء من مناورات العمل الحياتية . قال الوالد :

– واحدة منها هي اني كنت اسمع عن ابن خلدون واخصه بكل عناية واهتمام ، وذلك من الناحية الفكرية والعلمية .. الا اني اكتشفت

بعد مداولات بحثية وسلسـلة من اللقاءات مع عقليات نافذة ، وقراءات ومطالعات اسـتنفدت فيها وقتا لا بأس به .. وبالرغم من ان الذي يود الاسـتبصار والتعرف علي الحقيقـة ، هو لربما كان في غنيً عن البحث فيها الا انه لا ادري وقتها ، ما الـذي كان يدعوني الي التنقيب عنها ، والوقوف عليها ، حتي قال لي احدهم ، وكان طالبا روحانيا :

– ان ابن خلدون هو ممن ساهم في التعمية ، واخفاء الكثير من الحقائق .

ثرت وقتهـا في وجهه ، واستحضـرت في ذهني ما كنت اسـمعه في ايام دراستي عنه تحت عنوان المؤرخ الكبير والعظيم .. فضـلا عما كان يطلع حيال بصـري في بعض الوقت من اعلانات خاصـة بمؤتمرات تتعلق به سواء من قريب او بعيد ، أو اسـمع الحديث عنه في المذياع او التلفاز .. هذا في الوقت الذي لا اعرف عنه ايما شـيء يمكّنني من ان اناجز الاخرين في الدفاع عنه ، او حتي ان احكي وانافح عنه . فقال لي الرجل :

– علي مهلك يا هذا ، انا لـم اقلّل من شأن الرجل ، بل ما اقوله هو انه قد خضع لوطأة سلطان الهوي ان لـم نقل سلطان الدولة .

قلت له :

- كيف ؟

فقال :

- لقد تذرع منكرو عقيدة ظهور الامام المهدي عليه السلام بتضعيفات ابن خلدون لبعض أحاديث المهدي، وللأسف إنهم لم يلتفتوا إلي ردود علماء الدراية من أهل السنة علي ابن خلدون، وتناسوا أيضا تصريح ابن خلدون نفسه أثناء تضعيفه لبعض الأحاديث الواردة في الامام المهدي بصحة بعضها الآخر.

فقلت له :

- لا افهم ما تقول ، اقصد لا ادركه علي وجه الدقة !

قال :

- يقول الاستاذ الازهري سعد محمد حسن - تلميذ الاستاذ أحمد أمين - عن أحاديث المهدي : ولقد أوسع علماء الحديث ونَقَدَتِه هذه المجموعة نقدا وتفنيدا ، ورفضها بشدة العلاّمة ابن خلدون(1)

. ومثل هذا الزعم نجده عند أُستاذه أحمد أمين(2)

، وكذلك عند أبي زهرة(3)

،

1- المهدية في الاسلام : 69.

2- المهدي والمهدوية : 108.

3- الامام الصادق : 239.

ومحمد فريد وجدي(1)

، وآخرين كالجبهان(2)

، والسائح الليبي الذي قال : وقد تتبع ابن خلدون هذه الأحاديث بالنقد ، وضعفها حديثا حديثا(3)

.

- والحقيقة اين تكمن ؟

قلت له ذلك ، أجابني حينها :

- انه مما لا شك فيه ، ان ابن خلدون نفسه من القائلين بصحة بعض أحاديث المهدي وضعف بعضها الآخر، وهذا لم يكن اجتهادا منا في تفسير كلام ابن خلدون بل الرجل صرّح بهذا في تاريخه كما سأوافيك بنقل نص كلامه . ويبدو لي أن الأُستاذ أحمد أمين لم يرَ تصريح ابن خلدون بصحة بعض الأحاديث، فأشار إلي تضعيفاته فقط، ثم نقل هؤلاء عنه ذلك مع صياغة جديدة في التعبير من دون مراجعة تاريخ ابن خلدون !

بينما عقب علي كلامه ، فقال :

- ثم لو فرضنا أن ابن خلدون لم يصرّح بصحة شيء من أحاديث

1- دائرة معارف القرن العشرين 10 : 481.

2- تبديد الظلام للجبهان : 479 - 480.

3- تراثنا وموازين النقد / علي حسين السائح الليبي : 185. مقال منشور في مجلة كلية الدعوة الاسلامية في ليبيا، عدد / 10 لسنة 1993 م - طبع بيروت.

المهدي ، أفلا يكفي تصـريح غيره من علماء الحديث والدراية بصحة أحاديث المهدي وتواترها ؟ مع أن اختصاص ابن خلدون هو التاريخ والاجتماع !! ثم ما هو المقدار الذي ضـعّفه ابن خلدون حتي يُضـخّم عمله بهذه الصورة ؟ إنه لم يضـعّف سوي تسـعة عشر حديثا فقط من مجموع ثلاثة وعشرين حديثا فقط، وهو المجموع الكلّي الذي تناوله ابن خلدون بالدراسة والنقد ، لا أكثر ، وهو لم يذكر من الذين أخرجوا أحاديث المهدي غير سبعة فقط وهم : الترمذي ، وأبو داود ، والبزّار ، وابن ماجة ، والحاكم ، والطبراني ، وأبو يعلي الموصلي(1)

،

تاركا بـذلك ثمانية وأربعين عالما ممن أخرج أحاديث المهدي أولهم ابن سـعد صاحب الطبقات المتوفي عام 230 ه ، وآخرهم نور الدين الهيثمي المتوفي عام 807 ه .

- تاركا الاشارة الي كل هذا العدد الهائل من العلماء ؟

- وليس هذا فقط ، بل انه لم يذكر من الصحابة الذين أُسندت إليهم أحاديث المهدي إلاّ أربعة عشر صحابيا(2)

، تاركا بذلك تسـعة وثلاثين صـحابيا آخر . علما بأنه لم يذكر من أحاديث الصـحابة الأربعة عشر إلاّ اليسير جدا، بحيث تتبعنا مرويات أبي سعيد الخدري وحده -

---

1- تاريخ ابن خلدون 1 : 555، الفصل/ 52.

2- تاريخ ابن خلدون : 556 .

وهو من جملة الاربعة عشر – فوجدناها أكثر من العدد الكلي الذي تناوله ابن خلدون. بل وحتي الذي اختاره من أحاديث أبي سعيد الخدري لم يذكر سائر طرقه بل اكتفي باليسير منها لعدم علمه ببقية طرق الحديث الأُخري، ومن راجع ما ذكرناه من طرق أحاديث المهدي وقارنه بما في تاريخ ابن خلدون – الفصل 25 من المجلد الأول – عَلِمَ علم اليقين بصحة ما نقول .

– وبذلك كان له ان يتعرض الي النقد والمؤاخذات ؟

– بالضبط ! فانه ومن هنا ، كان قد تعرض ابن خلدون إلي مؤاخذات عنيفة ، وردود مطوّلة ومختصره، وفي هذا الصدد يقول أبو الفيض الشافعي في (ابراز الوهم) في الرد علي من تذرّع بتضعيفات ابن خلدون : في الناس اليوم ممن يخفي عليه هذا التواتر ويجهله ويبعده عن صراط العلم جهله ، ويصدّه من ينكر ظهور المهدي وينفيه ، ويقطع بضعف الأحاديث الواردة فيه ، مع جهله بأسباب التضعيف ، وعدم إدراكه معني الحديث الضعيف ، وتصوره مبادي ء هذا العلم الشريف ، وفراغ جرابه من أحاديث المهدي الغنية بتواترها عن البيان لحالها والتعريف ، وإنما استناده في إنكاره مجرد ما ذكره ابن خلدون في بعض أحاديثه من العلل المزوّرة المكذوبة ، ولَمَزَ به ثقات رواتها

من التجريحات الملفقة المقلوبة ، مع أنّ ابن خلدون ليس له في هذه الرحاب الواسعة مكان ، ولا ضرب له بنصيب ، ولا سهم في هذا الشأن ، ولا ـ استوفي منه بمكيال ولا ـ ميزان . فكيف يعتمد فيه عليه ، ويرجع في تحقيق مسائله اليه ؟ ! فالواجب : دخول البيت من بابه ، والحق : الرجوع في كل فن إلي أربابه ، فلا يقبل تصحيح أو تضعيف إلاّ من حفّاظ الحديث ونقّاده(1)

. ثم نقل بعد ذلك عن جملة من حفّاظ

الحديث ونقّاده قولهم بصحة أحاديث المهدي وتواترها .

واذكر حينها (تابع الاب كلامه) ان الرجل كان يستطرد في كلامه ، فكنت اشعر به كما لو كان روح من التوتر قد ألتمس له مخرجا في سحنة وجهه ، ووجد اليه منفذا وسبيلا حتي تمكن منه ! كأني انظر اليه الان كيف كان يتحدث ، بالرغم من اني وقتها اشرت عليه بذلك ، واخبرته بضرورة عدم الانفعال ، لان ثورة الباحث ربما جنت عليه ، فاضاعت عليه تقصي الحقيقة واستجلاء غوامض الواقع .. كما يمكن ان تجني علي التجار في خضم اعمالهم ، فتحرق في ساعات ما بنوه في اعوام ، فاستجاب لي ونزل عند رغباتي حتي عاد الي كلامه وهو يقول :

1- البزار : 443.

وقال الشـيخ أحمـد شاكر : ابن خلـدون قـد قفا ما ليس له به علم ، واقتحم قحما لم يكن من رجالها ، انه تهافت في الفصل الـذي عقده في مقدمته تهافتا عجيبا ، وغلط أغلاطا واضـحة . إنّ ابن خلدون لم يحسن فهم قول المحدّثين ، ولو اطّلع علي أقوالهم وفقهها ما قال شـيئا مما قال(1)

. وقال الشيخ العباد : ابن خلدون مؤرخ وليس من رجال الحديث فلا يعتد به في التصحيح والتضعيف ، وإنما الاعتماد بذلك بمثل البيهقي ، والعقيلي ، والخطابي ، والذهبي ، وابن تيمية ، و . . . (توقف خلالها الاب عن الكلام ، كأنما كان يحاول ان يجتر ذاكرته ، ويسـتعيد تلك الايـام كيما يحضـر نصوص تلك المناقشات) و ..و .. أجل .. ابن القيّم ، وغيرهم من أهل الروايـة والدرايـة الـذين قالوا بصـحة الكثير من أحاديث المهدي(2)

.

فقلت له :

– والنتيجة ؟ !

فقال :

– وعلي أية حال فإنّ حجة المتمسكين بتضعيفات ابن خلدون ما

1– الرد علي من كـذب بالاحاديث الصـحيحة الواردة في المهدي : مقال للشـيخ عبد المحسن ابن حمد العباد ، منشور في مجلة الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة العدد / 1 السنة / 12 برقم 46 سنة 1400 ه .
2– المصدر السابق.

كانت الا حجة داحضة لاعتراف ابن خلدون نفسه بصحة أربعة أحاديث من مجموع ما ذكره

قلت له :

- هل تذكر منها ؟

قال :

- وهي : ما رواه الحاكم من طريق . .(1)

فقد سكت عنه ابن خلدون ولم ينقده بحرف واحد لوثاقة جميع رجاله عند أهل السنة قاطبة. وهو وإن لم يصرح بصحته إلاّ ان سكوته دليل علي اعترافه بصحة الحديث(2)

. وما رواه الحاكم أيضا من طريق . .(3)

عن أبي سعيد الخدري . قال عنه ابن خلدون : صحيح الاسناد(4)

. وما رواه الحاكم أيضا عن علي عليه السلامحول ظهور المهدي وصححه الحاكم علي شرط الشيخين . قال ابن خلدون : وهو إسناد صحيح كما ذكر(5)

. كذلك ما رواه أبو داود السجستاني في سننه من رواية صالح بن الخليل ، عن أُم سلمة . قال ابن خلدون عن سنده : ورجاله رجال الصحيح لا مطعن

1- عون الاعرابي عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري .
2- تاريخ ابن خلدون 1 : 564 من الفصل / 52.
3- سليمان بن عبيد ، عن أبي الصديق الناجي .
4- تاريخ ابن خلدون 1 : 564 .
5- تاريخ ابن خلدون 1 : 565 .

فيهم ولا مغمز(1)

.

ثم طلع علي الرجل بحسابات خاصة كشفت عن تعامل ابن خلدون مع الاخبار وكتب الحديث ..

قال حامد :

- كيف يا ابي ؟

سأطلعك عليها .. لا زلت احتفظ بها . . استنسختها منه آنئذ في جهاز الاستنساخ ولم استظهرها . وكانت هي عبارة عن خلاصة توصلاته التحقيقية ونتائج ابحاثه المرهقة - حسب ما ادعي ، بل ثمرة عمل ايام وليال طوال - .

- جميل حقا !

وبعد بحث عنيد عنها ، عثر عليها الاب أخيرا ، فسلمها الي ولده كيما يطالعها حتي تأكد لحامد مقدار دقة ابيه الذي احتفظ بمثل هذه النسخة التي لا ترتبط بأوراق عمله التجاري ! الا انه كذلك لم يخف حدسه في اسباب احتفاظ ابيه بمثل هذه النسخة ، فلربما فعل كذلك لاشتمالها علي لون من ألوان المعاملات الحسابية والمعادلات الرياضية .

1- تاريخ ابن خلدون 1 : 568 .

– سأفعل يا والدي .. سأطالعها .

انتهز حامد فرصة ما للنظر في هذه النسخة فوجدها تضمن حوارا علميا وجدلا عقليا فقرأ فيها :

إنَّ لغـة الارقام الحسابية لا تقبل نقاشا ولا جدلاً، وسوف نُخضع نتائج البحث في تضـعيفات ابن خلدون إلي تلك اللغة لنري القيمة العلمية لعمله علي جميع الافتراضات المحتملـة ، وذلك بعـد تصـنيف أحاديث المهـدي عليه السلامواسـتقرائها من ألف مجلـد كما في (معجم أحاديث المهدي) ويقع في خمسة مجلدات اشتملت علي مايأتي :

1 – المجلدان : (الاول والثاني)، اشـتملا علي (056) حديثا من الاحاديث المروية بطرق الطرفين والمسـندة جميعها إلي النبي صلي الله عليه و آله .

2 – المجلدان : (الثالث والرابع) ، اشتملا علي (687) حديثا ، اسندت إلي الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، واشترك أهل السنة برواية الكثير جدا منها مع الشيعة الامامية .

3 – المجلد الخامس، اشتمل علي (505) أحاديث ، وكلها من الاحاديث المفسِّرة للآيات القرآنية، وفي هذا المجلد تغطية وافية لجميع ما أورده المفسرون – من أهل السنة والشيعة – من أحاديث تفسيرية في الامام المهدي عليه السلام .

وبهذا يكون مجموع الاحاديث غير المفسرة للآيات (6341) حديثا ومع المفسِّرة سيكون المجموع (1419) حديثا. أما عن طرقها جميعا فلعلها تقرب من أربعة الاف طريق . فاذا علمت هذا ، فاعلم أخي الباحث أن :

1 – مجموع أحاديث المهدي عليه السلام التي تناولها ابن خلدون بالنقد هي (23) حديثا فقط .

2 – اسانيد هذه الاحاديث (28) اسنادا فقط .

3 – الصحيح منها باعتراف ابن خلدون كما مر أربعة أحاديث .

4 – الضعيف منها (19) حديثا فقط .

واذن : فأحاديث المهدي عليه السلام التي لم تتناولها دراسة ابن خلدون

هي (1918) حديثا منها (375) حديثا مسندا إلي النبي صلي الله عليه و آلهو(687) حديثا مسندا إلي أهل البيت عليهم السلام و(505) حديثا مفسِّرا للآيات الكريمة في المهدي عليه السلام . وبهذا يعلم ان العدد (23) لايشكل في الواقع إلاّ النسب التالية :

1 – 107,4 % من مجموع الاحاديث المسندة إلي النبي صلي الله عليه و آله .

2 – 016,1 % من مجموع الاحاديث المسندة إلي النبي وأهل البيت عليهم السلام.

ص: 216

3 – 418,1 % من مجموع سائر الاحاديث .

أما لو كان ابن خلـدون قـد تناول بالنقد جميع أحاديث الامام المهدي عليه السـلاملارتفع عدد الاحاديث الصـحيحه (وهو أربعة عنده من مجموع 23) إلي الارقام التالية طبقا للغة التناسب :

1 – (98) حديثا صحيحا، لو كان تناول بالنقد جميع ما أُسند إلي النبي صلي الله عليه و آله .

2 – (052) حديثا صحيحا ، لو كان تناوله لما أُسند إلي النبي وأهل بيته عليهم السلام .

3 – (338) حديثا صحيحا ، لو كان تناوله لسائر الاحاديث .

ولاـيخفي بأنّ العـدد الاول منها يكفي للحكم بتواتر احاديث المهـدي عليه السـلام . وأما عن الاحاديث المردودة عنـد ابن خلـدون ، فلو قيست بما لم يتناوله ابن خلدون، لكانت بالقياس إلي مجموعها تمثل النسب التالية :

1 – 392,3 % من مجموع الاحاديث المسنده إلي النبي صلي الله عليه و آله .

2 – 320,1 % من مجموع ما أُسند إلي النبي وأهل بيته عليهم السلام .

3 – 978,0 % من مجموع سائر الاحاديث .

وبعد.. فكيف يدّعي بأنّ ابن خلدون قد ضعف جميع أحاديث

المهدي عليه السلام؟ هذا مع ما تقدم عنه بأنّه من المصرحين بصحة بعض الأحاديث علي الرغم من قلة ما تناوله منها .

(29)

انسل سالم وحامد ومنذر – الذي كان يدين بالدين المسيحي – من خلال بوابة المدرسة .. توقف الثلاثة امامها .. كان حامد ينظر في ساعته ، بينما جعل سالم يراقب الطريق ، كأنما يترصد قدوم احدهم ، في حين علت وجه الثالث غبرة لم يعرف كيف يداويها فيخفي معالمها . سأله حامد بعد ان رفع نظره عن ساعته :

– أتشكو من شيء .

– لا .. لا أبدا .

فقال سالم :

– لكني اراه محقا .. انك غير طبيعي .. العرق يتصبب من جبينك . . هل نحملك الي طبيب او الي المستشفي او حتي مستوصف ..

– قلت لا .. اني بصحة جيدة ..

– اذن ، فما معني حالك هذا ؟

– انها وعكة ليست الا !

– وعكة . . ان كان حالك ليس علي ما يرام ، فلست مرغما في المجيء معنا ، .. هيه ، أقول : هل أوصلك الي المنزل ؟

– لا ، شكرا ، سأذهب انا لوحدي .. انه لن يأتي . . سأذهب اليه وآتي به .

قال حامد :

– اظن أنه سوف لا ينضم الينا في هذا اليوم .

تدخل رابع كان يقف علي مبعدة منهم ، فقال :

– من هو هذا الذي تنتظرون ؟

قال سالم :

– منير ! الي متي تريد البقاء هنا .. اقصد ، في هذا المكان ؟

– الي ما شاء الله .

– نحن سنذهب الي الملعب لمشاهدة المباراة ..

– مباراة كرة القدم ؟ .. أي مباراة هذه ؟ !

– انها مباراة ودّية تنظّم بين فريق المحافظة والمنتخب الوطني !

– كيف لم أسمع باقامتها .

واذا ما كانت عينا سالم تطوفان الاجواء وتحلقان كيفما اتفق لهما ،

كان له ان يرسم جواب صاحبه كيفما اتفق له ، فقال له

– انك عادة ما تكون مشغولا بالرسم والنحت وما شاكلهما .. اليس كذلك ..

– اجل ، دائما وبشكل موصول !

– أقول ، ستبقي اذن ، ولو حتي لدقائق .. فما عليك الا ان تخبر سمعان ..

– سمعان ؟

– سمعان .. صاحب ورفيق هذا الاخ .. منذر !

– أووه .. سمعان !

– فما عليك الا ان تخبره بان القوم كانوا في انتظارك ولما تأخرت عن المجيء ، سبقوك الي الملعب كيما يحتجزوا لهم ولك المقاعد المناسبة .

– ولماذا لا تنتظرون حتي يصل .

– ان الوقت متأخر ، ولربما ازدحمت مدرّجات الملعب ، فلا يبقي لنا محل نجلس فيه الا الدرج .

– قبل ساعتين من شروع اللعبة ؟

– انهم يقفون الان طوابير أمام باب الملعب . . ما الذي تقوله ؟

– وكيف لكم ان تهدروا كل هذا الوقت في سبيل لعبة ؟

– اقول : لا تنسي .. انا ذاهبون .. الي اللقاء ..

وفي الطريق أعاد سالم علي منذر رجاءه ، فقال :

– اكرر عليك .. ان كنت لا تتمتع بصحة جيدة ، فما عليك الا ان تضرب صفحا عن المجيء .. لاني اظن ان حالك سوف تسوء اكثر .

فقال حامد :

– اجل يا منذر .

توقف منذر ثم قال :

– اظنكما علي حق .. علي ان اتوجه الي المنزل .

– هل احملك الي المستوصف ؟

قال ذلك حامد ، اجابه منذر :

– لا ، لدي اقراص في المنزل ، يمكنني ان استفيد من بعضها .. الي اللقاء ..

فاشار سالم علي حامد :

– الحق به واوصله .. وانا سأذهب امامك ، وريثما تصل سأكون واقفا في الطابور .

وفي منتصف الطريق .. كان لمنذر ان يجدد اعتذاره لحامد الذي

انفق من وقته ما يسعه لمصاحبة منذر الي المنزل .. بينما عرض حامد لبعض الحديث عن قراءات منذر وساءله حتي كان من منذر ان يصل الي نقطة انفصال في بعض عباراته المقتضبة ، حتي كانت اشبه ما يكون بجمل فقدت تراكيبها بفضل تقاطيع خاصة ، ابتليت بها فاستلبتها بريقها اللامع . قال منذر :

– ولذلك كله ، فانا انكب الان علي قراءة الاناجيل كيما اتوصل الي طبيعة عودة عيسي وتخليصنا من هذه المأساة الاجتماعية وهذه المشكلات العالقة بل قل تلك المعضلات المستعصية والعويصة ، والتي لا أري لايما احد حتي ولو انفق الملايين من السنين ان يجد لها ايما حلّ جذري

قال حامد :

– أري ان لا تزحم نفسك بالكلام ، ان صحتك لا تساعدك .

– لا ، علي العكس ، فاني كلما افضيت بما في قلبي كان ذلك اهون علي نفسي .. لانها تكاد تنفجر بما تكلس فيها وران عليها .

– ماذا تقصد ؟

– اقول ، حتي المبشرين ألِفوا الحديث في هذا الباب .. حديث المخلّص والمنقذ للبشرية جمعاء .

– من تقصد ؟

– عيسي بن مريم !

– هل اراك تحصر المهدي بعيسي بن مريم ؟ . . المعذرة منذر .. ان اخوض في هذا الموضوع ، فان كنت لا تروم الحديث فيه ، فلندعه ...

– كلا .. ابدا .. فاني احب ان اسمع رأيك في الموضوع !

– كذلك انا !

– اما ما اردت قوله ، هو لا يتعلق بالكنيسة وكلامها ، بل ان ما سمعته وقرأته ، هو ان فريقا من المستشرقين وغيرهم كانوا قد استدلوا علي ظهور عيسي في آخر الزمان تحت عنوان منجي البشرية ومهديها ، وذلك بحديث من كتبكم الاسلامية .

راع حامد هذا الخبر ، اجابه بهلع :

– من كتبنا الاسلامية ؟

– اجل ! فها هو محمد بن خالد الجندي الذي صرح بحصر المهدي بنبي اللّه عيسي عليه السلام،

– اووه ، اني قد سمعت بهذا ، تصورت ان الامر جديدا علي .. وغير هذا .

– واذن ؟ !

– سألت عن هـذا الحـديث احـدهم .. اقصـد ممن يمكن أن يُشار لهم بالبَنان ، فقال لي : لم أجـد أحـدا تعرض لهـذا الحديث من علماء الاسـلام إلاّ وقـد سـخر منه وانتقـده، فهو مردود بالاتفاق، ولكي لا ينطلي زيفه علي أحـد . فسألته : وهل يمكنك بيان حقيقة ذلك ، فقال : الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه ، عن يونس بن عبد الأعلي ، عن الشافعي ، عن محمد بن خالد الجندي . . عن . . أووه تذكرت ! عن أبان بن صالح ، عن الحسن البصري ، عن أنس بن مالك . .

– ؟ !

– هـذه الاسـماء ربمـا تجهلها .. انها خطوط الوصل ما بين الناقل والمعصوم .. حتي قال : عن النبي صـلي الله عليه و آلهأنه قال : لا يزداد الأمر إلاّ شدّة ، ولا الدنيا إلاّ إدبارا ، ولا الناس إلاّ شُحّا ، ولا تقوم الساعة إلاّ علي شرار الناس ، ولا مهدي إلاّ عيسي بن مريم(1)

.

بينما تابع كلامه ، وهو يقول :

– وهذا الحديث لا يحتاج في رده وإبطاله إلي عناء ، اذ تكفي مخالفته لجميع ما تقدّم من الأحاديث المصـرّح بصـحّتها وتواترها ، ولو صحّ الاستدلال بكل ما يروي علي علاّته ، لكان علم الرجال وفن

1– سنن ابن ماجة 2 : 1340 / 4039، وقـد أخرج ابن ماجة نفسه حديث : «المهدي حق وهو من ولد فاطمة» 2 : 1368 / 4086 ، وقد سبق وان ذكرنا من صححه أو من صرح بتواتره من أهل السنة .

دراية الحديث لغوا يجلّ عنه علماء الاسـلام ، وكيف لا يكون كذلك ومعناه تصحيح الموضوعات ، والحكم علي الكذابين بأنّهم من أعاظم الثقـات ، وعلي المجاهيل بأنّهم من مشـهوري الرواة ، وعلي النواصب بأنّهم من السادات ؟ ! ولما كان في الاسـلام حـديث متواتر قط بعد خلط الثقة المأمون بالمجروح والمطعون ، ومزج الحابل بالنابل ، والسليم بالسقيم .

- وعليه ؟

- اقول هل لعاقل أن يصدق بدجّال من دجاجلة الرواة اسمه

محمد بن خالد الجندي ؟ وهو الذي وضع إلي الجند - مسيرة يومين من صنعاء - حديث الجند المشهور وضعه ، وهو : تُعمل الرحال إلي أربعة مساجد : مسـجد الحرام ، ومسـجدي ، ومسـجد الأقصـي ، ومسـجد الجند» . هذا ما ذكر في احد الكتب الاسـلامية ، وهو تهذيب التهذيب 9 : 512 / 202 . فانظر كيف حاول اسـتمالة قلوب الناس إلي زيارة معسـكر الجنـد بعـد أن مهّـد له بشدّ الرحال إلي المساجد الثلاثة المقدسة عند جميع المسلمين !

- وكيف لهذا الذي تذكره .. اقصد .. الاخر ؟

- ابن ماجة

– اجل ، كيف ينقله ويخرجه في .. في سننه ، علي ما تذكرون ؟

– انا الاخر اقول هذا وأستنكر عليه . فان العجب كل العجب من الحافظ ابن ماجة ، كيف انطلت عليه زيادة محمد بن خالد الجندي عبارة : ولا مهدي إلاّ عيسي بن مريم) في هذا الحديث، مع أن نفس هذا الحديث له طرق صحيحة أُخري لا توجد فيها تلك الزيادة، منها ما أخرجه الطبراني والحاكم . .

– الطبراني والحاكم ؟ !

– أووه ، لا يهمك . . بسندهما عن . . (ابتسم حامد وتابع الكلام) عن أبي أُمامة ، وبنفس ألفاظ حديث ابن ماجة لكن من غير عبارة ولا مهدي إلاّ عيسي بن مريم . وقد صححه الحاكم فقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه(1)

.

– واذن ، فالحديث مزور .. تقصد انه ملفقا .

– ولربما كانت هذه الزيادة فقط فيه موضوعة إن لم نقل انه مزوّر ! فلقد أورد الحاكم حديث ابن ماجة مع زيادته أيضا لكنه صرّح بأنّه إنما أورده في مستدركه تعجّبا لا محتجّا به علي الشيخين : البخاري ومسلم(2)

. وقد تناول اخر اسمه ابن القيم في كتاب له اسمه : المنار

1- مستدرك الحاكم 4: 440 كتاب الفتن والملاحم، وانظر المعجم الكبير للطبراني 8: 214 / 7757.

2- مستدرك الحاكم 4 : 441 – 442، كتاب الفتن والملاحم.

المنيف ، حديث : ولا مهدي إلاّ عيسي بن مريم . ونقل كلمات علماء أهل السنة بشأنه، وأنه مما تفرد به محمد بن خالد الجندي .

– من يكون هو هذا .. محمد بن خالد .. الجندي ؟

– لقـد نقل هذا نفسه .. اقصد ابن القيم عن الآبري المتوفي عام 363 ه ، قوله : محمد بن خالد – هذا – غير معروف عند أهل الصـناعة من أهل العلم والنقل . ونقل عن اخر اسـمه البيهقي ما قوله : تفرد به محمـد بن خالـد هذا، وقد قال الحاكم أبو عبداللّه : مجهول ، وقد اختلف عليه في إسناده ، فروي عنه ، عن أبان بن أبي عياش ، عن الحسن – مرسلاً – عن النبي صلي اللّه عليه وسلم . قال : فرجع الحديث إلي رواية محمـد بن خالد وهو مجهول ، عن أبان بن أبي عياش وهو متروك ، عن الحسن، عن النبي صـلي اللّه عليه وسـلم . وهو منقطع . والأحاديث علي خروج المهدي أصح إسنادا(1)

.

– ؟ !

– ونقل اخر يدعي بابن حجر قدح أبي عمرو، وأبي الفتح الأزدي

بمحمد بن خالد(2)

. وقال اخر يقال له الذهبي ما كلامه : قال الأزدي :

منكر الحديث ، وقال أبو عبداللّه الحاكم : مجهول ، قلت : حديث :

1– المنار المنيف : /129 324 و : 130 / 325.

2– تهذيب التهذيب 9 : 125 / 202.

لا مهدي إلاّ عيسي بن مريم ، وهو خبر منكر أخرجه ابن ماجة»(1)

. وقال القرطبي : فقوله : ولا مهدي إلاّ عيسي، يعارض أحاديث هذا الباب – ثم نقل كلمات من طعن بمحمد بن خالد وأنكر عليه حديثه – إلي أن قال – : والأحاديث عن النبي صلي اللّه عليه وسلم فيالتنصيص علي خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث ، فالحكم لها دونه(2)

.

– ؟!

– وقال ابن حجر : وصرح النسائي بأنّه منكر، وجزم غيره من الحفاظ بأنّ الأحاديث التي قبله – أي الناصّة علي أنّ المهدي من ولد فاطمة – أصح إسنادا(3)

. كما وصف اخر اسمه أبو نعيم في كتابه : الحلية ، هذا الحديث بالغرابة ، وقال : لم نكتبه إلاّ من حديث الشافعي(4)

. وقال ابن تيمية المعروف : والحديث الذي فيه : لا مهدي إلاّ عيسي ابن مريم ، رواه ابن ماجة ، وهو حديث ضعيف رواه عن يونس ، عن الشافعي ، عن شيخ مجهول من أهل اليمن ، لا تقوم

1– ميزان الاعتدال 3 : 535 / 7479.

2– التذكرة 2 : 701.

3– الصواعق المحرقة : 164.

4– حلية الاولياء 9 : 61 .

باسناده حجّة ، وليس هو في مسنده بل مداره علي يونس بن عبد الأعلي ، وروي عنه أنّه قال : حُدّثت عن الشافعي ، وفي الخَلَعِيّات وغيرها : حـدثنا يونس، عن الشافعي . لم يقل : حـدثنا الشافعي ، ثم قال عن حـديث محمد بن خالد الجندي : وهذا تدليس يدل علي توهينه ، ومن الناس من يقول : ان الشافعي لم يروه(1)

.

– واذن ، فانت تقول ان الحديث مطعون فيه ، وان عيسي بن مريم هو ليس مهدي اخر الزمان ؟ !

تطلع اليه حامد باريحية بهيجة ، رأي في وجهه علامات الغضب والازدراء ، بل المقت والضجر .. فقال له مبتسما :

– انه ولكثرة ما طُعن به محمـد بن خالـد الجنـدي حاول بعض أنصار الامام الشافعي أن يـدرأ عن الشافعي رواية هذا الحديث متهما تلميذ الشافعي بالكـذب في رواية هذا الخبر عنه ، عن محمد بن خالد الجندي ، مدّعيا أنّه رأي الشافعي في المنام وهو يقول : كذب عليَّ يونس بن عبد الأعلي ، ليس هذا من حديثي(2)

. وقد فنّد أحدهم يطلق عليه : أبو الفيض الغماري حديث : ولا مهدي إلاّ عيسي بن مريم ،

1- منهاج السنّة / ابن تيمية 4 : 101 – 102.

2- الفتن والملاحم / ابن كثير : 32 .

بثمانية وجوه هي في غاية الجودة والمتانة(1)

.

وعند الوصول الي داره ، كان حامد يفكر في ان ثمة وقت طويل وزمان عسير يمكن ان يقضي وطره ويطوي وقره مع منذر وكثيرين غيره ! دعا منـذر حامـد الي المنزل لضـيافته ، الا انه اعتـذر بضـرورة العودة الي الملعب ، فان سالم هو بانتظاره ثمّتَ ! ابتسم الاثنان وودعا بعضـهما البعض . فيما حاول حامد ان يجدد اعتذاره لمنذر حول ما بدر منه في تفصيل الحديث .. فقال له منذر :

– لاـعليك ، اني وان اغضب ، فلا يتملكني ايما حقـد ، او بغض ، بل اني لأهوي الـدراسات المنطقيـة ولو كان لها ان تنتهي علي حساب اهوائنا وآمالنا ، فان الرياح لا تجري بما تشتهي السَّفَنُ !

(30)

وفي اليوم الثاني ، وبعد انتهاء الحصة الاولي ، وانقضاء فرصة الاستراحة ، لجأ الطلاب الي الصفوف .. فقال سالم لحامد :

– لقد كان بيد المعاون مجلة ، طبعت علي غلافها صورة احدهم ،

1– إبراز الوهم المكنون : 538.

كتب تحتها : أنا المهدي .. أنا المنقذ !

– ماذا تقول ؟

– سألت الاستاذ المعاون عنه ؟

– قال : ان هـذا احـد الـذين ادعو المهدويـة وللتو .. وقـد جوبه بغضب عارم من قبل المحيطين به ، والمجلة عرضت تقريرا مفصـلا عنه .. ولربمـا عرض نفسه للمحاكمـة ! كتبوا يقولون : ان القاضـي يقول : إن لم يثبت لي انه مهـدي هـذه الامـة ، فسأزجّه في السـجن حتي يتوب ويرجع عما يقول !

عندها كان استاذ مادة الحصة الاتية قد حضر .. فكفّا عن الحديث ولاذا بالصمت .

وبعد انتهاء الدرس قال حامد لسالم :

– كيف يحتج المهدويون ؟ وبماذا يحتجون ؟

– يحتج اللامهدويون بدعاوي المهدوية في إنكار عقيدة ظهور الامام المهدي عليه السلام في آخر الزمان . .

– في إنكار عقيدة ظهور الامام المهدي عليه السلام في آخر الزمان ؟ !

– نعم ! كادعاء الحسنيين مهدوية محمد بن عبداللّه بن الحسن ، والعباسيين مهدوية المهدي العباسي ، ونحو ذلك من الادعاءات

الأخري كادعاء مهدوية ابن تومرت، أو المهدي السوداني ، أو محمد بن الحنفية رضي الله عنه .

– وعلي ماذا يمكن ان تبتني أسس هذا الاحتجاج ؟

أجابه سالم :

– ان هـذا الاحتجاج يبتني بالدرجـة الاساس علي قياس فكرة ظهور المهـدي بتلك الدعاوي المهدوية الباطلة، وليس هناك من ريب في ان هذا الادعاء هو مجرد اصطناع موازنة خادعة بين الباطل من جهة والحق من جهة أُخري ، ثم الخلط بين هذا وذاك .

– وكيف يمكن تفصيل ذلك ؟

– أما أولاً : فانه لم تحصل أية علامة من علامات ظهور المهدي في حياة فرد واحد من أولئك الذين ادُّعِيَ لهم المهدوية . وأما ثانيا :

فلثبوت وفاة هؤلاء جميعا، ولايوجد أحد من المسـلمين يعتقد بحياتهم . وأما ثالثا : فانهم لم يكونوا في آخر الزمان، وهو شرط ظهور الامام المهدي عليه السلام

، ولايعرف أحد منهم قد ملأ الدنيا قسـطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا . وأما رابعا وأخيرا : وهو الأهم ، فانه لو صح هذا الاحتجاج لبطلت العدالة ، اذ ادعاها طواغيت الارض كلهم من فرعون مصر إلي فراعين عصرنا ، ولحكمنا علي العلماء

بالجهل بدعوي أدعياء العلم من الجهلاء علي طول التاريخ ، ولصار الشجاع في نظرنا جبانا والكريم بخيلاً ، والحليم سفيها ، اذ ما من صفة كريمة إلاّ وقد ادّعاها البعض فيه زورا .

– وهل كان لهذه القضية ان تثير جدلا وصديً سياسيا ؟

– ولماذا تقول هـذا ، فلنقل أنّا وإذا ما عـدنا إلي قضـية : المهـدي ، فانا ما كنا لنجدها الا واحدة من أهم القضايا التي دوّخت بصداها ذوي الأطماع السياسية، فلا جرم أن يدّعيها البعض لأنفسهم أو يروّجها لهم أتباعهم لتحقيق مآربهم .

بينما أضاف قائلا :

– وكما ان العاقل لا ينكر وجود الحق بمجرد ادّعاء من لايسـتحقه ، فكذلك ينبغي عليه أن لا ينكر ظهور المهدي المبشّر به في آخر الزمان علي لسان أكرم ما خلق اللّه عزّ وجل ، نبينا الاعظم صـلي الله عليه و آله، بمجرد دعاوي المهدوية الباطلة ، هذا مع تصريح علماء الاسلام بصحة الكثير من أحاديث المهدي المروية بطرق شتي بما يفيد مجموعها التواتر ، كما اطلق بعضهم تواترها اطلاق المسلّمات كما تقدم في هذا البحث .

– أسألك ، فهل كان طول عمر الامام يثير شبهة ما في هذا

الخصوص ؟

– أووه ! فانه وبعد أن انكشف واقع هذه الشبهات ، وأصبح ساقها هشيما ، وعودها حطاما ، وبناؤها ركاما ، بقيت شبهة أُخري ، خلاصتها معارضة طول عمر الامام المهدي للعقل والعلم . وهذه الشبهة هي من أهم ما تمسك بها غير العقلاء في المقام ، لانها وبنظرهم مخالفة لمنطق العقل والعلم ، مؤكدين علي ان للعقل حدودا تستقل عن رغبات الفرد وأهوائه الشخصية وميوله واتجاهاته ، واحكاما يستسيغها جميع العقلاء ولا يقتصر قبولها علي عقل زيد أو عمر . وعلي الفرق الكبير جدا بين ما هو ممتنع الوقوع في نفسه ، بحيث لا يمكن ان يقع في أي حال من الاحوال حتي علي أيدي الانبياء والاوصياء عليهم السلام ، كاجتماع النقيضين ، وبين ما هو ممكن الوقوع في نفسه وان لم تجرِ العادة بوقوعه ، مع التأكيد أيضا علي أنَّ المحال العقلي ليس كالمحال العادي من حيث الوقوع وعدمه ..

– واذن ؟ !

– ولكن خلط هؤلاء بين المحالين أدي إلي الزعم بأنّ كل ما لم يجرِ في العادة انما هو من المحال العقلي .

– اذن ، فالامر كذلك !

– وذلك ، لعدم قدرتهم علي التمييز بينهما . علي ان ما تمسكوا به لا يصح حجة ، لا في منطق العقل ولا العلم علي حدٍ سواء .

(31)

مرض ابو حامد ، فاضـطر حامد الي ان يقضـي اغلب اوقاته في ادارة ابيه التجارية . فكان يحاول التوفيق بين المدرسة والاشراف علي العمل في شـركة أبيه حتي اخـذ الجهـد كل مأخذه منه ، واصـبح لا يفد علي البيت الا في ساعة متأخرة من الليل . . كانت صـحة الاب تسوء اكثر فأكثر .. اضـطر معها الي نقله الي المستشـفي كيما يلقي العناية الصـحية .. كان قلبه تعبا جدا . . منهكا . ظل حامد يتوجه الي الله بالدعاء لاـبيه ، وكـانت امه تسـهر الليـل الي جانب زوجها ، ولـذا ، فما كان من حامـد الا ان يوزع اوقاته بين المدرسـة والعمل والمستشـفي حتي اشـتدت وطأة الحياة عليه ولأكثر من الاول ، وارتأي ان يؤجل الدراسـة في هـذا العام الي العام القادم ، ريثما تتحسن صـحة الاب ، وتزداد تجربة حامد في عمله في الشركة ، الا ان الام كانت قد منعته ، واشارت اليه انه ليس ممن تترك المشكلات آثارها عليهم .. انه

بوسعك الدراسة والعمل ، اثبت لابيك ما وعدته به ، واجعله يقتنع بما لم يكن يصدقه فيك من قبل !

مع ان حامـد الان ، كان قـد أصـبح شديد المراس ، سديد الفؤاد ، صاحب حذقة في العمل ، وربقة في العهد . والكثير قد صار يشـير اليه ، وجعـل ينظر اليه بأنه خليفـة أبيه . بل ان المسؤولـة عن مكتب ابيه جعلت تثني عليه وتقول : انه قـد فاق الاب علما وجـدارة ، فلم يشك في كلامها حامد ، لانها كانت تكرر ذلك علي مرأي ومسمع من الاب في ايام حضوره في ادارة الشركة ! غير انه ما كان ليغتر بمثل هذا الاطراء ، لانه كان يدرك كم يحاول المتملقون حوله الاستحواذ علي قلبه كيما تعلق في سنّارتهم اطماعهم التي يشتهون الحصول عليها ! وهو الذي قـد مرس الحياة ، وجعل يختصـر الازمنـة ، فيتعالي علي جراحه ، ويتجاوز سـني عمره ، حتي صار لا ينسـي نصائح ووصايا ابيه الارشادية والتربويـة في طريقة التعامل الحياتي والاجتماعي فضـلا عن تأكيداته المعنوية علي حذو سـبل البحث المنطقي حتي في القضايا التجارية الي جـانب اشـاراته المتكررة الي اهميـة الاخلاق والمجاملات وسـياسة المـداراة في التعامل مع الناس لا سـيما ذوي الرتب الاجتماعية العالية .. في الوقت نفسه عدم تناسي الناس من ذوي الطبقات

المنخفضة وبالذات المنسحقة .. وما كان يري كل ذلك – وان كان للسنين ان تلعب دورها في تغيير سياسة الاب ، او ان تترك لمساتها وآثارها علي اخلاق الاب العنيفة في بعض الاحيان والبسيطة في احيان اخري ، القاسية في بعض الاوقات ، والطيبة في اوقات اخري – فما كان يري كل ذلك الا نتيجة لتربية مثالية تغذاها الاب من لدن ابيه هو الاخر (جد حامد) كذلك جد . فكان يدرك مدي تأثير المحيط العائلي والبيئة الاجتماعية علي الانسان في ترعرعه ونشأته .

بينما زاره في اخر مرة ، التقي بأبيه في المستشفي ، سأله الاخير عن احواله الدراسية وعمله في الشركة ، قال ان كل شيء يسير علي ما يرام ، فانا ما زلت متقدما علي اقراني في الفصل ، بل ما زلت انا صاحب الدرجات العالية .. كما كنت تراني من قبل . كما ان الشركة ما تزال تدور رحاها حول قطبها وكأن ابا حامد هو الذي يديرها .. هذه شهادات اقرب الناس اليك في محيط العمل .. انهم يسلمون عليك ويرغبون في زيارتك كذلك .

بينما قال له الاب :

– ولدي ، طيّبت خاطري ، وارحت بالي ، انك عظيم ، ما كنت لأتوقع فيك كل هذه الجسارة والبسالة ، تتمكن من دراستك ، وتشرف

علي ادارة العمـل ، وتقوي علي زيارتي ، وتقوم بالسـهر علي المنزل وشؤونه .. انك لم تخيّب أملي فيك ، بل زدتني اعجابا بنفسك الطيبـة ، وروحك الأبية ، وضميرك الحي ، بل فؤادك النابض بالصدق !

(32)

انكب حامد علي مطالعات عديدة ، كلها تتحدث حول قضية

المهدي وما يدور في اطارها من ملابسات وشبهات ، واسئلة ومطارحات ، وآراء ونظرات داعمة وناقضة ، مؤيدة ومنكرة .. وما

الي ذلك . حتي جاء اليوم الذي كان لاحد العملاء من الزبائن بضاعة لدي حامد ، كان علي الاخير ان يقوم بتوريدها له من الخارج .. ولما توطدت العلاقات بينهما ، شاءت الظروف ان يدعو العميل حامد الي مائدة عشاء علي شـرفه ، وذلك في احد المطاعم الراقية في المدينة .. بينما كان يترقب الزبون الفرصـة كيما يفتتـح أبواب الحـديث حول المهـدي ، ذلك انه كان يـدرك مـدي اهتمام حامـد بهـذه المسألة لشدة مناقشاته التي يجريها في الشركة ، وذلك في اوقات استراحته ، وفي بعض الفرص الترفيهية التي يمكن أن تنسل خلال عقد بعض الجلسات

، او حتي في خضم العديد من الاجتماعات العملية .

فما إن ألقي العميل الطُّعم (وكان ذكيا جـدا) حتي كان حامد أذكي منه ، بحيث شـعر بالمقلب وطريقة اسـتمالة العميل لدراسة شخصـية حامد ، كيما يتسـني له من خلال هذه المناقشات ان يطّلع علي خباياه وبالتالي يحدد لنفسه في المسـتقبل الطريقة التي يمكنه ان يلعب بها مع رئيس الشـركة المسـتقبلي ، فكـان يفحص فيه المبـادي ء ، تري هـل يمكنه التخلي عنهـا ، وهـل يمكنه ان يؤمن بـالعلم علي حسـاب المذهب والدين ، او انه يجري المعادلة بالعكس ! او انه يحاول التوفيق بينهما قدر ما اسـتطاع الي ذلك سبيلا ، كل هذا كان يدور في مخيلة العميل الزبون الذي كان يتمتع بشيء من الذلاقة ، شخصية ممزوجة بنكهة ، يضرب عليها دائما طوقا من التشذيب ، ممعنا في الاعراب عن نفسه بكلام معسول ، فما كان من حامد الا ان قال – وذلك بعد شيء من

الحديث حول بعض المسائل المتعلقة بهذا الصدد (بعد ان كانا قد تناولا طعام العشاء وعبّا قدحين من الشاي) :

– إنَّ المنكرين للامام المهـدي بالتشـخيص الـذي حـددناه – أي بكونه محمدا نجل الامام الحسن العسـكري عليه السـلام – ينطلقون من دوافع ومنطلقات بعيدة عن منهج الاسلام في الدعوة الي الايمان بالعقائد؛

فمنهج الاسلام كما يقوم علي العقل والمنطق، فإنه يعتمد علي الفطرة ويستند الي الغيب .

– اجل ! كل هذا صحيح ، الا ان الايمان بالغيب يتطلب ضرورات واستعدادات خاصة .. وهذه لا تتوفر لدي الجميع ؟

قال حامد :

– هذا ايضا صحيح ، والاسلام ما كلف الانسان فوق طاقته ، ولا دعاه للتخلي عن اسس الاعتقاد بالله بذريعة تناهي قدرة الانسان العقلية ! ذلك ان الايمان بالغيب ما كان الا جزءً من عقيدة المسلم . إذ تكررت الدعوة قرآنا وسنّةً الي ذلك قال تعالي : ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هديً للمتقين الذين يؤمنون بالغيب . .(1)

. وقال تعالي : تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك . .(2)

وفي السنّة النبوية مئات الروايات

المؤكدة علي الايمان بالغيب والتصديق بما يُخبر به الرُسل والأنبياء . وهذا الايمان بالغيب لا تصحُّ عقيدة المسلم بإنكاره . .

سواء تعقَّله وأدرك أسراره وتفصيلاته ، أم لم يستطع الي ذلك سبيلاً ؟

– بالضبط ، فانه لا يصح للمرء انكاره . كما هو الامر مثلاً بالنسبة

1– سورة البقرة / آية 1 – 3 .

2– سورة هود / 49 .

الي الكهربـاء التي ما آمن بها الناس الا من حيث آمنوا بآثارها المترتبـة علي وجودها ، كـذلك الايمان بالملائكـة وبالجنّ وبعـذاب القبر ، وسؤال الملكين في القبر ، الي غير ذلـك من المغيّبـات التي ذكرهـا القرآن أو أخبر بهـا نبينـا محمـد صـلي الله عليه و آلهونقلهـا إلينا الثقاة العـدول المؤتمنون ، ومن جملة ذلك بل من أهمها قضـية الامام المهدي الذي سـيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسـطا وعدلاً بعد أن مُلئت ظلما وجورا .

– المهدي . .

– فالمهـدي قـد نطقت به الصـحاح والمسانيد والسـنن فلا يسعُ مسـلما إنكاره ، لكثرة الطرق ووثاقة الرواة ودلائل التاريخ والمشاهدة الثابتة لشخصه كما ثبت ذلك .

فقال العميل :

– ولعل أهم الشـبهات التي تثار هنا هي مسألة صغر سنّ الامام ، وطول عمره ، والفائدة من الغيبة بالنسبة له ، ومسألة استفادة الأُمّة المسلمة منه وهو مستور غائب .

– والجواب : إن الامام المهدي عليه السلام خَلَفَ أباه في إمامة المسلمين،

وهذا يعني أنّه كان إماما بكلّ ما في الامامة من محتويً فكري وروحي في وقتٍ مبكر جدا من حياته الشريفة .

– واذن ، فنحن امام فلسفة الامامة المبكرة ؟

– أما الامامة المبكرة ، فهي ظاهرة سبّقَهُ إليها عدد من آبائه عليهم السلام ، فالامام الجواد محمد بن علي عليه السلام تولّي الامامة وهو في الثامنة من عمره ، والامام علي بن محمد الهادي عليه السلامتولّي الامامة وهو في التاسعة من عمره ، والامام أبو محمد العسكري وهو والد الامام المهدي المنتظر تولّي الامامة وهو في الثانية والعشرين من عمره ، ويلاحظ أن ظاهرة الامامة المبكرة بلغت ذروتها في الامام المهدي والامام الجواد، ونحن نسمّيها ظاهرة لأنّها كانت بالنسبة إلي عدد من آباء المهدي عليهم السلامتشكل مدلولاً حسيّا عمليا عاشه المسلمون ، ووعوه في تجربتهم مع الامام بشكل وآخر ، ولا يمكن أن يُطالب بإثبات ظاهرة من الظواهر هي أوضح وأقوي من تجربة أُمّة .

– كيف يمكن ايضاح هذا ؟

– يمكنني ان أوضح هذا ، وذلك ضمن النقاط الآتية : اولا : لم تكن إمامة الامام من أهل البيت عليهم السلاممركزا من مراكز السّلطان والنفوذ التي تنتقل بالوراثة من الأبِ إلي الابن ، ويدعمها النظام الحاكم كما كان الحال في الامويين والفاطميين والعباسيّين ، وإنّما كانت تكتسب ولاءَ قواعدها الشعبية الواسعة عن طريق التغلغل الروحي والاقناع

الفكري لتلك القواعد بجدارة هذه الامامة لزعامة الاسلام وقيادته علي أُسس فكرية وروحية .

- ؟ !

اما الثانيـة : فإن هـذه القواعـد الشـعبية بُنيت منـذُ صـدر الاسـلام ، وازدهرت واتّسـعت علي عهد الامامين الباقر والصادق عليهماالسـلام وأصبحت

المدرسـة التي رعاها هـذان الامامان ، في داخل هـذه القواعد ، تشـكل تيارا فكريا واسـعا ، في العالم الاسـلامي يضمُّ المئات من الفقهاء والمتكلمين والمفسـرين والعلماء في مختلف ضـروب المعرفة الاسلامية والبشرية المعروفة وقتئذٍ ، حتي قال الحسن بن علي الوشاء : فإنّي أدركت في هذا المسجد - يعني مسجدَ الكوفة - تسعمائة شيخٍ كلٌّ يقول حدثني جعفر بن محمد(1)

.

- والثالثة ؟

- فإنّ الشروط التي كانت هذه المدرسة، وما تمثله من قواعد

شعبيـة في المجتمع الاسـلامي ، تؤمن بها ، وتتقيـد بموجبها في تعيين الامام والتعرّف علي كفاءته للامامة شـروط شديدة ، لأنها تؤمن بأن الامام لايكون إماما إلاّ إذا كان معصوما وكان أعلم علماء عصره .

1- رجال النجاشي : 40 / 80 في ترجمة الحسن بن علي بن زياد الوشاء.

هذا فضـلا عن ان النقطة الرابعة ما كانت لتنص الا علي انّ المدرسة وقواعدها الشـعبية كانت تقدّم تضـحيات كبيرة في سبيل الصمود علي عقيدتها في الامامة ؛ لأنّها كانت في نظر السلطة المعاصرة لها تشكل خطا عدائيا ، ولو من الناحية الفكرية علي الأقل ، الأمر الذي أدّي إلي قيام السـلطات وقتئذٍ وباسـتمرار تقريبا بحملات من التصـفية والتعذيب ، فَقُتِل من قُتِل ، وسُجنَ من سُجِنَ ، ومات في ظلمات المعتقلات والحبس المئات . وهذا يعني أن الاعتقاد بامامة أئمة أهل البيت عليهم السلام كان يكلفهم غاليا ، ولم يكن له من الاغراءات سوي ما يُحسُّ به المُعْتَقِد أو يفترضه من التقرّب إلي اللّه تعالي والزلفي عنده .

– واذن فالثمن يجب ان يكون باهظا ؟ !

لم يعر حامد اهتماما لتعليقات الزبون ، بل استرسل في كلامه :

إنَّ الأئمـة الـذين دانت هذه القواعد الشـعبية لهم بالامامة، لم يكونوا معزولين عنها، ولا متقوقعين في بروجٍ عاجية عالية شأن السـلاطين مع شعوبهم ، ولم يكونوا يحتجبون عنهم إلاّ أن تحجبهم السلطة الحاكمة بسجنٍ أو نفي .

– وكيف يمكن ان يستشف مثل هذا ؟

– وهذا ما يتسني لنا ان نعرفه من خلال العدد الكبير من الرواة

والمحـدّثين عن كل واحـدٍ من الأئمة الأحدَ عشـرَ من آباء المهدي عليه السـلام ، ومن خلال ما نُقل من المكاتبات التي كانت تحصل بين الامام ومعاصريه ، وما كان يقوم الامام به من أسفار من ناحيةٍ ، وما كان يبثّهُ من وكلاء في مختلف أنحاء العالم الاسلامي من ناحية أُخري ، وما كان قـد اعتاده الشـيعة من تفقّد أئمتهم وزيارتهم في المدينة المنورة عندما يؤمّون الديار المقدّسة من كلِّ مكان لأداء فريضة الحج، كل ذلك يفرض تفاعلاً مستمرا بدرجة واضحةٍ بين الامام وبين قواعده الممتدة في أرجاء العالم الاسلامي بمختلف طبقاتها من العلماء وغيرهم . وهذه هي كانت النقطة الخامسة ، أما السادسة . .

– أراك ذهبت اكثر مما ينبغي ، أليس كذلك .

– كيف ؟

– انّ السـلطات المعاصـرة للأئمة عليهم السـلام كانت تنظر إليهم والي زعاماتهم الروحية بوصفها مصدر خطرٍ كبير علي كيانها ومقدّراتها، وعلي هذا الأساس بذلت كلَّ جهودها في سبيل تفتيت هذه الزعامة، وتحملت في سبيل ذلك كثيرا من السـلبيات ، وظهرت أحيانا بمظاهر القسوة والطغيان حينما اضطرّها تأمين مواقعها إلي ذلك، وكانت حملات المطاردة والاعتقال مستمرة للائمة أنفسهم علي الرغم مما

يخلّفه ذلك من شعور بالألم أو الاشمئزاز عند المسلمين ، ولا سيما الموالين علي اختلاف درجاتهم . فهل تعتقد ان السلطات محقة ام لا ؟ اقصد في الدفاع عن سلطانها ؟

– نعم ، فيما لو كان لها الحق في تولي مناصب الدولة وحكومة المسلمين ، كما انه لا نمنحها الحق كل الحق – فيما لو كانت حكومتها شرعية مستمدة من قبل الله – في ان تعاقب وتظلم وتسحق وتكبت المشاعر وتخنق الحريات وذلك اعتقادا منها ان هذه السبل كفيلة بردع المعارضين لحكومتها .. لان الله ما شاء للناس ان يؤمنوا قسرا ، بل ارادهم ان يدركوا فضله ومقدار نعمه بانفسهم ومن ضمن هذه النعم الولاية والحكومة الاسلامية ، لان كل ما اخذ قسرا سوف يسترجع قسرا .. ولو شاء الله لآمن من في السماء والارض ، ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء بأيدي واختيار الناس انفسهم .

هتف العميل :

– احسنت !

لم يكن لينطلي علي حامد مثل هذا السياق من الاطراء المقيت والمصطنع . بل كان في سره يضحك من هذا الشخص اشفاقا علي ما يخطط ويمهد له عبر محاولاته لكسب ود حامد وعطفه . بينما عاد

حامد الي الحديث ، فجعل يقول :

– وما ذكرته كان يمثل بالنسبة لي النقطة السادسة ، ليس الا !

– أووه ! سبحان الله ! ما أجمل توارد مثل هذه الخواطر !

– فإذا أخذنا بنظر الاعتبار هذه النقاط الست ، وهي حقائق تاريخية لا تقبل الشك ، أمكن أن نخرجَ بالنتيجة الآتية :

– وهي !

– إنَّ ظاهرة الامامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية ولم تكن وَهما من الأوهام؛ لأنَّ الامام الذي يبرز علي المسرح وهو صغير فيعلن عن نفسه إماما روحيا وفكريا للمسلمين، ويدينُ له بالولاء والامامة كل ذلك التيار الواسع لابدَّ أن يكون في أعلي الدرجات والمراتب من العلم والمعرفة وسعة الأُفق والتمكّن من الفقه والتفسير والعقائد ، لأنه لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تقتنعَ تلك القواعد الشعبية بإمامته ، مع ما تقدّم من أن الأئمة كانوا في مواقع تتيحُ لقواعدهم التفاعل معهم ، وللأضواء المختلفة أن تُسلط علي حياتهم وموازين شخصيتهم ، فهل تري أن صبيّا يدعو إلي إمامة نفسه وينصب منها علما للاسلام وهو علي مرأيً ومسمع من جماهير قواعده الشعبية ، فتؤمن به وتبذل في سبيل ذلك الغالي من أمنها وحياتها بدون أن تكلّف نفسها اكتشاف

حاله، وبدون أن تهزّها ظاهرة هذه الامامة المبكرة لاستطلاع حقيقة الموقف وتقييم هذا الصبيّ الامام ؟

- ؟ !

- وهَبْ أنَّ الناس لم يتحركوا لاستطلاع الموقف، فهل يمكن أن تمرَّ المسألة أياما وشهورا بل أعواما دون أن تتكشّف الحقيقة علي الرغم من التفاعل الطبيعي المستمر بين الصبيّ الامام وسائر الناس ؟ وهل من المعقول أن يكون صبيّا في فكره وعلمه حقا ثم لا يبدو ذلك من خلال هذا التفاعل الطويل ؟

- بالضبط !

- واذا افترضنا أنّ القواعد الشعبية لامامة أهل البيت لم يُتَح لها أن تكتشف واقع الأمر ، فلماذا سكتت السلطة القائمة ولم تعمل علي كشف الحقيقة إذا كانت في صالحها ؟ وما كان أيسر ذلك علي السلطة القائمة لو كان الامام الصبيّ صبيّا في فكره وثقافته كما هو المعهود في الصبيان ؟ وما كان أنجحه من أسلوب أن تقدّم الصبي إلي شيعته وغير شيعته علي حقيقته ، وتبرهن علي عدم كفاءته للامامة والزعامة الروحية والفكرية . فلئن كان من الصعب الاقناع

بعدم كفاءة شـخص في الأربعين أو الخمسـين لتسلّم الامامة ، فليس ثمة صعوبة في الاقناع بعدم كفاءة صبي اعتيادي مهما كان ذكيا وفطنا للامامة بمعناها الذي يعرفه الشـيعة الامامية . وكان هذا أسهل وأيسر من الطرق المعقدة وأساليب القمع والمجازفة التي انتهجتها السلطات وقتئذٍ .

كان الزبون يصادق علي ما يقوله حامد ، بينما شعر انه يعدّ له عدّة من الشبهات اخري ، فقال حامد مستطردا :

– ثم إنَّ التفسـير الوحيد لسـكوت الخلافة المعاصـرة عن اللعب بهذه الورقة هو أنها أدركت أنَّ الامامة المبكرة ظاهرة حقيقية وليست شـيئا مصطنعا.

– ظاهرة حقيقية . . اجل !

– والحقيقـة أنهـا أدركت ذلك بالفعل بعـد أن حاولت أن تلعب بتلك الورقـة – أي تعريضه للاختبار – فلم تسـتطع ، والتأريـخ يحـدّثنا عن محاولات من هذا القبيل وعن فشـلها، بينما لم يحدّثنا إطلاقا عن موقف تزعزت فيه ظاهرة الامامة المبكّرة أو واجه فيه الصبيّ الامام إحراجا يفوق قدرته أو يزعزع ثقة الناس فيه .

– واذن فهذا معني ما قلتموه جنابكم من أنَّ الامامة المبكّرة ظاهرة واقعية في حياة أهل البيت عليهم السلام .

– بكل تأكيد ، فليست هي مجرّد افتراض، كما أنّ هذه الظاهرة

الواقعية لها جذورها وحالاتها المماثلة في تراث السماء الذي امتدّ عبر الرسالات والزعامات الربانية ، ويكفي مثالاً لظاهرة الامامة المبكّرة في التراث الرباني : النبي يحيي عليه السلام ، إذ قال تعالي : يَايَحْيَي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّا..(1)

.

– فالمطلوب اذن ، هو اثبات هذه الظاهرة قلبيا وعقليا علي حد سواء .

– فمتي ثبت أن الامامة المبكّرة ظاهرة واقعية وموجودة فعلاً في حياة أهل البيت ، لم يَعُدْ هناك اعتراض فيما يخصّ حياة المهدي عليه السلام ، وخلافته لأبيه وهو صغير .

اعتدل الزبون في جلسته ، ثم تنحنح وقال :

– غير ان أهم ما يثيره البعض بل الكثير في هذا المجال ، ويروّجون له باستمرار قديما وحديثا ، هو قولهم : إذا كان المهدي يُعبّرُ عن إنسان حيّ عاصرَ الأجيال المتعاقبة منذ أكثر من أحدَ عشرَ قرنا فكيف تأتّي له هذا العمر الطويل ؟ وكيف نجا من القوانين الطبيعية التي تحتمّ مروره بمرحلة الشيخوخة(2)

؟ !! ومن الجائز أن نطرح الشبهة

1– سورة مريم : 19 / 12. وقد مرّ في الفصل الثاني برقم 5 و 8 اعتراف أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي، وأحمد بن يوسف القرماني الحنفي بانالمهدي عليه السلام أُعطي الحكمة وهو صبيٌّ، فراجع.

2– هذه الشبهة مطروحة في كتب العقائد منذ القرون البعيدة، وقد ذكرها وتصدي للاجابة عنها كبار علماء الاماميّة، بوجوهٍ جديدة ومن أبعاد مختلفة، ونحن نتعرّض لبعضها فقط.

بصورة سؤالٍ كأن يقال : هل بالامكان أن يعيش الانسانُ قرونا متطاولة ؟ !

فقال حامد :

– وللاجابة عن هذا السؤال لا بدَّ من التمهيد ببحث مسألة الامكان هنا . فهناك ثلاثة أنواع متصورة للامكان .

– كيف يمكن التعبير عنها ؟

– الأول : هو ما يصطلح عليه بالامكان العملي ، ويُراد به ما هو ممكن فعلاً وواقعا . أي له تحقق ووجود ظاهر ومتعين .

– والثاني ؟

– هو ما يصطلح عليه بالامكان العلمي ، ويُراد به ما هو غير ممتنعٍ من الناحية العلمية الصِرفة ، أي أنَّ العلم لايمنع وقوعه وتحققه ووجوده فعلاً .

والثالث ؟

– أما الثالث ، فهو ما يصطلح عليه بالامكان المنطقي ، ويُراد به ما ليس مستحيلاً عقلاً ، أي أنَّ العقل لايمنع وقوعه وتحققه .

كان الزبون وفي قرارة نفسه ، يسائل نفسه : « تُري كيف سوّلت

لنفس هـذا الشـاب اليـافع ان يعلمني انـا وامثـالي الـذين حنكتهم تجارب الحياة .. ومرسوا علي فنون المعاملات والمناقصات فضـلا عن المزايـدات ، وخبروا ضـروب المهن والمضاربات التجاريـة ، تري كيف سوّلت له نفسه ذلك » الا انه عاد بعـدها يقول لنفسه : « غير اني لا استطيع ان اتكلم مثلما يتكلم هو ، هذا صحيح ، وهاهي الحياة تجزل له العطاء ، وتمنحه ملاءة التجربة كيما ينشرها علي مدي الاثير .. هه ! » . بينما كان حامد يلقي كلامه الذي كان يحسب لكل جملة من جمله كل حساب وحساب ، فقال مستدركا :

– واسـتنادا الي هذا نعرض المسألة كالآتي مبتدئين بالامكان المنطقي فنقول : هل إنَّ امتداد عمر الانسان مئات السـنين ممكن منطقيا، أي ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية ؟

– لا اعلم .. حقا .. لا ادري ما اقول ؟

– والجواب : نعم بكل تأكيد !

– كيف هذا ؟

– فقضـية امتـداد العمر فوق الحـدّ الطبيعي أضـعافا مضاعفـةً ليست في دائرة المسـتحيل ، كما هو واضـح بأدني تأمل . نعم هو ليس مألوفا ومشاهدا ، ولكن هناك حالات ، نقلها أهل التواريخ ، وتناقلتها بعض

النشرات العلمية ، تجعل الانسان لا يستغرب ولايُنكر . .

- وكيف لا يستغرب ولا ينكر ؟

- ذلك أنّ الغرابة ترتفع تماما عندما يقرع سمعَ المسلم صوتُ الوحي ومنطوق القرآن في النبي نوح عليه السلام : وَلَقَدْ أرْسَلْنَا نوُحا إلي قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلاَّ خَمْسِينَ عَاما(1)

.

- كيف يمكن تقريب مسألة الامكان ؟

- ولتقريب مسألة الامكان بهذا المعني نضربُ مثالاً كالآتي: لو أنَّ أحدا قال لجماعةٍ إني أستطيع أن أعبرَ النهر ماشيا ، أو أجتاز النارَ دون أن أُصابَ بسوء ، فلا بدَّ أن يستغربوا وينكروا ، لكنه لو حقّق ما قاله بالفعل فعبر النهر ماشيا أو اجتاز النار بسلام ؛ فإنَّ انكارهم واستغرابهم سيزول عند ذلك . فلو جاء آخر وقال مثلَ مقالة الأول ، فإنَّ درجة الاستغراب ستقلُّ ، وهكذا لو جاء ثالث ورابع وخامس ،

فإنَّ ما وقع منهم من الاستغراب أوّل مرّة سوف لايكون علي حالته وقوّته في المرة الخامسة ، بل يضعف جدا الي أنْ يزول .

- ؟ !

- وهكذا نقول في مسألتنا ، فإنَّ القرآن قد أخبر : أن نوحا عليه السلام لبثَ

1- العنكبوت : 29 / 14.

في قومه ألف سـنةٍ إلاّ خمسـين عاما ، وهـذا غير عمره قبل النبوّة ! وأن عيسـي عليه السـلاملم يمت وإنما رفعه اللّه إليه كما في قوله تعالي : وَقَوْلِهِمْ إنّا قَتَلْنَا المسيحَ عيسي ابنَ مريمَ رسولَ اللّه ِ وَمَا قَتَلُوهُ وما صَلَبُوه وَلَكِنْ شُبِّه لَهُمْ وإنّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فيهِ لَفي شَك مِنْهُ مَالَهُم بِهِ من عِلْمٍ إلاّ اتباع الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينا، بَلّ رَفَعَهُ اللّه ُإليهِ وَكانَ اللّه ُعَزِيزا حَكيما(1)

. وأيضا فقد جاء في روايات الصحيحين (البخاري ومسلم) أنّه سينزل إلي الأرض، وكذلك جاء فيهما أن الدجال موجود حي(2)

.

فهمهم العميل في نفسه :

- الدجال موجود حي !

- وعليه فعندما تتحدث الروايات الصحيحة ويشهد الشهود ،

وتتوالي الاعترافات بوجود (المهدي) من عترة الرسول الأكرم ، من ولد فاطمة ، نجل الحسن العسكري الذي ولد سنة 552 ه ، سوف لايبقي عند ذلك وجهُ للاستغراب والانكار إلا عنادا واستكبارا . وقد جاء في تفسير الرازي : «قال بعض الأطباء : العمر الانساني لايزيد علي

1- النساء : 4 / 157 - 158.

2- فصلنا الحديث عن أحاديث نزول عيسي وأحاديث خروج الدجال في الصحيحين البخاري ومسلم وذكرنا من اعتبرها عقيدة ثابتة لأهل السـنة مع تصـريحهم ببقـاء الـدجال حيـا إلي آخر الزمـان وان عيسـي عليه السـلام سـينزل في آخر الزمـان ليساعـد الامام المهـدي عليه السلامعلي قتله، راجع الفصل الثالث (التذرع بخلو الصحيحين من أحاديث المهدي).

مائـة وعشـرين سـنة ، والآية تدلّ علي خلاف قولهم ، والعقل يوافقها ، فإنَّ البقاء علي التركيب الذي في الانسان ممكن لذاته وإلاّ لما بقي ، ودوام تأثير المؤثر فيه ممكن ؛ لأنَّ المؤثر فيه إنْ كان واجب الوجود فظاهر الـدوام ، وإن كان غيره فله مؤثر ، وينتهي الي الواجب وهو دائم ، فتـأثيره يجوز أن يكون دائمـا . فـإذن البقـاء ممكن في ذاته، فإن لـم يكن فلعارض، لكن العارض ممكن العـدم ، وإلاّ لما بقي هـذا المقـدار لوجوب وجود العارض المانع. فظهر أنَّ كلامهم علي خلاف العقل والنقل»(1)

.

- واذن ، هكذا برهن الرازي علي جواز طول عمر الانسان

- اجل ، وذلك بخلاف المعتاد كما هو الثابت في طول عمر عيسي عليه السلام ، والبرهان نفسه يصح الاستدلال به علي طول عمر المهدي عليه السلام ، ويقرّب هذا الاستدلال اتفاق الصحاح وغيرها علي نزول عيسي في آخر الزمان لمساعدة المهدي علي قتل الدجال .

- والامكان العملي ؟

- اما الامكان العملي . .

قاطعه الزبون قائلا :

1- التفسير الكبير / الرازي 25 : 42.

– لنتساءل : هل إنَّ الامكان العملي بالنسبة الي نوع الانسان متاحٌ الآن ، وتساعد عليه التجربة أم لا ؟

– والجواب : هو انّ التجارب المعاصرة في ضوء الامكانات المتاحة والظروف الموجودة لم تنجح لحد الآن في تحقيق مثل هذه الحالة ، أي اطالة عمر الانسان إلي حدٍّ أكثر من ضعفٍ أو ضعفي العمر الطبيعي ، وهذا أمرٌ مشهود لا يحتاج إلي برهان .

– وهل لهذا ان يدل علي عدم طول عمر الانسان

– لا ! ليس لهذا ذلك ، لان الامكان العملي ينحصر بمحاولات اطالة العمر الطبيعي للانسان بيد الانسان نفسه ، إلاّ أن الاعمار بيد اللّه عزّ وجل .

– واذن ؟ !

– إذن ، فإن تدخل الانسان في إطالة العمر علي خلاف التقدير غير ممكن .

– ولكن الله يوفر الاسباب . .

– نعم انه سبحانه يوفر الأسباب الكفيلة . .

وفجأة ، طلع عليهما نادل المطعم ، يسائلهما :

– هل يرغب السادة بتناول شيئا من المرطبات أو الحلويات ؟

امتنع كلاهما عن تلبية هذه الدعوة ، فأقفل النادل راجعا ، وغاب عنهما . بينما عاد حامد الي كلامه ، ليقول :

– . . نعم ان الله يوفر كافة الاسباب الكفيلة بادامة حياة المعمرين إلي حين أجلهم ، ودور العلم هنا اكتشاف تلك الأسباب لا أكثر إذ ليس بمقدوره إبداع الأسباب لانحصارها بيده عزوجل بلا خلاف

– وعليه ، فان دور العلم هنا اكتشاف تلك الأسباب لا أكثر ؟ !

– اجل ! لاني قلت لك ، فانه ليس بمقدور العلم خلق وإبداع الأسباب ، وذلك لانحصارها بيد الخالق : خالق العلم والحياة وكل شيء .

قال العميل :

– وهل لنا ان نتساءل هنا ، فنقول : هل إنَّ زيادة عمر إنسان أكثر من الحدّ الطبيعي المعتاد ممكن علميا أم لا ؟ !

– نعم يمكن التساؤل والجواب عليه كذلك :

ابتسم كلاهما ، بينما عاد حامد يجيب علي سؤال الزبون ، وهو يقول :

– فأولاً : نعم هي في دائرة الامكان العلمي ، ولدينا شواهد وأرقام كثيرة تؤكد إمكانها علميا .

- منها ؟

- منهـا اولاـ : إنَّ التجـارب العلميـة آخـذةٌ بالازديـاد لاطالـة عمر الانسان أكثر من المعتاد ، وهـذه التجارب حثيثـة وجادة لتعطيل قانون الشـيخوخة ، فقد جاء في مجلة المقتطف المصرية ، (. . دس حامد يده في جيبه ، اخرج منها محفظة ، فتح الاخيرة ، كشف عن عدة اوراق ، اسـتل بعضا منها ، نشـر احـداها ، ثم اخـذ يعاين ما فيها بينما أعاد المحفظـة الي جيبه ، واحتفظ ببقيـة الاوراق علي المنضدة) . . نعم : الجزء الثاني من المجلد 95 ، الصادرة في آب (اغسطس)

1921 م ، الموافق 62 ذي القعدة سنة 1339 ه ص

620 تحت عنوان «خلود الانسان علي الارض» ما هذا لفظه:

- ؟ !

قال الاستاذ (ريمند بول) أحد أساتذة جامعة جونس هبكنس بأمريكا : إنه يظهر من بعض التجارب العلمية أنَّ أجزاء جسم الانسان يمكن أن تحيا الي أيّ وقتٍ أُريد ، وعليه فمن المحتمل أن تطول حياة الانسان الي مائة سنة ، وقد لا يوجد مانع يمنع من إطالتها الي ألف سنة .

وذكرت هذه المجلة في العدد الثالث لسنة 95 ص 239، «إنه في

ص: 258

الامكان أن يبقي الانسان حيّا ألوفا من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبلَ حياته ، وقولهم هذا ليس مجرد ظن ، بل نتيجة عملية مؤيدة بالامتحان» .

– جميل حقا هذا ، تري كيف تكون الحياة لو أمكن للبعض مثل هذا ؟

– . . أكتفي بهذا القدر في تأييد ماذكرناه من الامكان العلمي ، الذي يسعي العلماء جاهدين لتحويله الي إمكان عملي واقعي فعلي .

في حين التقط حامد ورقة اخري وعاد يقرأ فيها :

– ثانيا : وفي كتاب صدر حديثا بعنوان حقائق أغرب من الخيال الجزء الأوّل ص : 42 نشر مؤسسة الايمان – بيروت ، ودار الرشيد / دمشق .

جاء فيه : توفي (بيريرا) في عام 5519 م في وطنه الأُم مونتريا في سن 661 عاما ، وقد شهد علي عمره أصدقاؤه ، وسجلاّت مجلس البلدية ، وبيريرا نفسه الذي استطاع أن يتذكر بوضوح كبير معركة كاراجينا (حدثت في عام 5181 م) ! وفي نهاية حياته أُحضر الي نيويورك حيث فحصه جمع من الأطباء المختصين، ومع أنهم وجدوه محتفظا بضغط دم رجل شاب، ونبض شرياني صحيح وقلب جيد ،

وعقل شاب ، فقد قرروا أنه رجل عجوز جدا أكثر من 501 عاما . وجاء في ص 23 ، أن توماس بار عاش 521 عاما .

- 521 عاما ؟ !

- علي أنّ السجستاني صاحب السنن قد ألّف كتابا باسم (المعمّرون) ذكر فيه الكثير من المعمرين ، وفيهم من تجاوزت أعمارهم خمسمائة سنة .

- خمسمائة سنة ؟ !

- أجـل أمـا الشاهـد الثالث فهو إنّ مجرد إجراء التجارب من قبل الأطباء للتعرف علي مرض الشـيخوخة ، وأسـباب الموت ، والمحاولات الدائبة من قِبَلهم ونجاحها ولو بقدر محدود لاطالة عمر الانسان، لهو دليل علي الامكان ، وإلاّ لكان تصرفهم عبثا ، خلاف العقل .

- وفي ضوء ذلك كله ؟ !

- وفي ضوء ذلك كله ، فانه سوف لا يبقي أي مبرر منطقي للاسـتغراب والانكار بخصوص (قضـية المهـدي) اللهمّ إلا أن يسـبق (المهدي) العلمَ نفسه ، فيتحول الامكان النظري (العلمي) الي امكان عملي في شخصه ، قبل أن يصلَ العلمُ في تطوره الي مستوي القدرة

الفعلية. وهذا أيضا لا يوجد مبررٌ عقليٌّ لاستبعاده وإنكاره ؛ إذ هو نظير من يسبق العلمَ في اكتشاف دواءٍ للسرطان مثلاً . ومثل هذا السِبق في الفكر الاسلامي قد حصل في أكثر من مفردةٍ وعنوانٍ ، فقد سجّلَ القرآن الكريم نظائر ذلك حين أوردَ وأشارَ الي حقائق علمية تتعلق بالكونِ وبالطبيعةِ وبالانسانِ ، ثم جاءت التجارب العلمية الحديثة لتزيحَ عنها الستار أخيرا .

- . . .

- ثم لماذا نذهب بعيدا وأمامنا القرآن الكريم يصرّح (بالامكان العملي) فيما يتعلق بعمر نوحٍ عليه السلام»(1)

؟

- والاثار النبوية ؟

- وكذلك صرّحت الآثار النبوية ، بوجود أشخاص أحياء منذ قرون متطاولةٍ ؛ كالخضرِ ، والنبي عيسي عليه السلام ، والدجّال علي ما نقله مسلمٌ في صحيحه من حديث الجساسة . فلماذا نؤمن بمثل هذه الوجودات المشخصة ، مع انّهم ليس لهم من دورٍ أو أهميةٍ فيما يتعلق بمستقبل الاسلام إلاّ المسيح الذي سيكون وزيرا ومساعدا للمهدي وقائدا لجيوشه كما في الكثير من روايات الظهور .

1- راجع بحث حول المهدي/ الشهيد محمدباقر الصدر.

– حقا ، سيكون الامر كذلك ، فلو علم المسيحيون بذلك ، فبرأيك ، ماذا تراهم سيصنعون ؟ !

– سوف لا يقبلون به قطعا ، لان المسيح عندهم هو الله !

– ؟ !

– اقول : فلماذا ينكر البعض حياة المهدي الذي سيكون له ذلك الدور الأعظم ، «يملأ الأرضَ قسطا وعدلاً..» وينزل عيسي ليصلي خلفه (1)

؟!!

كان الزبون ساكتا ، فتابع كلامه حامد :

– ولو افترضنا قانون الشيخوخة قانونا صارما ، وإطالة عمر الانسان أكثر من الحد الطبيعي والمعتاد هو خلاف القوانين الطبيعية التي دلّنا عليها الاستقراء ؛ فالأمرُ بالنسبةِ للمهدي عليه السلام يكون حينئذٍ من قبيل المعجزة ، وهي ليست حالة فريدة في التاريخ .

بينما استدرك كلامه قائلا :

– ثم إنَّ الأمرَ بالنسبة للمسلم الذي يستمد عقيدتَه من القرآن الكريم والسُّنة المشرفة ليس منكرا أو مستغربا ، إذ هو يجدُ أن القانون الطبيعي الذي هو أكثر صرامةً قد عُطّلَ، كالذي حَدَثَ بالنسبةِ للنبي

1– اعترف بهذا خمسة من شارحي صحيح البخاري كما مرّ مفصلاً في أول الفصل الثالث، فراجع.

إبراهيم عليه السلام عندما أُلقي في النار العظيمة فأنجاه اللّه تعالي بالمعجزة ، كما صرَّح القرآن قائلاً : قلنا يا نارُ كوني بَرْدَا وسلاما علي إبراهيم(1)

.

– ان للمعجزات النبوية فهما خاصا ؟

– لا ـ ادري ماذا تعني ، الا ـ انه يمكنني القول ان هذه المعجزة وأمثالها من معاجز الانبياء ، والكرامات التي أختصَّ اللّه بها أولياءه ، قد أصبحت بمفهومها الديني أقرب إلي الفهم بدرجةٍ أكبر بكثير في ضوء المعطيات العلمية الحديثة والانجازات الكبيرة التي حققها العلماء بوسائلهم المادية. فلقد بدأنا نشهدُ من الاختراعات والاكتشافات التي لو حُدّثنا عنها سابقا لأنكرناها غايةَ الانكار ثم ها هي بأيدينا الآن نستخدمها ونلهو بها أحيانا، فمثلاً (التلفزيون) ، فلقد كنّا نقرأ في الروايات في أبواب الملاحم (أنه سيكون في آخر الزمان يَري ويسمع من في المشرق من هو في المغْرِب..). وربما عَدَّ بعضُهم ذلك ضربا من اللامعقول ، ثم ها نحن نشهده ونشاهده .

قال العميل :

– واستنادا الي كل هذا ، ماذا يمكننا القول ؟

– واستنادا إلي ذلك نقول : إنَّ استبعاد أمرٍ وإنكاره لمجرد عدم

1– سورة الانبياء / آية : 21 / 69.

وجودِ حالـةٍ مماثلـة أو مقاربـة نشاهـدها، ليس مقبولاً منطقيـا وليس مبرِّرا علميـا ، إذا كان الأمرُ يقع في دائرة الامكان العلمي والمنطقي ، وقامت عليه الشواهد والأدلة .

– هل يمكنك ان تحدثنا عن الاعجازات التي لها ان ترافق الظهور؟

– فنظير تلك الاخبار المنبئـة في تراثنا عن بعض الاكتشافات العلميـة الباهرة، الاخبار الأُخري المُنبئة باعجاز عن ظهور الامام المهدي بما ينطبق تمام الانطباق مع معطيات الحضارة المعاصرة .

– هل يمكنك ان توضح لي اكثر من هذا ؟

– فقد ورد عن الامام الصادق عليه السـلام انه قال : «إنَّ قائمنا اذا قام مدَّ اللّه عز وجل لشـيعتنا في أسـماعهم وأبصارهم حتي لايكون بينهم وبين القائم بريد ، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه في مكانه»(1)

.

– جميل جدا .. غير ان لدي من السؤال اخر !

– هات ما عندك ؟

– الكلام يـدور كثيرا حول الاسـباب التي . . أو بالاحري : لماذا كلّ هـذا الحرص علي إطالـة عمر المهـدي عليه السـلام إلي هـذا الحدّ ، فتعطّل

1– روضة الكافي 8 : 201 / 329.

القوانين لأجله ، أو نضطر إلي المعجزة ؟ !

– نعم ، ان ..

قاطعه الزبون ليتواصل في عرض استفساراته ، فقال :

– ولماذا لا نقبل الافتراض الآخر الذي يقول : إنَّ قيادة البشرية في اليوم الموعود يمكن أن تترك لشخصٍ آخر يُولد في ذلك الزمان ، ويعيش الظروف الموضوعية ، لينهض بمهمّته التغييرية ؟ !

– ان الجواب عن هذا كله – وذلك بعد الاحاطة بالمطالب المذكورة في البحث – هو واضح جدا ، فإنّ اللّه عزّ وجل قد أبقي

أشـخاصا في هذا العالم أو غيره أحياءً أطول بكثير مما انقضـي من حياة المهدي عليه السلام، وذلك لحكمٍ وأسرار لا نهتدي إليها ، أو علمنا ببعضـها ، وعلي كلِّ حالٍ نؤمن بها إيمانا قطعيّا ، فليكن الأمر كذلك بالنسبة الي المهدي ؛ لأنا – كما أشرنا من قبل – بصفتنا مسلمين نؤمن بأنّ اللّه تعالي لا يفعل عبثا وأيضا : نؤمن بمغيّبات كثيرةٍ عنّا قامت عليها البراهين المتينة من العقل والنقل . .

– هذا نؤمن به ، ولكن . .

– فلا يضرنا اذا لم نعلم بالحكمة في معتَقدٍ من معتقداتنا ، وكذلك الحال في الاحكام الشرعيّة والاعمال العباديّة ، فقد لا نهتدي إلي سرّ

حكمٍ من الاحكام ، وفلسفة قانونٍ من القوانين الالهيّة ، لكنّ التعبّد ، هو قائم في محله ، ولا يمكن التغاضي او التنازل عنه ابدا ، كما في سائر الأديان الالهيّة منها وغير الالهيّة ، بل حتي في القوانين البشريّة والوضعيّة .

– وعليه ؟

– وعليه ، فنقول : إن كانت الأدلّة التي أقمناها في الفصول السابقة علي ضرورة الايمان بالمهدي، مع تلك المواصفات الخاصة، وأنّه الحجة ابن الحسن العسكري، وأنّه ولد وكان إماما بعد أبيه – وفي الخامسة من عمره الشريف – وأنّه حي موجود علي طول عمره المبارك... فإنّ النتيجة الحتميّة هي القول بهذه الغيبة الطويلة، سواء علمنا – مع ذلك بسرٍّ من أسرارها أو لم نعلم... وإنْ كان بالامكان أن نتصوّر لها بعض الاسرار بقدر أفهامنا القاصرة وعقولنا المحدودة.

– ومن لا يطيق من المسلمين الالتزام بالمعجزة في طول عمر الامام والفوائد المترتبة علي وجوده – مع كونه غائبا . ماذا عليه ان يصنع ؟

– وجب عليه تصحيح اعتقاده من الاصل ، وعلي ضوء الأدلة من العقل والنقل .

ص: 266

– واذن لا يمكننا قبول الافتراض الاخر ؟

– بكل تأكيد ، فعلي هذا الاساس أيضا ، فانه ما كان بامكاننا ان نسـلّم بالافتراض الآخر، لأنَّ المفروض أن الأدلة قادتنا إلي اسـتحالة « خلو الأرض من حجّةٍ للّه ولو آنا واحدا » .

– وبعد الايمان بذلك ؟

– وبعد الايمان بذلك ، سواء علمنا بشيء من الحكم في ذلك، ممّا جاء في الكتب العلمية المفصّلة في الباب ، أو لم نعلم – فلا مناص من القول بوجود الامام منذ ولادته، وأنّه لا مجال لفرض الافتراض الآخر أبدا.

كان الزبون ينظر في ساعته ، وكأنه ضاق ذرعا بصاحبه حامد ، لانه لم يتمكن منه ، ولم يسـتطع ان يفهم منه الا ما كان لا يأمل ابدا ان يجده لديه . فخاب سـعيه ، وانطوي علي نفسه ، يقلب اوراق ذهنه ، كيما لا يستشـعر حامد بثقل وطأة ما لقيه من منطقه .. فأخذ يقلب الامر كيفما شاء ، وانتقي ما كان لديه من اسئلته وصادر عليها بالاخير منها . .

حتي اذا استجاب له حامد ، سارع الي القاء سؤاله ، فقال له :

– وأخيرا هناك سؤال ربما يدور في الأذهان ، وهو : إذا كان الامام المهدي كذلك ، فما هي الفائدة بالنسبة للأُمة، وهو غائبٌ

مستور ، متوارٍ عن الأنظار ؟ !

قال حامد :

انه سؤال جميل جـدا . والجواب : إنّ الذي يحقق ويدقق في هذه المسألة، يجب أن يضع في حسابه أولاً الروايات والأخبار الصـحيحة التي تتحـدث عن ظهوره الذي سـيكون بصورةٍ مفاجئة وسـريعة ، أو علي حدِّ لسان بعض الروايات (بغتةً) . أي : دون تحديد زمن مخصوص أو وقتٍ معّين، وهـذا يترتّب عليه ترقب كل جيلٍ من أجيال المسـلمين لظهوره المبارك . إنَّ المتأمل لهـذه المسألة سوف لا يصـعب عليه أن يكتشف فوائد ومزايا جمةً تتعلق بالأُمّة المرحومة،

– مثل ماذا ؟

– مثـل : . . كيف اخبرك به ، . . نعم ! فـإنَّ ذلـك يـدعو كلّ مؤمن إلي أن يكون علي حالـةٍ من الاسـتقامة علي الشـريعة ، والتقيّـد بأوامرها ونواهيها، والابتعاد عن ظلم الآخرين ، أو غصب حقوقهم ، وذلك لأنَّ ظهور الامام المهدي – الذي سيكون مفاجئا – يعني قيام دولته وهي التي يُنتصف فيها للمظلوم من الظالم، ويُبسَط فيها العدل ويُمحي الظلم من صفحة الوجود .

– وهل لأحد ان يقولنَّ أنَّ الشريعة ودستورها القرآن منعت الظلم

والتظالم وهذا يكفي ؟

– أما جواب هذا الاحد ، فهو : إنَّ الشعور والاعتقاد بوجود السلطة وبتمكنها وسلطنتها يعدُّ رادعا قويا ، وقد جاء في الأثر الصحيح « إنَّ اللّه ـَليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن . . » .

استطرد حامد في حديثه ، فقال :

– أمـا مـا يجعلنا نسـتفيد اسـتفادة أخري من وجود المهـدي وغيبته في الوقت ذاته ، هو : انّ ذلك سـيدعو كلّ مؤمن إلي أن يكون في حالةِ طواري ء مسـتمرة من حيث التهيؤ للانضـمام إلي جيش الامام المهدي والاسـتعداد العالي للتضـحية في سبيل فرض هيمنة الامام الكاملة وبسط سلطته علي الارض ، لإقامة شرع اللّه تعالي . وهذا الشعور يخلق عند المؤمنين حالةً من التآزر والتعاون ورصّ الصفوف والانسجام ، لأنهم سيكونون جُندا للامام عليه السلام .

– ؟ !

كمـا ان هـذه الغيبـة تحفّز المؤمن بهـا للنهوض بمسؤوليته ، وخاصـة في مجـال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فتكون الأُمّـة بـذلك متحصّـنة متحفّزة . إذ لايمكن تقيّد أنصار الامام المهدي عليه السـلام بالانتظار فحسب ، دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استعدادا لبناء دولة

الاسلام الكبري وتهيئة قواعدها حتي ظهور الامام المهدي عليه السلام .

اضاف حامد ، وهو يحاول الايجاز :

- إنَّ الأُمّـة التي تعيش الاعتقاد بالمهدي الحي الموجود تبقي تعيش حالة الشـعور بالعزة والكرامة ، فلا تطأطي ء رأسـها لأعداء اللّه تعالي ، ولا تـذلُّ لجبروتهم وطغيانهم ، إذ هي تترقب وتتطلع لظهوره المظفّر في كلِّ ساعـة ، ولذلك فهي تأنف من الذلِّ والهوان ، وتستصـغر قوي الاستكبار ، وتستحقر كلِّ مايملكون من عدةٍ وعدد . وإنَّ مثل هذا الشعور سيخلق دافعا قويّا للمقاومة والصمود والتضحية ، وهذا هو الذي يخوّف أعداء اللّه وأعداء الاسلام ، بل هذا هو سرّ خوفهم ورعبهم الدائم ، ولذلك حاولوا علي مرّ التاريخ أن يُضعفوا العقيدة بالمهدي ، وأن يُسـخّروا الأقلام المـأجورة للتشـكيك بهـا ، كما كان الشأن دائما في خلق وإيجاد الفرق والتيارات الضالّـة والهدّامـة لاحتواء المسـلمين ، وصرفهم عن التمسّك بعقائدهم الصحيحة ، والترويج للاعتقادات الفاسدة مثلما حصل في نحلة البابية والبهائية والقاديانية والوهابية .

بعد ذلك نهضا ، وانفض المجلس ، وفي طريقهما الي الخروج ، كان الزبون ينظر الي حامد ، كأنه يتوقع منه ان يضيف شيئا من القول ،

وما كان يدري هو نفسه ، لماذا حملت نفسه مثل هذا التوقع ، فقال حامد :

– هذا ، ويمكن أن نضيف إلي هذه الثمرات والفوائد المهمة

فوائد أُخري يكتسبها المُعتقِد بظهور المهدي عليه السلام في آخرته ، ويأتي في مقدمتها تصحيح إعتقاده بعدل اللّه تعالي ورأفته بهذه الأُمّة التي لم يتركها اللّه سديً ينتهبها اليأس ويفتك بها القنوط لما تشاهده من إنحراف عن الدين، دون أن يمدّ لها حبل الرجاء بظهور الدين علي كلِّ الأرض بقيادة المهدي عليه السلام . ومنها : تحصيل الثواب والأجر علي الانتظار ، فقد ورد في الأثر الصحيح عن الصادق عليه السلام : المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل اللّه . ومنها : الالتزام بقوله تعالي حكايةً عن وصية إبراهيم عليه السلام لبنيه : يابَنِيَّ إنَّ اللّه ِ اصْطَفي لَكُم الدّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلاّ وأنتُم مُسْلِمُون(1)

، كذلك ، فانه من مات ولم يعرف إمام زمانه – وفي عصرنا هو المهدي عليه السلام – مات ميتةً جاهلية . واستنادا إلي كلِّ ماذكرناه يظهر معني : إنَّ الأرض لا تخلو من حجةٍ للّه تعالي .

– ؟ !

– واخيرا ، فإنّ مما تسعي إليه بُؤَر النفاق وبشكل دؤوب هو بحثها

1– البقرة : 2 / 132.

الحثيث بين صـفوف المسلمين ، لعلها تجد فيهم من تتلقفه وتحوطه برعايتها، وتمنحه الالقاب العلمية الكاذبة التي يَشْرَه إليها ؛ لكي تتخذه مطيّـة لاغراضـها وبوقا لـدعاياتها عبر المجلات والمؤتمرات التي تنـدد بالاسـلام وأُصوله الشامخـة ، ولن تجـد بغيتها إلاّ فيمن انحرف عن المحجـة البيضاء ، ورمي بنفسه كالطفل في أحضان مربيـة حمقاء تسـخّره لكل لعبة قذرة ، كما نلحظه اليوم في تقريب سـلمان رشدي ومن علي شاكلته ، علي أمل أن تجد سمومهم طريقها إلي كل جسد ضعيف مسلم .

فقال الزبون :

– وهل تري ان التنبيه علي هذه المسائل أمر ضروري ؟

– نعم ! ولهـذا كان من الواجب الاسـلامي التنبيه علي هـذه الوسـيلة الدنيئة ، وتوعية المسـلمين باهدافها وغاياتها واخطارها ، وتحصـينهم بالايمان الصـحيح الـذي أمر به هرم الاسـلام المقـدس : (القرآن الكريم ، والسـنّة المطهرة ، ومدرسة أهل البيت عليهم السـلام) . كما ان الاعتقاد بظهور الامام المهـدي في آخر الزمان إنّما هو من مسـتلزمات الوثوق بصدق رسالة الاسـلام الخالدة ، وأنّ التكذيب به هو تكذيب برسالة الاسلام التي أخبرت عن ظهوره !

وفي صبيحة يوم من أيام الاسـبوع ، جلس حامد في المستشـفي ، كان يقعد الي جانب سـرير ابيه ، كان صامتا لا يتكلم ، تثقل اجفانه عيون السـهر ، ويكلم جراحه الغضبي سـهادُ الليل ، ما كان ليحير جوابا لمن يسائله ، ظل ساكتا . بينما كانت آماقه تنزف من اثر الجرح الغائر في اعماقه ، استل نصلا من ادمعه لعلها تبعث علي مغادرة آثار القرح في داخله . بل الموت كان يقبع في سويداء قلبه ، ها هي نياط قلبه تتمزق ، وها هو الرأس يشـيخ من هول المطلع ، وها هي الاذان قد وصمها عار الوقر من غدر الزمان ، ولؤم الدهر الخؤون .. نظر اليه ، كان صامتا ، كـان كل شـيء فيه ساكتا . الا قلبه .. هكـذا ظن ! ولعل صوته لا يصل الي الاسـماع ، الا ان قلبه الكبير كان له ان يحاكي قلب ولـده . فلقد غادر الرجل العظيم ، رجل الاعمال الكبير ، ابو حامد ، ارتحل الي جوار الرفيق الاعلي ، وخلف وراءه ولدا اسمه حامد ..

ظل الجميع يقولون :

- هذا خليفة ابيه .

ص: 273

قال حامد في نفسه :

– لا ، بل انا ما كنت لولا هو ان يكون ، لانه هو الذي صنع مني خليفة له .. أبتاه ! من انادي واصيح .. لاهتف بصوته ، فلقد فقدتك وذهبت .. الي اين تذهب ، فلقد مللت الصراخ ، لمن تتركنا ، وانت لمّا تكبر فينا ، وانت ما زلت الاب الحنون . تُري كيف غادر عنك ابوك يا صاحب الزمان وخلفك مع كل تلك الذئاب العاوية .. مع كل تلك الشياطين الماكرة .. ولم يكن لديك من العمر سوي خمسة اعوام . وانا اليوم يتركني ابي ، وكأنه كان قد علم برحيله ، فأعدني ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت ، ليوم تشيب فيه الولدان . اعدّني لمثل هذا اليوم ، كيما استلم المهام الرسمية كاملة ، ومن بعد اليوم .. انه كان يعلم بسفره ! وانا ما كنت اعلم به ! أهّلني للعمل في محله ، وسمح لي بمواصلة الدراسة كذلك ، إن لم يكن منها ما يكون .. ولكن ! انت يا صاحب الزمان ، يا مهدي العالمين ومنقذ البشرية ، كيف تركك ابوك ، وخلّفك انت ومسؤولية كل العالمين في رقبتك ، اودعها اياك .. وما كان لك من العمر الا خمسة اعوام .. كيف تحملت فراق ابيك ، وغدر عمك ، ومطاردة السلطات وازلامهم البائسين .. بينما انا الان كل شيء قد غدا لي ذا قرار ، ولا تلاحقني جلاوزة الحكومات ، ولا يغدر بي

عم او خال ، ولا قريب او بعيـد ! وانا لا احتمل ما اراه بأم عيني .. لا اقوي علي مقاساته .. ومكابدة عناءاته .. فكيف تحملت انت يا سـيدي ومولاي كل تلك النكبات المتوالية في آن واحد ، تفقد امامك واباك .. تودع اهلك وصحبك وتغيب .. وتري تراث جدك تتناهبه الاقارب لا سيّما العم .. ومن كان ينبغي ان يكون لك سـلويً في مثل تلك البلوي ! بل تجد الطغام الغاشـمات تذود عن نفسها ، ببذل ما يقلّه منزلك ، فتراهم يطوفون في بيتـك ، من غرفـة الي غرفـة ، يفتشون عنـك ، وينهبون مـا حوته حجرات منزلـك ، ويخوّفون أهلـك ومن هم في حفظك وصونك ، بل يهرعون كيما يصادرون ما يجـدون ، فان وجـدوا اثاثا سـلبوه ، وان وجدوا اناسا اعتقلوهم ! فلله درّك من عظيم يحب العظام ، وكريم يحب الكرام . فيالك من اسوة كبري ، لي قد صرت روحا عظمي ، فانت السلوي وأنت القدوة !

تمت الرواية بعونه تعالي وتسديد من رسوله وأهل بيته عليهم افضل الصلوات وأتم التسليم

ص: 275

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹